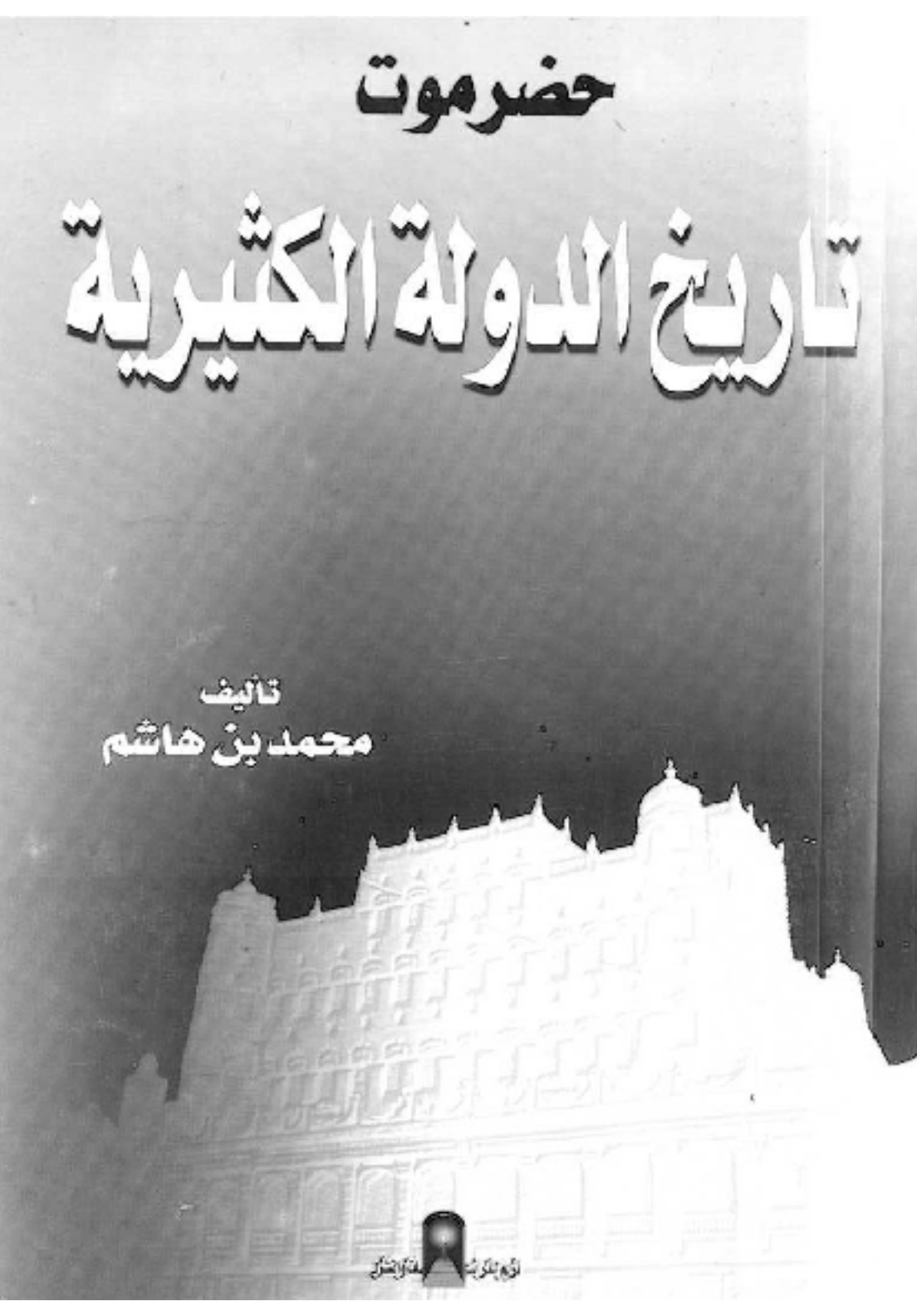
حضرموت

تاريخ الدولة الكثيرية

تأليف

محمد بن هاشم





حضرة صاحب العظمة

السلطان جعفر بن منصور الكثيري

السلطان الحالي



حضرة صاحب العظمة المغفور له

السلطان علي بن منصور الكثيري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ثلاثة نفر في هذا القطر الحضرمي سيذكرون إذ يدبج تاريخه الحديث، كطليعة لقادة الفكر الجديد. وزعماء النهضة الإصلاحية، ودعاة انقلاب. انقلاب يشمل كافة مرافق الحياة، وينفخ الروح في هذا الجسد الذي افتقدها منذ مئات السنين، وعاش بعيداً عنها في عالم غير عالمها. إن أمكن أن تكون لجسد من غير روح حياة. اللهمَّ إلا إذا جاز أن يعد من الأحياء جدث عصمته الأقدار من الفناء بعد فراق روحه إل دار البقاء.

هذا النفر أو هذه السلسلة الذهبية النيّرة؛ تبدأ بالسيّد أبي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب، ثم بالسيّد محمد بن عقيل، وأخيراً بالسيّد محمد بن هاشم، مؤلف هذا الكتاب القيّم الذي يقدّم لنا اليوم الجزء الأول منه.

لن يستطيع – ولو أراد – أي متصدر لتاريخ النهضة الحضرمية أن ينكر أو يتجاهل هذه الحقيقة الخالدة. وهي أن هذا النفر من الأفذاذ هم قادة لواء النهضة الحضرمية الحديثة، وواضعوا أسسها، وأول من حاول إزالة الغشاوة عن أعين قومهم، وبالتالي أول من واجه العاصفة التي لابد وأن يواجهها كل مجدد، يهدف إلى إمالة قومه عن نهج اعتادوه؛ أو جهالة أنسوا إليها؛ أو تقاليد ابتدعوها، فأصبحت منهم بمتابة الدين الذي لا يأتيه الباطل من أي الجهات؛ أو فتن متراكمة بعضها فوق بعض، استكانوا لها، فاطمأنّوا إليها، فصارت جزءاً من حياتهم، لا هم يستطيعون التخلص منها، ولا هي ترتاح إلى الابتعاد عنهم.

ولذلك فهم يعجبون أيّما عجب لهذه الصرخات التي يجأر بها أفراد، هم في معتقدهم أقرب إلى الضلال منهم إلى الهدى، حادوا عن النهج القويم واتبعوا الهوى، فكلما يأتون به باطل، وكل ما ينادون به ضلال.

هذه هي العاصفة التي واجهها محمد بن هاشم، ومن قبله محمد بن عقيل، ومن قبلهما أستاذهما أبوبكر بن شهاب، وغيرهم من رجالات الفكر الحضرمي فما ضعفوا وما استكانوا، وما تلجلجت بهم الخطى، أو خارت منهم العزائم.

ترعرع محمد بن هاشم ونشأ في بيت آل طاهر، وتغذى من لبان هذا البيت التليد بقرية ((المسيلة)) الواقعة جنوبي مدينة ((تريم). والواقع أن هذه القرية الصغيرة المتواضعة العمران أخرجت من بين جدرانها عباقرة كان لهم شأن وأي شأن في ماجريات الأمور بحضرموت.

ففي عرصاتها جهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونادى منادي الإتحاد والتعاون للقضاء على الشرور والآثام، أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله طاهر بن الحسين، الذي بايعه الحضارمة بالخلافة في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وبرز أخوه إمام عصره في العلم والعبادة والإصلاح عبدالله[1] بن الحسين.

ومن أرباضها سطع نور محمد بن عقيل[2] الجهبذ المصلح الذي حاول مرات تطبيق نظرياته في الإصلاح غير أن الحظوظ لم تكن مواتيه. ولم تقعد به همته بل نظر إلى حضرموت كجزء من كل بالنسبة ((لليمن الكبرى)) فاتصل بصنعاء وإمامها،

(١) جد المؤلف.

(٢) والده عقيل بن عبدالله بن يحيى إمام من أئمة حضرموت في أواخر القرن الثالث عشر، تقى وعلماً وإصلاحاً خاض المعامع السياسية وحاول جمع الكلمة والقضاء على الفساد توفي عليه رحمة الله سنة ١٢٩٤هـ.

ونشر تعاليمه ومبادئه في ربوعها، وتشرّب بآرائه الكثيرون وفي مقدمتهم سيف الإسلام محمد أمير الحديدة عليه رحمة الله، الذي لولا أن عاجلته المنيّة لكان لليمن شأن غير شأنها اليوم. وهكذا كان سوء الحظ يقف من ابن عقيل وآرائه موقف العداء!! معرقلاً سائر خططه ومشاريعه الإصلاحية، لحكمة قدرها الله وقضاء أراده.

وأخيراً وليس آخراً، أنجبت محمد بن هاشم.

تلقى ابن هاشم دراسته على علماء ومشايخ جيله، متردداً بين ((المسيلة)) و((سيؤن)) و((تريم)) وفي مقدمتهم أستاذنا القدوة الحبيب عبدالله[٣] بن عمر الشاطري. وكان من أبرز أساتذته، وأشدهم فيه أثراً؛ أبوبكر بن شهاب. فنشأ مثله ثائراً على الأوضاع المقلوبة، متحفزاً لحياة جديدة تستبدل بها حياة الجمود والركود، والفتن والفوضى. وكانت حضرموت ميداناً فسيحاً لكل ذلك، ومرتعاً خصباً للجمود العقلي الطاغي المتمثل في التمسك بقشور من ثقافة، كانت يانعة فأجدبت، خصبة فأمحلت، عظيمة فتضاءلت...

ومن الإنصاف أن نذكر أنه على الرغم من الانهيار الفكري الذي كانت تقاسيه حضرموت خلال العصور الأخيرة فإنها لم تعدم طيلة هذه العصور أفراداً بلغوا من الرقي الفكري أسمى درجاته، وتحلوا بمزايا ترفعهم إلى مصاف الهداة الراشدين.

---

(٣) أستاذنا القدوة الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري عليه رضوان الله هو صاحب رباط الشاطري العلمي بمدينة (تريم) وهو عَلَم من أعلام الدعوة العلمية، وأستاذ جنوب الجزيرة العربية في النصف الأول من هذا القرن، ولا توجد مدينة أو قرية في حضرموت أو غيرها من مقاطعات جنوب اليمن إلا وتلامذته منتشرون فيها بل إنهم ليردون إليه من شرق أفريقيا والهند وجاوة للتلمذة. توفي عليه رحمة الله سنة ١٩٤٢م.

فلما أن بلغ ابن هاشم أشده واستوى، تحقق أنه لن يجد لآرائه وأفكاره مجالاً في مثل هذه الأجواء العاصفة بله تنفيذها وإخراجها إلى حيز الوجود. فشدّ الرحال إلى جاوة. فبها المجال متسع، وجاليتها الحضرمية من الكثافة والانتعاش الاقتصادي ما يمكنه من بثّ تعاليمه، على أن آراءه ومبادئه وأفكاره وهو بحضرموت كانت في مسيس الحاجة إلى الصقل والتركيز والتبلور، ولن تظفر بذلك إلا إذا رحل إلى الخارج. ومن قبله غادر حضرموت أستاذاه ابن شهاب وابن عقيل ثورة على الظلم الاجتماعي والسياسي، وليجدا لآرائهما ومبادئهما متنفساً ومجالاً.

واتجه ابن هاشم الاتجاه الطبيعي للإصلاح المدعم فباشر التدريس في مدرسة ((جمعية خير)) بمدينة ((بتافيا)) عاصمة جاوه. ثم انتقل إلى ((باكلنجان)) (إحدى مدن وسط جاوه) فأنشأ بها مدرسة ((شمائل الهدى))، وتخرج على يده الكثيرون ثم بارحها إلى ((سورابايا)) عاصمة جاوه الثانية فأسس ((المدرسة الحضرمية)). وكانت هذه المدرسة مجالاً لتطبيق نظريات التربية الحديثة، حتى أنه كان يجمع بين الجنسين في أدوار التعليم الأولى. وذاعت شهرته، ونجح نجاحاً منقطع النظير، لولا أن المادة كانت تنقصه مما أثر على مشاريعه أثراً بيّناً. ولم يقصر نشاطه الإصلاحي في المجال المدرسي رغم تفننه فيه وإبداعه؛ بل اتخذ من الصحافة منبراً يفتح المغلق من العقول، ويهذّب من لم تعد المدرسة ذات نفع له فصال قلمه وجال في صحيفة((الإصلاح)) التي كان يصدرها محمد بن عقيل في ((سنغفورة)). ويمكن القول أن هذه الصحيفة كانت مدرسته الصحفية التي تخرج منها. وعندما انتقل إلى ((باكلنجان)) أنشأ جريدة ((المدرسة)) النصف شهرية وبعد ذلك رأس تحرير جريدة ((الاقبال)) فجريدة ((حضرموت)) بمدينة ((سورابايا)) لصاحبها

السيّد عيدروس المشهور، وآخر جهوده بجاوه قدومه على رأس بعثة من بضعة عشر طالباً إلى مصر لإلحاقهم بمعاهدها ولقد كان المال (وهو عصب المشاريع) يقف دائماً أبداً دونه والنجاح الكامل والسير في مشاريعه إلى نهايتها. فعاد أخيراً إلى وطنه حضرموت سنة ١٩٢٧م بدعوة من السادة آل الكاف ليتولى نظارة مدرستهم بمدينة (تريم) فوجد أن الظروف ليست مواتية بعد للعمل المجدي، فقصر نشاطه على الاتصال بكثير من الشباب المتحفز، يرسم لهم المنهاج، ويوجههم التوجيه السليم، حتى تولى صاحب العظمة السلطان جعفر بن منصور الكثيري السلطنة سنة ١٣٥٧هـ فاستدعاه ليتولى سكرتيرية السلطنة، وكان قبل ذلك موضع ثقة واستشارة السلطان علي بن منصور عليه رحمة الله، وقام بأعباء السكرتارية حتى حدوث التطورات السياسية الأخيرة فاستقال للتفرغ لشئون التعليم، وتولى أمر المدرسة السلطانية بمدينة ((سيوون)).

ولسنا بصدد تاريخ حياة ابن هاشم حتى نطيل. ولكن ما نهدف إليه هنا هو: أن ابن هاشم عَلَم من أعلام النهضة الحضرمية في هذا العصر الحديث ما في ذلك من شك، وأنه أستاذ الجيل الجديد من الحضارمة بطريق مباشر أو غير مباشر، وأن جهاده في سبيل حضرموت جهاد عملي فهو غير مجهول أو منكور. وما هذا التأليف الذي بين أيدينا والذي نقدم له بهذه المقدمة إلا تتويج لهذه الجهود، وتتميم لنقص شعر به وهو يافع لا يزال يتلقى علومه، ثم وهو شاب، فمرب حاول إخراج ناشئة تقود قومها إلى حياة مليئة بالنشاط الفكري، وتصرفهم عماهم فيه من الانشغال بتوافه الأمور.

والواقع الذي يحز في النفس ويملأها مرارة وغصصا، أن تاريخ هذا الجنوب العربي من مشارف عدن والحديدة غرباً حتى ضفاف الخليج الفارسي الغربية الجنوبية، مبهم غامض!! لا يكاد ما وصلنا منه يبل غليلاً أو يروي ظامئاً. والمراجع الموجودة على قلتها وندرتها لا تكفي لتسليط ضوء ساطع يكشف الغامض، ويوضّح المبهم.وإنما هي شتات من معلومات متفرقة هنا وهناك هي في مجموعها لا تقدم لنا إلا صورة غير واضحة المعالم، ولا محددة الهيكل.

وعزيز علينا أبناء الجنوب العربي أن نعيش جاهلين لتاريخ بلادنا، منقطعة الصلة والأسباب بينا وبينه. وليت الأمر قاصراً على تاريخنا القديم قبل الإسلام بل نقصد بذلك أولاً بالذات تاريخنا الإسلامي. ففي نفس الوقت الذي نجد فيه أن تاريخ البلاد العربية الشمالية وغيرها من البلاد الإسلامية المجاورة مدروساً دراسة شاملة؛ نجد أن البلاد العربية الجنوبية قد أهملها مؤرخو الإسلام في كافة العصور!! ولا نجد لها ذكراً اللهمَّ إلا ما يشار إليه من تعيين الخليفة الأموي أو العباسي لفلان الفلاني أميراً على اليمن أو غيرها من جهات الجنوب؛ أو ما يذكر عرضاً عن حركات الخوارج في عمان وحضرموت!!!

ولا يجوز أبداً، وبأي حال من الأحوال، أن يظن ظان أن هذا راجع إلى تفاهة هذه البلاد في العصور الإسلامية المختلفة. فقد نشأت دول ذات سطوة وباس عظيمين في حضرموت وعمان وصنعاء وعدن وما جاورها. بلغت من الشأو مبلغاً عظيماً، نجد في بطون الكتب لمحات عنها، وفيما بين أيدينا من المراجع التاريخية القليلة ما يكفي لإثبات ذلك. ولكنه إهمال لا نبرِّئ منه مؤرخي العرب للعصرين

الأموي والعباسي، ولا نبرِّئ منه مؤرخي الجنوب في كافة العصور. أو لعلهم قاموا بما عليهم فحالت يد الضياع والإهمال دون وصولها إلى أيدينا.

ومن هنا كان لنا أن نغتبط أيّما اغتباط لهذه المحاولات التي يبذلها علماؤنا المعاصرون لإحياء ما اندثر من تاريخنا، وجمع ما تفرق منه في بطون الكتب، وإبراز المراجع المغمورة التائهة في المكاتب. فأخرج لنا سمو الأمير أحمد فضل العبدلي رحمه الله كتاب ((هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن)) والسيّد العلامة الكبير علوي بن طاهر الحداد تاريخه ((الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفيها)) في ثلاثة أجزاء طبع أولها، وانتهى من تأليف كتابه ((عقد الياقوت في تاريخ حضرموت)) في نحو ثمان مجلدات. وسمعنا ببعض الأدباء المهتمين بالتأليف في تاريخ حضرموت كعلامة حضرموت السيّد ابن عبيد الله والشاعر الأديب السيّد صالح الحامد، والسيّد الغيور عبدالله بن حسن بلفقيه المهتم بدراسة الإمام أحمد بن عيسى المهاجر وعصره، وترامى إلينا نبأ تأليف لجنة بصنعاء من العلماء في حياة الإمام يحيى عليه رحمة الله، وكِّل إليها جمع تاريخ اليمن العام، ووضعت تحت تصرفها كافة المراجع اللازمة، وتخصص كل فريق في كتابة عصر من العصور، ولا ندري مدى ما وصلت إليه هذه اللجنة حتى الآن. وكنت أعلم أن الزميل الأستاذ محيي الدين العنسي عليه رحمة الله كان مهتماً بجمع تاريخ اليمن وعلى وشك أن يطبع ما انتهى إليه منه لولا أن عاجلته المنية بإعدامه في نهاية المأساة اليمنية الكبرى الناشئة عن مقتل الإمام يحيى عليه الرحمة.

وها نحن نظفر بكتاب قيّم هو كتاب الأستاذ ابن هاشم عن (تاريخ الدولة الكثيرية). وكل هذه إن هي إلا محاولات لسد هذا النقص الشنيع تهدف إلى جمع

كافة المعلومات عن تاريخنا، ليأتي بعدئذ من يغربلها ويبرزها في ثوب قشيب، ملائم لروح العصر، ومنطبق على الأصول العلمية الحديثة في البحث والتحقيق والتحليل.

ولن يقدِّر الجهود التي بذلتها هذه الطليعة من بحّاثينا، ولن يزنها بميزانها الصحيح، إلا من أدرك حقيقة المراجع التي اعتمدوا عليها، وقصورها وندرتها، وتضاربها نتيجة لمذاهب مؤلفيها السياسية أو الطائفية. أو نتيجة لتباين المقاييس التي توزن بها الأمور لدى كل منهم، أو اختلاف مصادرهم التي استقوا منها الأنباء.

ولقد حاول بن هاشم أن يتغلب على كثير من العقبات الناشئة عمّا ذكرنا. يلمسه من أمعن في دراسة كتابه وتتبع خطواته فيه، ولكنه مع ذلك لم يستطع التخلص من قيودها وتذليل كافة صعابها. وما كان لغيره أن ينجح فيما أخفق هو فيه ما لم تتجمع لديه الأسباب. وإن تكن هناك هنة للأستاذ بن هاشم فهي تهربه من التحليل للأحداث والتعليق عليها التعليق الشافي، وقد أشار إلى ذلك في مستهل القسم الأول من الكتاب بقوله: (وبعد فقد التزمنا على أنفسنا في هذا الكتاب، أن نكتب ما عثرنا عليه في كتب التاريخ من أخبار القوم مجردة من الانتقادات والملاحظات. فلا نقول أن القائد الفلاني ارتكب الغلطة الفلانية أو لو أن السلطان الفلاني عمل كذا. لأنّا أعلم الناس بعجزنا وقصورنا عن إدراك الظروف المحيطة بذلك القائد أو السلطان. إلى أن يقول بعد هجوم عنيف على الذين يعمدون لذلك: ولست أجد لي حقاً في مؤاخذتي أشخاصاً على سلوك سلكوه أناخت على علله وأسبابه السنون، ودفنت مبرراته ومسوغاته طول القرن).

ولعل لابن هاشم العذر في قلة المراجع وتفاهة ما وصل إلينا من الملابسات التي اكتنفت تلكم الأحداث الجسام. على أنه وهو الأديب البحاثة بطبعه لم ينهج هذا النهج على إطلاقه، بل نرى طبيعته تتغلب عليه في كثير من المواطن فيحلل ويسهب في التحليل، ويحاول تبسيط الحوادث، وإرجاعها إلى أصولها الطبيعية.

وابن هاشم على أنه علم من أعلام المجددين المصلحين في حضرموت، وقائد من قادة الجيل الجديد فهو علم من أعلام الأدب له فيه جولات وصولات، شعراً ونثراً، وهذه الجرائد التي أنشأها أو اشترك في تحريرها شاهد ماثل للعيان. فمقالاته – وخاصة في جريدة حضرموت- نبراس للأدب الرفيع والبحوث الشيقة، والخصام العف المتزن وقد كنّا نودُّ أن لا يتأثر أسلوبه في كتابه هذا بما بين يديه من المراجع القديمة، ومحاولته التقيّد بالنصوص الواردة فيها، على أن أسلوبه الرفيع يبرز بروزاً واضحاً في كثير من فصول الكتاب فينم عمّا امتاز به من نبوغ كاسح، وقوة عارضة، وعرض رشيق.

ولقد قصر الأستاذ ابن هاشم تأليفه على تاريخ الدولة الكثيرية. أي منذ القرن الثامن الهجري حتى عصرنا هذا، مع إلمامه موجزة مختصرة عن القرون السادس والسابع والثامن. وسيختلف الناس في انتهاجه هذا السبيل ولعل الغالبية ستأخذ عليه ذلك، وتفضِّل أن تراه يقدم إليها تاريخ حضرموت العام، قبل الإسلام وبعد الإسلام، ولهؤلاء الحق في اتجاههم هذا، وميلهم إليه. فالإحساس العميق الجيّاش بحاجتنا إلى تاريخ شامل، والإيمان بقدرة ابن هاشم على ارتياد هذا الميدان هما اللذان يدفعان هذا الفريق إلى الرغبة في أن يكون تاريخه شاملاً عاماً. ولكني لا أظن ابن هاشم قد جانب الصواب فيما نهج إليه، أو حاد عن أقوم الطرق. فهو يعلم أن

تاريخ حضرموت قبل الإسلام غامض غموضاً غريباً يجعل الباحث المدقق يتردد ألف مرة ومرة قبل أن يخوض في مهامه، ولا يرضى لنفسه ذلك إلا إذا تجمعت لديه الأسباب، والمصادر المأمونة. على أنه لو تعرض له سيكون كلامه عنه مقتضباً لا يبل فم الصادي. أما تاريخ حضرموت بعد الإسلام فقد كان مرتبطاً بتاريخ البلاد الإسلامية عامّة في القرون الأولى، وأصبحت مسرحاً خلال ذلك، وفي القرون التي تلتها لمذاهب الخوارج، ومجالاً لمناوراتهم وحركاتهم ثم كان أن تغلّب أهل السنة والجماعة، وقضوا على قوى الخوارج ومبادئهم الهدّامة. وهنا لم تستقر الأمور بحضرموت لأحد من الولاة؛ بل ظلّت مقسمة شيعاً وطوائف ردحاً من الزمن حتى قيَّض الله لها الكثيريين فاستطاعوا بعد لأي توحيدها تحت قيادتهم على ما في هذا التعبير من التسامح. فرأى ابن هاشم أن خير خدمة عاجلة يقدمها هي إنجاز أبحاثه في التاريخ الحضرمي منذ قيام الدولة الكثيرية حتى يومنا هذا. وخاصة لأن المراجع منذ هذا التاريخ، والمصادر التي يمكن الاعتماد عليها أسلم وأدق بالنسبة لما قبله.

ومن الحقائق المسلم بها في عالم البحوث الحديثة نظرية التخصص. فلم يعد هنالك مجال للتاريخ الشامل لكافة العصور، بل يعمد البحّاثة إلى عصر خاص، أو طائفة معيَّنة، أو موضوع بذاته، فيشبعه بحثاً وتحليلاً وإبانة، وابن هاشم في اختصاصه الدولة الكثيرية بتاريخه إنما كان ينحو هذا النحو الحديث.

على أن تاريخ الدولة الكثيرية يعني تاريخ حضرموت خلال هذه الحقبة التي تبدأ منذ القرن الثامن الهجري حتى اليوم، فأية خدمة جلى أدَّاها ابن هاشم لأبناء الجنوب العربي بتاريخه هذا؟

والحق أن آل كثير هم (تراث حضرموت التاريخي، ورمز الوطنية الحضرمية) ففيهم تتمثل هذه القرون السبعة بما فيها من أحداث جسام، ومفاخر عظيمة. ففي كل صقع من أصقاع حضرموت لهم ذكرى، وفي كل جبل من جبالها، وواد من أوديتها، ومهمه من مهامها بقيّة من عَرْفِهِمْ وأثر من سلطانهم، باقٍ خالد لا تسفيه الرياح، ولا يمحيه كر الليالي، ولا مر الأيام رَوَتْ دماؤهم ثراها، واستنشقت أنفاسهم هواها والتصقت أكبادهم بترابها، وأُشْرِبَت قلوبهم بحبها؛ فهم منها وهي منهم؛ ألفان لا ينفصلان؛ على ذلك يحييان وعليه يفنيان.

إن المتتبع للتاريخ الحضرمي ليقتنع بذلك تمام الإقناع فما قامت دولة آل كثير أول ما قامت إلا على أساس من الهدى، وجمع الشمل، والقضاء على الفساد الشامل، والضلالة المضلة. ولم تنشأ أول ما نشأت إلا على أكتاف العلماء، والصلحاء، والأولياء الأطهار من الأمة. فقد كانوا عمادها وسلاحها الذي لا يفل ولا أدل على ذلك من قول العلامة الشيخ علي بن عمر باعباد من أئمة القرن السابع: نحن وآل كثير شيء واحد كالكفين من الساعد، أو كتفاحتين من شجرة، ويقصد بقوله ((نحن)): رجال العلم والصلاح والدعاة إلى الله.

واستمرت علاقتهم برجال الإصلاح ودعاة الفضيلة والسنة المحمدية قوية متينة طيلة عصور التاريخ، اللهمَّ إلا ما ينجم أحياناً من التصادم والفتور في العلاقات ولكن ذلك كسحابة صيف سرعان ما تنقشع فيعود الجو إلى صفائه السابق. وحقيقة أخرى يستخلصها الباحث في تاريخ هذه الدولة هي أن سلاطينها لم يكونوا ذوي غطرسة وجبروت اللهمَّ إلا القليل منهم ممن لا يذكر في مقام

التعميم، فكانت سيرتهم في الرعية سيرة رفق وتواضع وعدل. وقد كان لكل ذلك أثره في توطيد ملكهم، ودوام سلطانهم وحب عامة الناس لهم.

وبعد: فالأستاذ محمد بن هاشم يقدم لنا كتابه: (تاريخ الدولة الكثيرية) في وقت بدأت فيه حضرموت تشق طريقها لتقيم أمورها على أسس جديدة من الحياة، وتنفض عن نفسها غبار الركود العام الذي لازمها خلال العصور المتأخرة. فينير بذلك لها السبيل، ويكشف لها صورة صادقة من ماضيها. علّه يكون لها منه عِظة وعبرة، تلهمها طريق السداد وتدفع بشبابها إلى ميدان المجد الفسيح، بقلوب ذكية، وفتوّة عارمة، وإيمان لا تكفكف من غلوائه الصعاب ولا العقبات.

واللهَ نسأل أن يحقق الآمال، ويعيد مجد العروبة قويّاً فتيّاً، ويرفع رايتها خفاقة، لألاءة، تنشر الهداية والعدل والسلام، فتعيد للأرواح صفاءها وللمبادئ السامية قدسيتها المفقودة.

محمد علي الجفري

العالمية مع إجازة القضاء من كلية الشريعة الإسلامية

العالمية مع إجازة التدريس والتربية من كلية اللغة العربية

بالجامعة الأزهرية

مقدمة المؤلف

الحمد لله على أفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله.

وبعد فللدولة الكثيرية حق على رجال التاريخ من أبناء حضرموت التي ظلّت الاضطرابات العشائرية ملقية جرانها عليها منذ القرن الأول الهجري حتى أواخر القرن السابع إذ نضج الجهاد الكثيري فأسس لحضرموت دولة هامة أنقذتها من ذلك الكابوس الفوضوي الآخذ بخناقها طول تلك الأجيال.

إذاً فهو انقلاب رائع لم يكن إغفال تسجيله إلا تفريط شائن يعاقب بشأنه حملة الأقلام التاريخية عقاباً قارصاً.

والدولة الكثيرية لها مداها الواسع، وأجيالها الطويلة، ورجالها البواسل ومعاصروها الكثيرون من العلماء والأدباء، وأخبارهم الشائقة، ونوادر عصورهم الطريفة – كل هذا لم يصل إلينا منه إلا النزر اليسير المتفرق والمحشور عرضاً في طيّات قصة أو حشو منقبة، فقد فاتنا بإهمال الكتاب علم كثير وأدب جم ولو وصل إلينا لكنا غيرنا الآن.

وفي هذه الأجزاء التي جمعتها أقدم لسادتي القرّاء مقتطفات متواضعة مما استطعت العثور عليه من أخبار القوم بعد البحث والتنقيب ما لعله يبل اللهاة نوعاً ويلقي ضوءاً يسيراً لسالكي هذا الطريق، تاركاً حياة الرجال وتفاصيل الأحوال إلى ذوي النشاط من الباحثين الكرام. أو إلى فرصة أخرى تسنح لي إن مدَّ الله في الأجل.

والدولة الكثيرية هي رمز الوطنية الحضرمية وتراث حضرموت التاريخي فالرضا بإهمال تاريخ الدولة الكثيرية هو الرضا بإهمال كل هذا، والله المستعان في كل حال.

محمد بن هاشم

تمهيد

لبزوغ الدولة الكثيرية

لبني كثير بن ظنّة بن عبدالله بن حرام بن عمر بن سبأ[1] الأكبر نفوس طموحة إلى المعالي والمجد، نزّاعة إلى التغلّب والتفوق، لم يرضها رفيع شممها واستشراق هممها بأن تجنح إلى الهدوء والسكون عندما كانت الجوالى المهاجرة إلى وطنها و الطوائف الدعيّة به وغير الدعيّة، تتناهب السلطة فيه، وتتنازع الاستيلاء عليه وتثير زوابع قاسية، وأعاصير عاتية، من الفتن الصمّاء للقبض على نواصي السيطرة والحكم بهذا القطر البائس وسكانه المنكودي الحظ آنذاك.

الداعي لحركة بني كثير:

في أواخر القرن السادس بينما كانت حضرموت ميداناً للمناورات السياسية وأتوناً جحيمياً تتساقط فيه الأطماع البشرية من أجانب ووطنيين. وبينما كانت الفوضى السياسية تحتل ربى البلاد ووهادها، تمور على شعابها وحضيضها، وباديها وحاضرها موراً يذهل الألباب ويرعد الفرائص. وبينما هذا القطر إذ ذّاك حبل المشادة بين بني راشد بن أقيال وبني يماني بن الأعلم ورجال الغز وهم الهاجمون من العساكر المصرية الآتي ذكرهم وجيوش ابن مهدي اليمني وغير هؤلاء من العشائر الوطنية من نهد

(١) بحضرموت قبيلتان عظيمتان، إحداهما كنانية والأخرى قحطانية، وكلاهما ينتسبان إلى ظنة وإلى حرام وكلاهما له دولة وصولة، فآل كثير ينتسبون إلى ظنة الرأس بن عبد الله بن حرام القحطاني، وآل يماني سلاطين تريم ينتسبون إلى ظنة بن حرام بن ملكان الكناني . قال الشيخ محمد بن عبدالله بن سليمان الخطيب في كتابه ((برد النعيم)) الذي فرغ منه سنة ١٠٢٥ نقلاً عن تاريخ الأهدل: والأمراء بمدينة حلى بني يعقوب يشتهرون ببني حرام بن ملكان من كنانة. انتقل جماعة منهم إلى حضرموت، وجدهم ظنة بن حرام

وبني حارثة وبني حرام...في ذلك الوقت العصيب رأى بنو كثير بن ظنة أن يضربوا لأنفسهم بسهم مستقل في مشروع العراك السياسي، وأن يشقّوا لعصاميتهم طريقاً بين الجموع الفوضية، فانطلقوا يبرمون وينقضون، ويغزون ويصولون، وقد جمحت بهم عصاميتهم الغريزية وحميتهم الوطنية إلى أبعد مدى في الإيغال إلى محو كل سلطة فوضية سياسية لم يسوغها حق غير النهب والفتح والاستيلاء على بلاد الغير.

واستقتل بنو كثير في تنفيذ تلك الخطة التي جاشت بها نفوسهم، والتي توصلهم إلى الشأو المطلوب وهو إنقاذ الوطن من تلك الفوضى الرهيبة والفتن المكتسحة، فلم ترعهم صولة الغز ونفوذ قوم توران، ولا دولة آل راشد ولا غارات نهد وبني حارثة، بل كوَّنوا لأنفسهم كياناً وطيداً ورأياً عاماً بعد أن انتعلوا الدماء، وافترشوا القتاد، واكتحلوا السهاد، وقاسوا من تنازع البقاء مع قوم شديدي البأس أقويا المراس ما لا يكاد يطاق سنيناً طويلة المدد كثيرة العدد.

غزوة الغز وموقف الكثيرية:

في سنة ٥٧٥هـ غزا رجال الغز غزواتهم العنيفة على حضرموت ودخلوا تريم يوم الجمعة لأربع خلون من ذي الحجة تحت قيادة أميرهم عثمان بن علي الزنجالي أو الزنجبيلي كما يقول البعض، أو الزنجاري كما يقول بعض آخر... دخلوا تريم بعد قتال شديد مع سلاطينها آل راشد. وليس بنو كثير يومئذٍ إلا عصابة خاملة من أضعف العصابات الوطنية حولاً وطولاً. بيد أن لها أعناقاً تتطاول إلى ما وراء الأفق البعيد مما لا ترمي إليه ولا تحلم به مطامع المتكالبين على الغارات والغزوات في ذلك الجيل.

فما انصرم القرن السادس إلا وقد بدأت سلالة ((كثير)) تتمركز بمركز جذاب استجلب إلى محوره أكثر العصابات المندفعة في الغارات على غير مبدأ لا سيما وأن لبني

كثير بلدة ((الغيظة)) وهي ثغر بحري ولهم فيه سفائن وسنابيق ربما تعرض بعض رجالها للمراكب الماخرة في عرض البحر القريب منهم فانتهبوها.

وقد استطاعت هذه السلالة أن تقنع الناس بضرورة وجود كتلة وطنية قوية تقبض على ناصية البلاد وتقو بإصلاحها على أسس وقوانين دولية نظامية تنقذ الوطن من الفتنة المتماوجة. وإنما كانت بنو كثير تشير بخفاء أنها هي التي ستحمل هذه المهمة على عاتقها. رغماً من المعارضات الكثيفة الفعلية والقولية التي تزعزع موقفها من حين إلى آخر، وكانت كلما عزمت على انتحال لقب سلطان فت في عضدها ما تشاهده من معاكسة الظروف وفجاجة الشروع وعدم نضجه نضجاً يخوّل ولو لبعض الشعب أن يقرَّها عليه.

المبدأ الذي قامت عليه السياسية الكثيرية:

يظهر لمن تتبع مجاري السياسة الكثيرية في ذلك العصر وقيامها على مبدأ التقرب من مشايخ العلم والصلاح من العلويين وأنصار السنّة بتريم وبيت جبير كآل با عباد وآل با جمَّال وغيرهم وتبركها بآثارهم ودعواتهم أنها تومئ من بعيد إلى أنها إنما تسعى لمحو آثار ذلك المذهب الأباضي الذي كوفحت دولته وصولته وانتهت مدته وشدته وقضي على البقية الباقية منه سنة ٥٦١هـ بشبام وأنها تود أن تشيَّد على أنقاضه دولة سنيَّة شافعية المذهب، نزيهة الاعتقاد، تسعد بها البلاد، ويرتاح بها القطر مما يكابده من الأهوال والويلات.

فالساسة المفكرون من ((آل كثير)) حينذاك لم يخف عليهم السبيل الذي يسلكونه إلى نيل رغائبهم، فقد بذلوا قبل كل شيء أقصى جهدهم لاستجلاب القلوب واكتساب مودتها، فهذه هي الطريقة المثلى للاستيلاء على الماديات فيما بعد.

اقتسام نهد السرير:

وفي أوائل القرن السابع أي سنة ٦٠١هـ اقتسمت نهد السرير ((السليل)) فاخذ بنو معروف ومرة شبام والحول((الغرفة)) وتريس، واختص بنو سعد وظبيان بحبوظه وسيوون، وانفرد بنو ظنة ببور ومسيب ومريمه.

فصعد الدم فائراً في رؤوس بني كثير بن ظنة، وطفقوا يجوبون البلاد رافعين أصواتهم لاستنكار هذه الفضائع التي لا مبرر لها، ثم ألبوا أساطين الحول والطول ورجال النفوذ الروحي والمادي ضد هذه القسمة حتى فشلت وتلاشت بأسرع ما يكون.

اتفاق الناس على طاعة عبدالله بن راشد[1]:

وفي يوم الخميس لليلتين خلتا من شعبان سنة ٦٠٤هـ أقبل راشد بن أحمدبن النعمان ومعه يحيى بن عبدالله بن جعفر واجتمعت أهل حضرموت وتحالفوا على السمع والطاعة لراشد والعمل بقوانين الشريعة الإسلامية والتأدب بآدابها.

---

(١) هو عبد الله بن راشد بن قحطان الحميري ولد بتريم سنة ٥٥٣هـ وقرأ صحيح البخاري على الفقيه محمد بن أحمد بن أبي النعمان الهجراني سنة ٥٨٣هـ وسمع الحديث عن أبي الصيف والمقدسي وابن عساكر سنة ٥٨٨هـ وولي السلطة وكان عصره أحسن العصور وخيرها وصحب جماعة من أهل الزهد والتقى والعلم والعمل والصلاح وعنه تؤثر القولة الشهيرة: في بلادي لا يوجد ثلاثة لا فاسق ولا سارق ولا محتاج. وكتب إليه الإمام الزاهد محمد بن أحمد بن أبي الحب رسالة مطولة استهلها بقوله:

أيا علم الأفضال والجود والكرم ... وعلامة الآداب في العلم والحكم

ويا عصمة الله الذي الناس ترتجي ... له دولة يرعى بها الذئب والغنم

وقد ترك الولاية في آخر عمره فاعتزل عنها سنة ٦١١هـ إلى قارة العر وحل بها وعكف على الطاعات ونيل المكرمات واكتساب الخيرات وقيل له في ذلك فقال: ما وجدنا آل حضرموت يوالوننا على الحق وسافر ليصلح بين قبيلتين فقتل في الطريق ظلماً رحمه الله سنة ٦١٥هـ .

ولكن كل هذا لم يستمر طويلاً بل عادت الفوضى والغارات والقتل بأبشع مما كانت. شاغلة كل من بقاع حضرموت حتى ضجَّ الناس وضجروا فاجتمع بنو حارثة وبنو حرام وغيرهم مرة أخرى سنة ٦٠٦هـ على طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة السلطان عبدالله بن راشد واجتمعوا في جامع تريم وتحالفوا على التخلي عمّا في أيديهم من قرى السرير (السليل) وغيرها ثم وجَّه عبدالله بن راشد رجالاً من جهته لخرص نخيل السليل وشبام والغيل . غير أن الأمور انتقضت ولم تلبث أن عادت المذابح والاعتداءات كما كانت فقتلت سيبان في السنة نفسها فهد بن راشد بن أقيال وابنه فارس ومحرماً ابن شجنعه في اثني عشر قتيلاً من رماة وخدم.

غزوة عمر بن مهدي لحضرموت

وبينما كان رجال السلطة في حضرموت في عناء لا يوصف من غارات العشائر وتحككها بالسلم. واستباحتها لسفك الدماء الغزيرة في سبيل تعزيز مطامعها وبينما كان السلطان عبدالله بن راشد في عزلته مضطراً بإلحاح الجمهور إلى أن يجمع له عساكر من تجيب ومدحج ليكبح بهم جماح قوم من عرب حضرموت صائلين فيلتقي العسكر بهم في الحول موضع الغرفة اليوم فيوقع بهم ويهزمهم شر هزيمة. بينما هذه الأمور كلها تجري إذا بالغز يعيدون غزوتهم البلاد من جديد.

وذلك في جمادى الأولى سنة ٦١٤هـ فيُقبل عمر بن مهدي اليمني يقود جيوشاً كثيفة ويستولي على الشحر بعد أن ينكل بولاتها آل فارس ثم يمر ببلدة عرف ويقاتله أهلها فيقتل منهم جماعة أشهرهم أحمد بن سالم بن بلعان ويستمر سائراً إلى الغيل الأسفل ويحصره إلى أن يذعن أهله ومنه إلى تريم فيحصرها ثم يدخلها في

٢٣ جمادى الأولى وينفي آل راشد ويتجه إلى شبام فيمتلكها من بني حارثة بعد قتال عسير، ثم تصفو له حضرموت كلها سنة ٦١٧هـ ويمتلك معها دوعن بأسرها. ويبني في سنة ٦١٨هـ حصن شبام ويحفر خندقاً يحيط بها. وفي السنة التي تليها يعيد بناء قارة العر ((بالعين والراء المهملتين)) بين صليلة ومكان آل صقير. ومع هذا كله فالبلاد لم تستقر له تماماً بل كل ما اتجه نحو بقعة منها انتقضت عليه الأخرى ثم شخص إلى اليمن لمقابلة الملك المسعودي بتعز وبلغه وهو هناك انتقاض أهل حجر عليه وقتلهم عدد من أصحابه.. فاستأذن المسعودي في العودة إلى حضرموت وعاد فعلاً وعرج على حجر وقتل من أهلها الجم الغفير واستمر راجعاً إلى حضرموت وقد انتقضت عليه دوعن ثم شبام ثم بنو ظبيان وبنو سعد ونهد كلها وهو يؤدب ويصالح والبلاد ثائرة والجو أسود قاتم. والمطامع الفوضية والنعرات القومية قائمة على سوقها. تقلع الرؤوس وتحصد النفوس وتطوح بالبلاد إلى حفائر الخرائب والدمار.

واستمرت الحالة المشئومة جارية على هذا المنوال وبنو راشد يبذلون المجهودات العظيمة في استرجاع ما يتخطفه الغز من بلدانهم وفي الخروج من المآزق الحرجة التي تسببها الغارات العشائرية التي كانت تصول وتجول وتستولي لنفسها على بعض البلاد وتحكمها ريثما تقوى غارة أخرى على طردها والاحتلال محلها.

صيال نهد وقتلها ابن مهدي:

وفي سنة ٦٢١هـ صالت نهد على عمر بن مهدي وهو بشبام فقتلته مع كثير من أصحابه وفتحت شبام. ثم اندفعت في صيالها حتى دخلت تريم وبها عبدالرحمن بن راشد ثم استولت على جميع بلدان حضرموت.

وأخرجت أولاد عبدالله بن راشد من سجن ابن مهدي ولكنها ما عتمت أن زحزحها مسعود بن يماني واستولى على البلاد في السنة نفسها وهي تتلاعب بها أمواج الاضطرابات والارتباكات المستمرة بدون انقطاع.

آل كثير أثناء هذه الزوابع

وبنو كثير بن ظنة إذ ذاك يجدّفون وسط هذا البحر العجاج بكل حكمة وهدوء. وينظرون إلى هذه الحالة المؤسفة نظر الربان الماهر ذي القلب الثابت الذي يدير دفة سفينته إدارة يتغلب بها على الزوابع والكوارث الجويّة. وبرزت شخصية الكثيريين إلى الميدان وانضم إليها جماعة من طلاب الإصلاح وناشدي النظام.

وساعدها على النجاح اتصالها بذوي السلطة الروحية في الشعب وتفانيها في حب رجال الصلاح والتقوى. ويبدو ذلك الاتصال القوي ظاهراً في قول الإمام الصفوة أحد أعلام السنّة بحضرموت مربي السالكين وبهجة المريدين الشيخ العلامة علي بن عمر با عباد رحمه الله ونفعنا به. نحن وآل كثير شيء واحد كالكفين من الساعد وكتفاحتين من شجرة.

ولا ريب إن لهذا الاتصال الروحي أثره الفعّال في الاتجاهات السياسية التي سلكها الكثيريون في ذلك الجيل وأخذوا يرتادون لأنفسهم نقطاً مواتاً يحتلونها ليجعلوا بها طوابي ومواقع حربية تعينهم على تنفيذ تلك الخطة الشاقة التي يرمون تنفيذها. ففي سنة ٦٢٩هـ اختطوا في وادي بوحه في مدينة عينات الجنوبية عند السفح وهي عينات القديمة، أما الشمالية فهي عينات الجديدة التي أسسها فيما بعد سيدنا الشيخ أبوبكر بن سالم العلوي نفع الله به. ولم تستطع أية قوى من تلكم القوى المتطاحنة أن تتغلب على نظريتها في ذلك الجيل العصيب ومن أجل هذا

التكافؤ الرائع ظلت البلاد وأهلها عرضة للسلب والنهب والقتل والخوف والفقر والجوع وغير ذلك من الويلات التي تتولد عادة من الفتن والحروب. وظلت المدائن والقرى كما ذكرنا تنتقل من بني يماني إلى راشد إلى بني حارثة إلى بني سعد إلى بني حرام إلى بني ظنة إلى غيرهم من تلك الأقوام المتناحرة. والمثل الحضرمي يقول: من طالت يده فالهو جلة هو جلته.

بنو حرام[1] وآل كثير :

ولم يرق في عيني يماني بن جعفر وزعيم بني حرام ذلك التفوق الكثيري في ميدان السياسة واستكثارهم في الاستحكامات واحتلال النقط الحربية فاحتج على الكثيريين احتجاجاً قوياً أعقبه الإنذار ثم الحرب وذلك في سنة ٦٣١هـ حيث صال عليهم حتى وصل إلى عينات. وطالت بعدئذٍ المناوشات بينه وبينهم حتى دخل سنة ٦٣٢هـ فهجم عليهم بعنف وحصر مشطة وعينات.

واتفق في تلك الأثناء أن امتلك ابن أقيال الشحري تريم وشبام وما بينهما بالشراء. فأقبل عليه بنو حرام يغرونه بآل كثير ويستنصرونه عليهم فجهز جيشاً وحصر مشطة ثم عسكر إلى عينات. ولكنه لم يظفر بطائل ثم لعبت السياسة أدوارها وانقلب ابن أقيال ضد بني حرام بحجة أنهم قومٌ يعيثون في الأرض فساداً وأنهم يتسلطون على الناس بدعوى أن لهم حق حمايتهم فبطش بهم وقتل من زعمائهم سبعة في مصنعة[2] تريم (الرناد) منهم يماني بن جعفر نفسه وذلك أواخر شعبان سنة ٦٣٥هـ.

---

(١) قالوا إن بني حرام قاموا يتسلطون على الناس بحضرموت بدعوى حمايتهم .

(٢) المصنعة عند الحضارمة هي الحصن أو القلعة.

العلويون وعزلتهم:

وربما يلاحظ القارئ فيما نقلناه من النتف التاريخية أن العلويين غير مذكورين بشيء ما. لا بتحيّز ولا بإصلاح تجاه تلك الفتن الهائلة والتناحر الشديد بين طلاب السلطة في القرنين السادس والسابع ويؤخذ من التاريخ أن الجدير بمركز العلويين في ذلك العصر الرهيب هو الابتعاد مطلقاً عن مادة (ساس يسوس) والإمعان في الهرب من المشاغبات والمماحكات التي ولع بها رجال ذلك الجيل. ولذلك ترى العلويين إذا ذاك قد كسروا سيوفهم وقطّعوا أوتار قسيهم، إعلاناً لتطليقهم السلاح الذي هو الأداة الوحيدة للتناطح في سبيل الاستيلاء والتفوق، وهو الزميل الناصح لمن تطمح نفسه به إلى السلطة والتغلب. وما يدريك فلعل رجالاً من تلك العصر ساورهم شيء من الظن بالفقيه وقومه حذراً من تطلعهم للملك وتشوفهم للاستيلاء وطمعهم فيما يتزاحم الناس عليه من دواعي السطوة، وأرائك الغلبة، لا سيما وهم المنتمون إلى الأصول الهاشمية والدوح الطالبية الذين طالما غازلوا الإمامة وغازلتهم. وصبوا إليها وصبت إليهم في كل مكان وزمان وبكل بنان وسنان ولكن الفقيه المقدم رضي الله عنه برهن بكسره سيفه لأولئك الظانين على أنه بواد غير وادي سفاسفهم وحطامهم وأنه في شغل شاغل عما أخذ بمجامع قلوبهم ومسلك وجهاتهم:

سارت مشرقة وسـرت مغربـاً ... شـتان بـين مشـرق ومغـرب

وهنالك رأيت السادة العلويين المعرضين إعراضاً كلياً عن المشاغبات وكل ما يقرب إليها من قول ومن عمل عاكفين على تدريس العلم وإرشاد الطالب. ونشر الفضائل وإكرام الوارد والصادر والتزام الطريقة الصوفية التي هي كما يقول

السيّد عبدالله بلفقيه العلوي في كتابه (تاريخ المهاجر) نقلاً عن العلامة علوي الحداد العلوي (تمرين النفس على العمل بالعلم والتخلّق بالأخلاق الحسنة والتحقق بحقائق الإيمان ومطالبة النفس بأحكام المعبود لا تصوف الحقائق المجردة الذي كانوا ينهون عنه أبلغ النهي ويعيبون من مال إليه ويمنعون أبناءهم عن مطالعة كتبه ولا تصوف الأوضاع والرسوم) .

عود إلى بدء :

قلت ربما يمل القارئ من عودتنا إلى سرد تلك الحوادث المتشابهة من هجوم ونهب وسفك دماء واستيلاء – الأمور التي كانت تشرق بها حضرموت وتغص. ولم يغنها فتيلا احتلال الأيوبيين؛ ولا استيلاء الرسوليين عليها بل مضت السنون تباعاً والحال على ما وصفنا من التآكل القومي ومن مباغتات الويلات والأهوال.

ومات مسعود بن اليماني والي تريم سنة ٦١٨هـ وكان رجلاً كثير اللهو والملذات غير أنه قبيل وفاته أقلع على يد الشيخ محمد بن علي الخطيب وترك الملك لابنه عمر بن مسعود. فلم يأل هذا جهداً في إضرام نيران الفتن على العشائر المناوئة وما عتم أن جنّد زمراً من البدو والقرار وفرق كلمة بني حرام وضرب بعضهم ببعض.

الحبوظي وظهوره

في ذلك العام نبغ سالم بن إدريس بن أحمد الحبوظي الحضرمي وكان أمير ظفار كما سنبينه بعد فاستفحل أمره وطمع في حضرموت وأقبل عليها، وانتهز بنو كثير منه هذه الفرصة فقاموا معه ووالوه وروّجوا سياسته؛ وكان قد اشترى مدينة شبام سنة ٦٨٣هـ وطفق يستولي على قرى حضرموت قرية قرية فأحاط بتريم

وحصر ابن مسعود فيها وأقام تحتها ثلاثة شهور وافتتح دمّون والعجز والغيل الأعلى وسيؤن. وفي مدة حصر تريم كان عمر بن مسعود قد أرسل ولده يماني إلى الغز ليجند منهم جنداً يدافع بهم ويهجم ولكنه فشل في مهمته وعاد ولم يأت بأحد معه.

الحبوظي وآل كثير:

وتولى آل كثير إدارة العسكرية الحبوظية واشتدت الفتنة على تريم فخلت البلاد من أهلها. وعمَّ الخراب. ولم تقم في تريم جمعة مدة الحصر الذي امتدَّ إلى تسعة شهور وتوجه سالم الحبوظي إلى ظفار مقر مملكته. وأناب آل كثير على القرى. ومات في ذلك الوقت علي بن عمر بن كثير الأول سنة ٦٧٥هـ وليس هو علي بن عمر بن جعفر الآتي ذكره. وخلف علياً الأول ابنه محمد بن علي بن عمر بن كثير ولم يكن دون أبيه حزماً وعزماً وتفكيراً.

ومات فيها عمر بن مسعود بن يماني والي تريم بعد أن فعل الأفاعيل وصبغ أطيان ولايته بالدماء. وصد الحبوظي عن تريم وكان قد ترك أخاً له أديباً شاعراً يسمى محمداً رفض أن يتولى الملك بعد أخيه فتولاه ابنه يماني بن عمر.

وعندما توجه الحبوظي إلى ظفار كما ذكرنا كان صدره مفعماً بالآمال العظيمة في أن يبتسم له الدهر ويتملك البلاد بطولها وعرضها. ولكن المواصلات البطيئة في ذلك العصر كانت لا تساعد الحظوظ على حفظ ما يستولي عليه من المواضع إذا ابتعد عنها، ولا على الإسراع إلى استعادته عندما ينفلت منه.

فالرجل ألجم المطامع يحتاج حينئذٍ إلى شكيمة قوية وجندية واسعة وإدارة منظّمة ورجال أمناء أكفّاء يأتمنهم إذا غاب ويعتمد عليهم إذا غفل. ولم يكن

الحبوظي كذلك فإنه قد يكتفي باسم الاستيلاء فقط والقنوع بشيء من الرسوم ثم يترك البلد وشأنها جاعلاً عليها عاملاً فريداً لا يلبث أن يستقل بها أو يُطْرد عنها.

ومكث الحبوظي يطوف البلدان التي امتلكها بحضرموت فيجدها خاضعة اسماً فيضيف إليها ما يسهِّل استيلاؤه عليه حتى طمعت نفسه في الشحر إذ بلغه أن الغز استولوا عليها وأنه هرب صاحبها ابن شجنعة إلى الجبال وذلك سنة ٦٧٧هـ فجهز الحبوظي عليها بحراً وبراً ونزل إلى البر والتحمت الحرب بينه وبين الغز وانتهى بفشل الحبوظي وانهزامه. وعاد إلى ظفار وأقام بها إلى سنة ٦٧٨هـ حيث جهز الملك المظفّر عليها جيشاً من البحر وجيشاً من البر من طريق حضرموت أميرهم ابن الجنيد ففتح الهجرين وجعل عليها ابن شماخ واجتمع الجيشان تحت ظفار ففتحوها وقتلوا سلطانها سالم بن إدريس المذكور.

سبب تجهيز الملك المظفّر على ظفار:

ولسبب تجهيز الملك المظفر خبر طويل حكى بعضه صاحب (هدية الزمن) وأوضحه المؤرخ اليمني صاحب (العقد) فننقل كلامه برمته لفائدته وعلاقته بما نحن فيه. قال:

((ابتداء سبب فتح ظفار وقتل صاحبها سالم بن إدريس الحبوظي وقتل معه يومئذٍ نحو ٣٠٠ قتيل وأسر خلق كثير هو مجاعة عظيمة وقحط شامل أصاب أهل حضرموت. فأقبل أهلها إلى سالم بن إدريس الحبوظي، وطلبوا منه ما يدفعون به كلب الجوع عنهم تلك السنة وسلّموا إليه مصانعهم وحسّنوا ذلك عنده فأجابهم إلى ما طلبوا وخرج هو مع الوفد إلى حضرموت لإتمام الكلام وهذا أمر غريب لم يسبقهم إليه أحد. ولم يعلم دهاهم ومكرهم فلما أخذوا منه جميع ما

طلبوا سلّموا إليه المصانع فقبضها وعاد إلى ظفار ورأى أنه قد أفلح وأن حضرموت قد صارت كلها تحت يده فلما رجع إلى ظفار مالوا ميلة واحدة على مصانعهم وأخذوها طوعاً وكرهاً ولم يكن دونها حائل فأصبح لا مال له ولا بلاد. فكاد يهلك أسفاً على ما فرط منه في أمواله.

واتفق أن السلطان المظفر الغساني رحمه الله ندب سفيراً له إلى فارس بهدية وصحبه جماعة من التجار فصرف بهم الريح من طريقهم ورمى بهم إلى ساحل ظفار فقبضهم سالم بن إدريس الحبوظي وقبض ما معهم من الهدايا والأموال. وافتكر أن هذا خير مما فات عليه في حضرموت. فراسله السلطان المظفر بسبب ذلك وكاتبه. وقال له: لم تجر عادة بهذا ونحن نجلك عن قطع الطريق. وأنت تعلم ما بيننا وبين والدك من الصحبة والجميل. غير أننا نتأدب بآداب القرآن العظيم فإن الله سبحانه يقول: ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)). فازداد سالم غيظاً وجهلاً وأجاب: هذا الرسول فأين العذاب؟ وغير ذلك من العجب والحمق. ولم يكن منه بعد ذلك إلا أنه أفسد صاحب الشحر راشد بن شجنعة فمال إليه هرباً من الخراج الذي كان عليه للسلطان المظفر. وكان عليه كل سنة مرسوم يحمله إلى الخزينة المعمورة فكان حتفه في سوء رأيه ونهض مع ذلك سالم بن إدريس وسولت له نفسه الغارة على عدن. وكان السلطان المظفر يومئذٍ بالجبل فاستكبر الناس ذلك من سالم بن إدريس إذ لم يقدم على هذا صاحب الهند ولا صاحب الصين ولا ملوك فارس واغتاظ السلطان المظفر غيظاً شديداً. وجهّز الأمراء والقوّاد تتبعها العساكر العظيمة من الفرسان والرجالة براً وبحراً ومقدم الجيوش يومئذٍ الأمير شمس الدين أزدمر سناد وزير السلطان. وقال له السلطان:

أنت تقتل سالم بن إدريس إن شاء الله فإني رأيت فيما يرى النائم أن حية عظيمة خرجت من كوة. فقلت لك أقتلها يا أزدمر فقتلتها وعدت إلى مقامك. وكان طريق الأمير شمس الدين في البر صعباً ووعراً على شواهق الجبال مرة وعلى كثبان الرمل أخرى وقد يسيرون على شط البحر.والمراكب تجري موازية لهم فإذا بعد الطريق عن البحر زاد تعبهم وضاقت أحوالهم حتى يدور إلى الساحل فيرتاحون. وكانت المراكب مشحونة بالقنا والسيوف ولجم الخيل وسروجها وأنواع الأسلحة وكانت الأسواق قائمة كأعظم ما يكون من الأسواق في المدن. وفيها من أصناف الطبّاخين والخبّازين والحلاويين وأرباب الصنائع ما لا يوجد مثله إلا في المدن وقد اجتمعت الجيوش المذكورة كلها في بندر سيوت بظفار فأقبلت السنابيق في البحر كأنها العقبان ثم أقبلت الطريدة وهي المراكب العظمى وقدامها السفرة كأنها الجبال الماخرة. والسيوف مسلولة. والأعلام خافقة وفي هذه الطريدة توجد الخزانة السعيدة وفيها أربعمائة ألف دينار ملوكية وأما القماش من البنادقي والسوسي والموسلي والزبيدي ما لا يحيط به الحصر. فلله درّه من ملِك ملأت البحر والبر كتائبه، ووسع العرب والعجم مواهبه ورغائبه فكان كما قال عمرو بن كلثوم:

ملأنا البر حتى ضاق عنا وبطن البحر نملؤه سفينا

فتح ظفار وقتل الحبوظي:

قال: ولما اجتمعت العساكر المنصورة في بندر سيوت وكان عدد الفرسان خمسمائة والرجالة سبعة آلاف. قال بعضهم لبعض قد رأيتم ما نحن فيه من إنفاق الأموال وركوب الأهوال والتواني حينئذٍ عجز ولم يبقى إلا الحزم والعزم فساروا

حتى بلغوا عرفة وهي محلة من محال ظفار فارجف عليهم بأن خيل حضرموت وكذا خيل البحرين وصلت إلى ظفار نجدة للحبوظي، فتشاوروا بينهم وقالوا: إنما جئنا للقتال لا غير ولم يكن في ظنهم أن سالم بن إدريس يبرز لهم، فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم أهل ظفار يقدمهم سالم بن إدريس، فلم رأى العساكر المنصورة تأهبت للقائه صف لهم على بعد من المدينة وصفوا له ولم يكن بأسرع من أن التقوا واصطدموا بعضهم ببعض صدمة واحدة. فجالت العساكر المظفريّة جولة اقتلعت فيها عدداً عظيماً من الفرسان ثم كانت الهزيمة، فما نجا من أهل ظفار إلا من استأسر فكانت القتلى ثلاثمائة قتيل والأسرى نحو ثمانمائة.

وأخذوا من العبيد ما شاء الله. فقتل سالم بن إدريس فيمن قتل ولم يكن له قاتل معروف واستبق الناس على باب ظفار وضربت الخيام على باب المدينة وكان الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير شمس الدين أزدمر قد تركه أبوه في الخيمة في المحطة فجاء العلم منه إنّ رأس سالم بن إدريس صار عنده. وقيل قد عرفه أخوه موسى بمصحفه فقال: هذا مصحف أخي وما أظن أخي إلا مقتولاً، ثم طلبوه بين القتلى فوجدوه قتيلاً، فَقُبِر جسده بدون رأس وطلب أهل ظفار الذمة فأعطاهم إياها الأمير شمس الدين أزدمر فدخلت الأعلام السعيدة المظفّريّة مدينة ظفار يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر رجب ووضع العفو على الناس كلهم ولم يؤخذ لأحد شيء. وخطب الخطباء على منابر ظفار بالألقاب الشريفة المظفّريّة يوم الجمعة والثالث من شهر شعبان سنة ٦٧٨هـ المذكورة وقبض الأمير شمس الدين أزدمر قصر ظفار وقبض على كافة بني الحبوظي وحملهم إلى زبيد وانقرض عقبهم. انتهى ما اخترنا نقله من كلام المؤرخ صاحب العقد.

نشاط آل كثير

وبقتل الحبوظي تنفست حضرموت الصعداء وارتفع عنها كابوس طالما أقض مضجعها ونغّص عيشها وتشبثت بنو كثير بما بين أيديهم من القرى ولم تفتهم هذا السوانح لمضاعفة جهودهم فانقضى القرن السابع وأهلَّ على الناس القرن الثامن وذلك الشأو الذي يرمقه الكثيريون لا يزال بعيداً والشوط بطيناً وحضرموت متفرقة بين ولاة متعددين تحول بين اتفاقهم حظائر شائكة من العداء والضغائن.

وشعار آل كثير كما ذكرنا استجلاب الرأي العام بالتقرب إلى من يوقرهم من رجال العلم والفضل. وعليه فقد اختار الشيخ الكبير محمد بن عمر با عباد أن يؤسس له داراً بالسفح من الحول ليسكنها فأسسها وسماها الغرفة وهي أول دار بنيت بذلك الموضع وذلك سنة ٧٠١هـ ثم بنى الناس بعد ذلك فكان استهلال القرن الثامن بتأسيس قرية على تقوى في كبد السرير له أثره الفعّال في النفس الكثيرية التي لا يفوتها استغلال مثل هذا المواقف المساعدة على نجاح مشروعها وانتشار نفوذها وأصبح الشيخ محمد وكذا ولده الإمام الشيخ عبدالله الملقَّب بالقديم في مقدمة الذين لا يقصّرون في نصرة آل كثير وتنشيطهم وترويج مشروعهم بين الدهماء علاوة على ما يقوم به العلويون من الجهة الأخرى من حسن الدعاية وتمهيد السبيل.

استيلاء آل كثير على بور:

وكادت قرى السرير ((أو السليل)) كلها تصبح تحت النفوذ الكثيري لولا أن بور _ وهي تعد من أمهات قرى السرير يومئذٍ _ أبت أن ترضخ لما رضخت له أخواتها من السلطة الكثيرية. واستمرت المفاوضات السلمية بين الطرفين بواسطة وبغير واسطة جارية بدون انقطاع.. ولكنها كلها انتهت بالفشل لأن قبيلة آل با نجّار وهي القبيلة المثلى ببور لم ترد إلا أن تفضِّل المقاومة على الخنوع والتسليم. ودخلت سنة ٧٢٣هـ

والمصلحون قد تحمّلوا شططاً من الأتعاب التي تكبدوها في الوساطة بين بور وآل كثير. وقد اضطرّوا إلى العودة إلى ديارهم آسفين وفُوِض التحكيم للسيف فهجم آل كثير على بور وسرعان ما استولوا عليها وقتلوا جماعة من آل با نجّار. منهم أربعة كانوا ولدوا في يوم واحد واختتنوا في يوم واحد وختموا القرآن وبدأوا يصلون في يوم واحد.

دولة آل يماني بتريم:

وشاءت الظروف أن تسقم عناصر دولة آل يماني بتريم ومات عبدالله بن يماني بن عمر بن مسعود بن يماني سنة ٧٤٢هـ وتولى أخوه أحمد بن يماني. وحدث بينه وبين أهل قارة الصناهجة سوء تفاهم فحمل عليهم وتملك القارة سنة ٧٤٨هـ وما عتمت أن انفلتت منه وطفقت دولته تجود بنفسها حتى قضت سنة ٧٦٩هـ عندما مات محمد بن أحمد يماني. إذ تنازع الولاية بعده ابنه عبدالله وابن أخيه راصع بن دويس. ولكل منهما أنصار وأعوان ولم تقصر أصابع السياسة من السلطات الخارجية الناظرة إلى تريم نظر الذئب إلى الحمل لم تقصر هذه الأصابع في التوقيع على النغمات التي تفكك عرى آل يماني ابن راصع وتدفع كلاً من الطرفين إلى الرقص على نشيد:

أقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

وبقيت دولتهم هكذا بين الحياة والموت. ومن أشهر سلاطينها السلطان العادل سلطان بن دويس بن راصع المتوفى سنة ٨٧٢هـ ولما أخذ تريم بدر بن عبدالله بن علي سنة ٨٨٩هـ انتقل بعض آل يماني إلى اليمن ولم تصف لبدر بل عادت للباقين منهم حتى أخذها بدر بو طويرق سنة ٩٢٧هـ كما سيأتي بعد.

ومؤسس دولة آل يماني هو مسعود بن يماني بن لبيد الظني قُبِرَ سنة ٦٤٨هـ بمقبرة الفريط بتريم بجانب ضريح الشيخ علي الخطيب شيخه وبنى عليه ابنه عمر قبة وهي أول قبة بنيت بمقبرة تريم. ومات عمر سنة ٦٧٥هـ وولده يماني سنة ٧١٤هـ وعبدالله بن يماني سنة ٧٤٥هـ.

آل كثير والظلفان:

وظهر لبني كثير بن ظنة أثناء القرن خصم جديد قوي الشكيمة صعب المراس عرقل عليهم مساعيهم طوال القرن وهو رجال الظلفان من أهل هينن فقد ضاق هؤلاء ذرعاً ولم يطيقوا صبراً على ما يمر أمامهم من الجشع الكثيري وفوزه وتطاوله نحوهم وتححكه بمحاسيبهم والمستجيرين بهم. فأخذ الصفو يتعكّر بين الفريقين أي الظلفان وآل كثير حتى تفاقم الأمر وامتشق الحسام وتأصّلت العداوة بينهم وطال أمدها وتوارثها الأحفاد عن الأجداد واستمرت نحو قرن ونصف لا يهدأ للطرفين منها بال ولا يقر لهم قرار.

ميلاد الدولة الكثيرية:

وفي أواخر القرن الثامن أي حوالي سنة ٧٨١هـ تفرغ أبناء جعفر بن بدر الكثيري وهم يماني ومدرك وعمر لمناوشة الظلفان وإقلاقهم والتفت أفراد الوحدة الكثيرية الآخرون إلى تدبير السلطنة التي أوشك فجرها أن ينبثق. وقد رأوا أن الأوان مناسب والأقدار مواتية وأصوات المعارضين من طلاب السلطة خافتة ومكائدهم ضعيفة. فبدأت السلطة الكثيرية حينئذٍ تجري على نظام موزون وتدبر مملكاتها وشئونها بحكمة ورزانة. وتتزلف إلى أهل الفضل والعلماء وتقبل شفاعاتهم حتى تمنّي أولئك الذين لا يزالون تحت لواء آل أحمد والصبرات وغيرهم أن تظلهم الراية الكثيرية وتسري عليهم سلطتها. وفي هذه الأثناء ولد السلطان علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير وولد معه سعد الدولة الكثيرية ومجدها.

وبه أصبحت الدولة الكثيرية دولة رسمية يقرها جمهور أهل القطر الحضرمي. من أجل هذا رأينا أن نبدأ به في كتابنا هذا عند سردنا سلاطين آل كثير وأخبارهم. إذ هو بدون مرية عميد الدولة ومؤسسها وجد سلاطينها أجمعين.

القسم الأول

الدولة الكثيرية الأولى

سلاطينها وأمراؤها

كلمة وجيزة:

وبعد فقد التزمنا على أنفسنا في هذا الكتاب أن نكتب ما عثرنا عليه في كتب التاريخ من أخبار القوم مجردة من الملاحظات والانتقادات والأخذ والرد، والتحليل والتركيب فلا نقول مثلاً أن القائد الفلاني ارتكب غلطة أو لو أن السلطان فلان عمل كذا لكان كذا، لأننا أعلم الناس بعجزنا وقصورنا عن إدراك الظروف المحيطة بذلك القائد أو بذلك السلطان – ألتي اضطرتهما بالأمس على سلوك ما رأياه حزماً وجزماً ونراه نحن اليوم منهم عجزاً وإهمالاً، ولست أجد لي حقاً في مؤاخذتي أشخاصاً على سلوك سلكوه أناخت على علله وأسبابه السنون. ودفنت مبرراته ومسوَّغاته طوال القرون. ولعل لأولئك القوم أعذاراً لو لم يغمرنا الغرور لانتحلناها لهم إن كانت أو لم تكن ولعل لهم مواقف لو وقفناها نحن لزلقت أقدامنا إلى أعمق هوة وأبعد قرار مما وقعوا فيه. فليعرف المرء قدر نفسه وليتق الله في أقوام قد خرست ألسنتهم عن الدفاع عن أنفسهم رحمة الله عليهم:

يصد جبان النفس عن هجو عائش بحق ويهجو ظالماً ألف ميت

١_ السلطان علي بن عمر

السلطان علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير. هو أول من حوّل القبلية الكثيرية إلى دولة منظمة وهو أول من نُصِب سلطاناً على

حضرموت التي كانت إلى وقته متفرقة بين ولاة كثيرين وقد غمرهم الشحناء وشملتهم الضغينة فأصبح الواحد منهم لا يطمئن له مضجع ولا ترسخ له قدم ولا يجهل مصيره السريع ومصرعه المنتظر حينما تبطش به إحدى تلك السلطات العاوية حواليه والتي هي أشبه شيء بحباب الماء تسمو واحدة وتفنى الأخرى.

ولد السلطان علي بن عمر ببلدة بور وقد مهدت العبقرية الكثيرية السبيل لنيل نابغة مثله ما تصبو إليه نفسه من العظمة والسلطان ولم أعثر على تاريخ ميلاده غير أنه غادر بلدة بور سنة ٨١٤هـ واتصل بالشيخ علي بن عمر با عباد وغيره من رجال الصلاح وكانوا يعدونه بالاستيلاء على ظفار وجميع بلدان حضرموت فاشتدّ عزم علي بن عمر بذلك وشرع يذلل العقبات ويزحزح الحواجز ويحارب ويغزو حتى استتب له الأمر وخضعت له الرقاب واستحق لقب السلطان.

ففي سنة ٨١٦هـ صعد السلطان علي بن عمر إلى ظفار وقد بلغه أن ابن قسمان واليها قضى نحبه وأن ابن جسار أعاد الكرة عليها واتحد مع القرى فدهمهم السلطان علي والتقى وإياهم تحت ظفار وتعددت المناوشات بين الطرفين ثم كانت منه البطشة الكبرى بهم فقتل فيهم وأسر واستولى على ظفار تماماً.

ذكر نبذة عن تاريخ آل الحبوظي:

وظفار المذكورة هي ظفار الحديثة التي اختطّها أحمد بن محمد الحبوظي سنة ٦٢٥هـ وأمر أهل مرباط – وهي ظفار القديمة – بالانتقال إليها وكان أحمد الحبوظي المذكور سلطاناً جواداً شهماً حسن السيرة يُحكى أن أهل مملكته ووجوه دولته نقموا عليه شيئاً في بعض السنين فاعتقلوه ونصّبوا ابن أخيه مكانه فلم تكن

سيرته مرضية فكتب أحمد المذكور إلى الوزير ووجوه دولته كتاباً أودعه هذه الأبيات:

حاشكم أن تقطعوا صلة الذي ... أو تصرفوا علم المعرف أحمدا
هو مبتدأ نجباء أبنا جنسه ... والله يأبى رفع غير المبتدأ
أغريتم الزمن المعاند باسمه ... وحذفتموه كأنه ياء النداء

فعزلوا ابن أخيه وأعادوا السلطان أحمد إلى ولايته فلم يحدث إلى أحد منهم ولا ابن أخيه شيئاً يكرهونه.

وأحمد الحبوظي هذا هو أول من ملك ظفار من الحبوظيين رسمياً بعد ولاية أبيه غير الرسمية لأن أباه محمد بن أحمد الحبوظي كان فقط يتجر للسلطان محمد بن أحمد الأكحل صاحب مرباط المشهود له بالكرم والسخاء.

الأكحل وكرمه:

بلغ الأكحل المذكور من الكرم والسماحة ما لم يبلغه إلا الأفذاذ النوادر، وكان مما يؤْثر عنه أن جماعة من أعيان حضرموت قصدوه بهدايا تليق بأحوالهم وصحبهم فقير أديب فسمعهم يذكرون السلطان بالجود والكرم ويذكر كل منهم ما معه من الهدايا.. فاجتنى الأديب الفقير ضغطاً من عروق الأراك الذي يستاك به عددهن سبعة وجعلهن حزمة فلما وصلوا مرباط ودخلوا على الأكحل بهداياهم دخل الأديب معهم ووضع ما معه من الأراك بين يدي السلطان وأنشد:

جعلت هديتي لكم سواكا ... ولم أقصد به أحداً سواكا
بعثت أليك عوداً من أراك ... رجاء أن أعود وأن أراكا

فأمر أن تخلى لهم بيوت وللأديب مثلهم وأرسل للأديب بجاريتين ووصيف يخدمونه مدة إقامته وكذا كان يفعل لكل ضيف يصله فلما عزم الأديب على الرجوع أمرهم أن يعطوه من كل شيء في خزائنه إن كان مما يوزن بالبهار كالحديد

والقاز سبعة أبهرة وإن كان مما يوزن بالمن كالزعفران ونحوه سبعة أمنان وكذلك مما يكال أو يقاس سبعاً سبعاً بأكبر مقياس!!

ولما مات محمد الأكحل هذا ولم يترك عقباً ولا في أهله من يتأهل للملك من بعده تولى الملك بعده محمد الحبوظي المذكور آنفاً. وبعده تولى ابنه أحمد الذي ذكرنا أنه اختط ظفار ثم بعده ابنه محمد ثم ابنه إدريس ثم سالم بن إدريس الذي حدث بينه وبين المظفر ما ذكرناه في المقدمة فكان ملك آل الحبوظي بظفار نحو ٧٥ سنة ثم انتقل إلى اليمانيين واستمر بيدهم حتى انتزعها منهم آل كثير سنة ٨٠٧هـ وذهب واليها إلى اليمن ولم يلبث راصع بن جسار وهو من أتباع راصد بن دويس أن نازعهم إياها فوقع الاتفاق بين الطرفين على أن تبقى ظفار بينهما أنصافاً وفي سنة ٨٠٩هـ أُبعد عنها ابن جسار واستبد بها آل كثير ولكن ابن قسمان سرعان ما أجلاهم عنها واحتلها. ثم كان ما ذكرنا من وفاة ابن قسمان واستيلاء السلطان علي بن عمر عليها تماماً.

الإمام صاحب مرباط:

ومرباط المذكورة إنما هي قرية على الساحل بينها وبين ظفار الجديدة مرحلتان إلى جهة حاسك جهة الشرق وبها قبر الإمام الشيخ محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى وكان الشيخ المذكور نبراساً مضيئاً وعلماً مشهوراً وكان ينفق على خلق كثير بمرباط وبيت جبير بحضرموت قالوا أنه وفد عليه مرة جماعة من الصبيان فقال لأهله:أصنعوا لهم طعاما، فقالوا: ما عندنا حب ولا دقيق فقال لهم: اجمعوا اليخامير واخبزوها وكانوا يبقون في أواني الرهى شيئاً يسمونه اليخمور وجمعه يماخير ليخمّروا الفطير الذي يصنعونه فيها قال

فجمعوا اليخامير وخبزوها فملأت سبع جفان من الخبز وكان يربع[1] القوافل من بيت جبير إلى ظفار رحمه الله ونفعنا به.

مرباط أو ظفار القديمة:

وإنما سميت مرباط مرباطاً لكثرة ما يربط فيها من الخيل. وكانت خصبة كثيرة الأعشاب – فالمطر ينزل عندهم طيلة شهور السنة. ليلاً ونهاراً في أيام الخريف هذا ما عدا الآبار القريبة المياه من سطح الأرض. وبها عيون كثيرة فكانت متجراً للخيول العربية ترد إليها طلابها من الهند والسند. وكان الفرس يباع بالمائتين والثلاثمائة ريالاً وفي زمن السلطان بدر بن عبدالله الكثيري حدث التحريج على الخيل وعلى اللبان والصيفة[2] في ظفار وضواحيها لأسباب لم يكشفها التاريخ لنا بعد. فأثَّر ذلك في تجارة البلاد وعمرانها وانقطعت عنها الإمدادات ثم أطلقت الصيفة واللبان وبقي التحريج على الخيل وهي التي تدر على البلاد بالفائدة والحركة التجارية، وتجارة الخيل بظفار هي العنصر الأهم لعمرانها، ولذلك تقطعت أسبابها بعد التحريج فبعد أن كان يرد إليها أهل المواسم التجارية من الهند والسند وعمان واليمن وتأتيها القوافل من حضرموت ومن جميع البلاد العربية وتروج بها كل البضائع والأمتعة وبعد أن كانت سوقاً عاماً أخذت في التقهقر شيئاً فشيئاً فضعف بها التجارة وعدم النقد وصفّرت الأيدي وعطشت القلوب وانتقل أكثر أهلها عنها وصارت السفن تمر تجاهها ولا تلقي لها بالاً ولا يرسو بميناها إلا ما يرميه الريح إليها اضطراراً. وها هي اليوم أصبحت كما قال الر اجز:

وقريـــة لـــيس بهـــا أنـــيس إلا اليعـــافير وإلا العـــيس

(١) يربع القوافل: أي يجيرها.

(٢) الصيفة: هي زيت السمك.

واستمرت ظفار في يد الدولة الكثيرية الأولى إلى أن أفلّ نجم هذه الدولة منها سنة ١١٣٠هـ كما سيأتي.

الاضطرابات في أيام علي بن عمر:

ولم يسلم علي بن عمر من الثورات والحركات العدائية ضدّه بل مرت حياته كلها وهو في جهاد مستمر وكفاح صارم في سبيل توطيد دعائم السلطنة التي لم تصل إليه إلا بعد أن دفعت فيها عشيرته أثماناً باهظة من الأموال والأرواح والمتاعب قروناً طويلة. ففي سنة ٨٢١هـ دعت بنو راصع بن دويس جماعة من عشائر القطر إلى القيام ضد هذا المتسلطن الجديد وتبودلت المفاوضات حول هذا المشروع حتى أسفرت على اتحاد هجومي بين بني راصع وآل محمد وآل يعقل فبدأوا يشنون الغارة ويقتلون حوالي موشح فوافاهم علي بن عمر بمن معه وكانت معركة عظيمة انهزم فيها المتحدون ولم يلووا على شيء وارتأى علي بن عمر أن يحصّن بعض البقاع ومنها الحسيّسة فقد شاد فيها بناية وحصنّها في السنة المذكورة وخرج أهل شبام عليه في سنة ٨٢٤هـ فحصرها وقطع خريفها (ثم نخلها) ثم أخضعها.

توفي السلطان علي بن عمر رحمه الله سنة ٨٢٥هـ فيما يظهر لي وترك من الأولاد المعروفين ثلاثة عبدالله وبدراً ومحمداً.

٢- السلطان عبدالله بن علي

السلطان عبدالله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير تولى حضرموت وظفار بعد وفاة والده حوالي سنة ٨٢٥هـ.

هجوم ابن فارس على ظفار:

سمع ابن فارس بوفاة علي بن عمر فأراد انتهاز الفرصة في امتلاك ظفار فلم يتوقف ولم يتردد بل هجم في الحال أي سنة ٨٢٥هـ بعد أن جهّز جيوشاً كثيفة

واتجه بها نحو ظفار وكان السلطان عبدالله بن علي إذ ذاك بحضرموت مشتغلاً بتمهيد الأمور.. فبلغه الخبر بأن ابن فارس محاصر ظفار ومخيم بالجرحاء فشخص نحوه بجنوده من حضرموت ولكن ابن فارس لم يحرك شيئاً بل تقهقر حين بلغه خبر السلطان وانسحب من الميدان بجيوشه قبل وصول السلطان عبدالله إليه باثني عشر يوماً. ودخل السلطان المذكور ظفار وهدأت الأحوال بها وبحضرموت حتى سنة ٩٣٣هـ.

انتقاض تريم:

انتقضت تريم في ولاية دويس فأرسل إليها السلطان عبدالله أخاه محمداً بن علي ثم سار هو بنفسه إليها ومعه مائتا فارس وخمسمائة راجل فأغار عليها ثم دخلها ودخل مسجد الجامع ولم يقصّر دويس في الدفاع فخرج إليهم هو ومن معه وتلاقى القوم في الطرقات والشوارع وكثر القتل في الأزقّة وقتل جماعة من أكابر آل كثير منهم بدر بن علي بن عمر أخو السلطان ومنهم شنفر ومنهم عمر بن عبدالله بن طوق وغيرهم.

ومكث السلطان عبدالله بحضرموت ثلاث سنوات وأمر بحفر بئر في حصن شبام بين الغرف فحُفِرت واحتفل بنزح الماء، وبلغه حينئذٍ أن سلطان اليمن أرسل جيوشه إلى ظفار وعسكر بها فشخص السلطان إليها وذلك سنة ٨٣٦هـ فوصلها وهزم الغاصبين.

وسنذكر عند ترجمة أخيه محمد بن علي كيف غدر أهل ظفار بمحمد هذا وإنما نذكر هنا أن السلطان عبدالله بن علي قتل منهم في سنة ٨٣٧هـ سبعين شخصاً في مقابل غدرهم بأخيه.

انتقاض تريم أيضاً:

وفي سنة ٨٤٢هـ رفع دويس صاحب تريم راية التمرد والتحرش بالسلطان عبدالله بن علي فخرج إليه السلطان من ظفار وحصر تريم – وتعددت المعارك تحت تريم وشاد السلطان عدة معاقل لتشديد الحصر على تريم منها حصن العز جنوبي تريم فوق القارة المسمّاه بقارة العز وطال حصار تريم وتوجهت بعض القوات إلى سيؤن فحصرتها حتى استولت عليها في هذه السنة نفسها.

وانحل حصار تريم ومرت سنتان والأمور تتقدم إلى التحسن لما أوتيه رجال السلطة من الحزم والعزم. وفي سنة ٨٤٤هـ أمر السلطان عبدالله بن علي رجاله أن يتعقّبوا عدواً لدوداً وخصماً عنيداً هو عبدالله بن يماني بن محمد بن راصع وكان معه ذهب كثير وفضة من حلي النساء وغيره وكان قد استصحبها ليجهّز بها جيشاً يقاتل به الدولة فأدركه رجال السلطان بوادي العِين بالكسر فقتلوه وغنموا ما كان معه.

ولم أقف على تاريخ وفاة السلطان عبدالله بن علي ولكنني لم أجد له ذكراً في التاريخ بعد سنة ٨٤٤هـ وقد ترك من الأولاد خمسة وهم محمد وجعفر وعلي وبدر ويماني.

٣ – بدر بن علي بن عمر

بدر بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير.

قتل أيام حصار تريم في يوم تصادمت فيه القوات المتحاربة في الأزقّة وفي مضائق البلاد وكبس جنود دويس رجال آل كثير في زقاق من أزقة تريم يقال له مضيق بن يحيى فقتلوا من أعيانهم جماعة أشهرهم بدر بن علي هذا وعمر بن عبدالله بن طوق وشنفر وغيرهم وذلك سنة ٨٣٣هـ كما مرَّ قبل هذا.

٤ – السلطان محمد بن علي بن عمر

السلطان محمد بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير طالما تولى قيادة الجيوش لأخيه السلطان عبدالله ففي سنة ٨٢٥هـ أرسله إلى الكسر فأخضعها له ثم جعله أخوه المذكور سلطاناً عليها ولمّا أن تعكرت الأجواء السياسية بين والي تريم دويس وبين الدولة الكثيرية سنة ٨٣٣هـ أشار السلطان عبدالله بن علي وهو إذ ذاك بظفار على أخيه سلطان الكسر صاحب الترجمة أن يفتتح تريم ويخضعها فسار إليها بجيش لجب وحصرها وهمّ بأخذ ما حولها من غلال مزارع الشتاء فانحدر إليه السيّد الشريف عمر بن عبدالرحمن العلوي الملقب بالمحضار وتشفّع عنده فيها فقبل شفاعته ولم يغيّر منها شيء.

وفي سنة ٨٣٥هـ صعد السلطان محمد المذكور إلى ظفار وقضى بها بضعة شهور وبعد عيد الفطر انحدر منها إلى حضرموت بصحبة جماعة من أصحابه واستخفر بجماعة من القرى والسحرا فلما وصل إلى موضع يسمى حمراء يسكنه كثير من القرى والسحرا خرج إليه رجالهم وقتلوه هو وأصحابه جميعاً رحمهم الله.

وبعد سنتين من هذه الواقعة انتقم منهم أخوه السلطان عبدالله بن علي كما ذكرنا في ترجمته.

٥- السلطان محمد بن عبدالله

السلطان محمد بن عبدالله بن علي بن عمر .خلف أباه في الملك وفي أيامه اضطربت حضرموت عليه كلها فثار آل يماني وآل أحمد والصبرات وآل ثعلب وصاحب مريمة ومعهم بعض آل كثير كل هؤلاء خرجوا على الدولة الكثيرية ليسحقوها فحصروا الحصن الذي بنته بالغرفة واتلفوا المزروعات وأقاموا تحت الحصن شهرين وفيه يماني بن عبدالله بن علي أخو السلطان محمد محصوراً. وبنى آل جميل (جفل) في ذلك العهد بمساعدة الثوّار وأتلفوا في شبام نخيلاً كثيراً ومزارع ثم استولوا على حصن الغرفة وأخربوه وقطعوا بموشح كمية وافرة من

ثمر النخيل ونجا يماني بنفسه ثم وقع الصلح بين الجميع إلى شهرين وذلك سنة ٨٤٥هـ ولم تنته مدة الصلح إلا والسلطان مستعد لحصر تريم فحصرها وأخرج منها أولاد دويس بن راصع ثم حصر جفل وأخرج منها آل جميل وهدأت الأحوال بعض الهدوء نحو عشر سنوات.

تمرد الظلفان والمسفلة:

ثم ثارت الفتنة من جديد بين الظلفان وبين الدولة والأصل في ذلك مع ما بقي من الحزازات القديمة التي بين الطرفين هو أن – سليمان بن عبدالله بن عقيل الظلفي تعكر الصفو بينه وبين عمومته فاجتمعوا عليه يرأسهم مبارك بن حيدرة وأولاد عقيل بن عمر وقرروا طرده وإبعاده عن البلاد وخرج والتجأ إلى السلطان محمد بن عبدالله الذي قبله وأقام عنده وأعاده إلى بلاده بعد حصرها أياماً وذلك سنة ٨٥٤هـ وانطلق الظلفان يهيجون الفتنة ضد الدولة فأثاروا أهل المسفلة وهم راصع بن يماني وأولاد دوس والصبرات وفارس وأصحابه فتجمع كل هؤلاء وأرسل لهم السلطان محمد ابنه علياً، ومعه سليمان بن عبدالله بن عقيل الظلفي وحلفاء الدولة وعندما تهيأ الفريقان وبرز كل إلى الميدان.. تداخل المصلحون فقرروا بين الطرفين صلحاً إلى سنة وهدم الضرر اليسير الذي وقع بصوح ولكن هذا الصلح لم يتم إذ نشبت الحرب ثانية ووقع النكث من جانب المسفلة ولهذا غضب فارس وأصحابه وانحازوا إلى الدولة وصال رجال المسفلة ومعهم آل يمين وآل ثعلب على قرى الدولة مثل سيؤن وجفل والغرفة وغيرها وأزعجوا الأهالي فتصدت لهم الدولة بقتال صارم حتى أقصتهم وهزمتهم.

وفي سنة ٨٥٥هـ توفي السلطان محمد بن عبدالله فجأة وسرعان ما اغتنمت المسفلة الفرصة فأثارت الحرب من جديد على الدولة وأقبل راصع بن يماني وآل أحمد والصبرات ومن والاهم فصالوا على بور وقطعوا ثمار نخيلها وانتشروا

يعيثون وينهبون كما سيأتي تمام ذلك في حياة أخيه السلطان بدر وترك السلطان محمد من الأولاد ثلاثة علياً وبدراً وعمر.

٦- بدر بن عبدالله بن علي

السلطان بدر بن عبدالله بن علي بن عمر – ولد سنة ٨٤٠هـ وتولى السلطنة بعد أخيه محمد سنة ٨٥٥هـ والفتنة قائمة في البلاد على قدم وساق بين الدولة وقبائل المسفلة.

واقعة باجلحبان وصلح السكران:

لما تجمعت الأحزاب ضد السلطان بدر جهز عليهم جنداً قاده هو بنفسه وأقبل به نحو الثائرين فتلقته قبائل حضرموت الهائجة في ميدان باجلحبان وكانت معركة فاصلة هزمهم فيها السلطان بدر وقتل منهم نحو المائة أشهرهم راصع بن دويس نفسه وراصع بن يماني وعمر بن جسار ثم خرج إليهم السيّد الشريف أبو بكر بن عبدالرحمن العلوي الملقّب بالسكران فعقد بينهم الصلح المسمى بصلح الغدير لأنه قسّم الغدير بطوله بينهم أثلاثاً.

صلح العيدروس:

بعد مضي بضعة أشهر عُقِدَ أيضاً صلح بين السلطان بدر وبين سلطان بن دويس خاصة وجعل المصلح وهو السيّد عبدالله بن أبي بكر العلوي لكل من الطرفين الحلال في صوح وذلك في سنة ٨٥٥هـ كما ذكرنا.

مريمة والدولة:

وتعكر الجو ثانية بين صاحب مريمة والدولة فأرسل جيشاً وحصرت البلدة ثم أمر السلطان بدر ببناء حصن في قارة تسمى البيضاء فوق النخل ثم عُقد بينهم صلح على أن يخرّب السلطان الحصن فخربه.

بدر وابن أخيه:

وأحس السلطان بدر بفخاخ ومكائد تنصب له من قبل ابن أخيه علي بن محمد بن عبدالله بن علي فأسرع في قتله في سيؤن سنة ٨٥٨هـ.

تريم أيضاً:

وعادت تريم أيضاً إلى التمرد سنة ٨٦٨هـ فعزم السلطان بدر بن علي على إخضاعها والاستيلاء عليها تماماً فشخص إليها بجنوده وحصرها ثم وقعت معركة تحت تريم بين السلطان وآل راصع فقُتِلَ محمد بن راصع. ومكث السلطان محاصراً لتريم بضعة شهور ثم عاد أدراجه بدون طائل.

الشحر:

واستولى على الشحر سنة ٨٦٧هـ إذ انتزعها من الطاهريين أهل عدن كما سيأتي. ثم عاد إلى حضرموت.

العودة إلى تريم:

ولم يطمئن له بال إلا بعد أن هاجم تريم وبذل في الاستيلاء عليها كل جهد حتى وقعت في يده فدخلها في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٨٨٩هـ.

وتوفي بشام سنة ٨٩٤هـ ودفن في جرب هيصم رحمة الله عليه.

٧- السلطان جعفر

السلطان جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر. نشأ بعيداً عن المشاغبات السياسية مشتغلاً بالتجارة ومتصلاً برجال الفضل والصلاح وناظراً من كثب إلى الماجريات التي تتناوب عشيرته وكان المتصلون به من رجال السادة العلويين كثيراً ما كانوا ينشّطونه إلى القيام بنصرة قومه والتصدي لنيل السلطنة لما يعلمونه فيه من الرأي الثاقب والورع الحاجز. وقد ضمّه يوماً في حوطة الشيخة سلطانة مجلس هو والشيخ عمر المحضار بن الشيخ عبدالرحمن السقاف العلوي فاقترح هذا على السلطان جعفر أن يكون سلطاناً في بلد بور المستعصية وأكّد له الإمام المذكور أن واليها قد تعب من ولايتها وأنه أي الإمام يستطيع أن يقنعه بالتنازل

عن الولاية لجعفر وكان الأمر كذلك ففي يوم الجمعة التالي ذهب السلطان جعفر إلى بور وتولاها صفواً عفواً.

ولم يزل بها سلطاناً حتى تآمر عليه الظلفان فقتلوه سنة ٩٠٥هـ رحمة الله عليه وترك من الأولاد عبدالله وبدراً وعمر.

٨ - السلطان عبدالله بن جعفر

السلطان عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر والد بدر أبو طويرق تولى سلطنة حضرموت بعد عمه سنة ٨٩٤هـ فسلك السبيل الأقوم الذي يوطد مركزه ويخلق له مكانة مكينة في قلوب كل طبقات الشعب فهو في قلوب العتاة وذوي الإجرام سلطان شديد وجبار عنيد لا تطاق صولته ولا تُقرب حظيرته وعند عامّة الأمة أبٌ عطوف ووديع أليف، وعند الشخصيات البارزة في العلم والفضل هو السلطان الحازم العادل خادم الشرع ونصير السنة.

أدبه مع الشرع:

حكى عنه صاحب النور السافر واقعة تدل على رجاحة عقله وعظيم حلمه قال: اشترى السلطان عبدالله بن جعفر حصاناً من بعض الناس ثم بعد ذلك أراد ردّه وادّعى أن فيه عيباً وامتنع من تسليم الثمن للبائع فاشتكى منه للقاضي العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حسن بن عبسين فكتب إليه أن احضر للشرع الشريف فحضر ولم يراع السلطان ولا تساهل لأجله ولا حاباه بكلمة... وهذه الواقعة تدل على فضل السلطان والقاضي معاً.

وقد حمد الناس قبل هذا تولية السلطان قضاء الشحر الشيخ ابن عبسين إمام العلم والورع.

إعجابه بالعيدروس:

قال با هارون في تاريخه: تكلم شخص على الشريف الشيخ عبدالله العيدروس بحضرة السلطان العادل عبدالله بن جعفر الكثيري فانتهره السلطان وقال له: كف عن الشيخ فإن الأسخياء سادات الدنيا ولا اعلم على وجه الأرض أسخى منه. ثم أنشد السلطان شعراً:

الشريف المنيف ذي تابع آثار جده من كرامته لو روحه براحته مده

شديد الوطأة:

والسلطان كما قلنا شديد الوطأة على من تطاول نحو حماه عظيم السطوة لمن يشم منه رائحة العصيان وقد بطش في السنة الثانية من ولايته بأخويه بدر وعمر. وقتلهما قتلة كادت تورثه عاراً لولا قدرته الفائقة على محو ذلك بما أوتيه من مكارم الخِلال وحسن السلوك في الخلق.

قال الشلي العلوي في السناء الباهر: كان للشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن أحمد با جمّال قبول تام عند السلطان عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر فلا ترد له شفاعة وكان يعتقده ويستشيره في الأمور المهمّة.

الظلفان أيضاً:

وحدثت مشادة سياسية بين السلطان عبدالله وبين والي هينن اتسعت هوتها وآلت إلى امتشاق الحسام وحرص الشيخ الكبير عبدالرحمن الأخضر با هرمز على حقن الدماء فتوسط في الصلح بين الطرفين وقدّم لهما شروطاً لم ترق في عين السلطان عبدالله الذي لم يزل جرحه فوّاراً من تلك الجريمة الشنيعة التي اقترفها الظلفان منذ خمس سنوات في أبيه المغفور له. وتقهقر الشيخ الأخضر نفع الله به أمام عارضة

السلطان القوية التي تؤيد نظريته في عدم قبول شروط الصلح وترك الحكم في ذلك للسيف غير أن السلطان لم تطل مدته بعد ذلك فقضي رحمه الله سنة ٩١٠هـ.

وفاته:

قال العيدروس في النور السافر: في يوم الأحد سلخ محرّم سنة ٩١٠هـ توفي السلطان العادل المشهور بأفعال الخير وإقامة الشرع عبدالله بن جعفر الكثيري بالشحر وكانت سيرته في رعيته سيرة حسنة محمودة رحمه الله: وتولى القضاء له الشيخ الإمام عبدالله بن عبسين ثم الشيخ الفقيه الصالح عبدالله بن أحمد سروي ورثاه الإمام الشيخ الأخضر با هرمز فقال:

رحمة الله على من حل في حصن سمعون
رحمة واسعة والعفو مرجو ومسهون

وخلّف ولدين هما محمد وبدر أبو طويرق الشهير.

٩ – السلطان بدر بن محمد

السلطان بدر بن محمد بن عبدالله بن علي بن عمر: من فضلاء سلاطين الدولة الكثيرية وأعلمهم. ولوع بالمطالعة. غزير الاطلاع. محب لرجال العلم ومباحثتهم ونكاتهم، شغوف بالأدب والشعر وقد عدّه صديقنا البحّاثة عبدالله بن محمد السقاف في كتابه من شعراء الحضرميين وأورد له بيتين نقلاً عن السناء الباهر من قصيدة يمدح بها الشيخ معروف با جمّال وهما قوله:

قف بالديار ديار ظبية حاجر متواضعاً متوجهاً للزاهر
واطرح على ترب المنازل وجنة مصبوغة بدموع طرف حائر

ولد بمدينة شبام وترعرع بها وقرأ العلم على جماعة من فضلائها وتنقّل متنزهاً في مدائن القطر الحضرمي بعد وفاة أبيه وهو إذ ذاك لم يبلغ الثلاثة عشر ربيعاً من

عمره واتصل بأدباء القطر وأخذ عنهم وحفظ الشعر وما لبث أن قاله وهو بين مشاغله السياسية وطموح همته إلى الولاية.

الشحر وأبو دجانة:

وما أن بلغ السلطان بدر العشرين من عمره حتى بدأ يرنو إلى الشحر ويود لو ينزعها من صاحبها أبي دجانة محمد بن سعيد بن فارس الكندي لأنها ثغر حضرموت الذي يتصل منه حبل التجارة ووسائل العمران. وتشاء الأقدار أن تحدث أبا دجانة نفسه بالاستيلاء على عدن وانتزاعها من الملك الظافر لأنها باب الشحر وسياجها. قال الكبسي في تاريخه اللطائف: وتجهز أبو دجانة محمد بن سعيد بن فارس صاحب الشحر إلى عدن في عدة مراكب يريد الاستيلاء عليها. فتلقاه الملك الطاهر فخرج بعسكره من باب البر وأخذ أبا دجانة أسيراً ودخل به إلى عدن وأسر جماعة من أعوانه سنة ٨٦٢هـ وفي سنة ٨٦٥هـ جاء الملك الظافر إلى لحج وجمع عسكراً كثيراً فدخل عدن وجهّزهم في البحر إلى الشحر.

قلت: ولما أن وصلت إلى حضرموت أخبار استيلاء الطاهريين على الشحر تنفس السلطان الصعداء وطفق يتصل بالسلطان الطاهر ويكاتبه ويواده حتى تحصّل على الإعجاب والثقة التامة من جانب الملك الطاهر فكتب له عهداً على الشحر سنة ٨٦٧هـ وعزم على التوجه إليها من حضرموت ليباشر عمله. وإذا بعمه بدر بن عبدالله سادس سلاطين هذه الدولة يسبقه إليها ويستولي عليها بأسم الدولة الكثيرية بدون تعب ونصب.

ولم يشأ المُتَرْجَم له أن يحدث خصومة بينه وبين عمه ولا يزال نصب عينيه ما فعله بأخيه علي بن محمد سنة ٨٥٨هـ كما ذكرنا ذلك في حياته فمكث هادئاً حتى عاد عمه وأمره بالشخوص إلى الشحر والياً عليه من قبله فسافر إليها واستمر بها والياً.

وكان أبو دجانة بعد خلاصه من اسر ابن طاهر أقام في بلاده المسماة بالحيريج يتحين الفرص لاسترداد الشحر من الكثيريين وفي سنة ٨٨٣هـ جهز عليه براً وبحراً وامتلكها بعد أن انسل منها بدر إلى حضرموت ولم يمكث غير قليل ريثما استجمع قواه فاستغفل خصمه ثم أعاد الكرّة على الشحر فطرد منها أبا دجانة واحتلها.

وفي سنة ٨٨٧هـ جهز أبو دجانة فارس بن مبارك على الشحر فدخلها وفيها بدر بن محمد فخرج عليه بدر في ثلة من العساكر والتقى الفريقان في الشوراع وتقاتلوا بالسلاح الأبيض واستحر القتل في الطرفين فقُتل فارس نفسه وقُتل محمد بن بدر وانهزم قوم بادجانة واستمر بها بدر حتى وافاه من حضرموت نعي عمه بدر بن عبدالله بن علي فاضطرته الظروف إلى العودة إلى حضرموت والجلوس على عرش أبائه سلاطين القطر بشبام وترك سلطنة الشحر لابن عمه عبدالله بن جعفر السلطان الثامن من سلاطين هذه الدولة وتفرغ هو لإدارة الشؤون الحضرمية الداخلية.

سورتريم:

وكان سور تريم في ذلك العهد يمتد إلى قارة العز فخرّبه السلطان بدر سنة ٨٩٥هـ وجدده ثم خرّبه والي تريم عبدالله بن راصع سنة ٩١٠هـ وأعاده محمد بن أحمد سنة ٩١٣هـ وأحكمه إحكاماً متقناً إذ عمل له أبواباً عظيمة ثلاثة أحدها من جهة الجنوب بالقرب من بير كانوا يقولون لها بير عاسل وثانيها من جهة الشرق عند حارة كانت تسمى حارة آل باشريف وثالثها من جهة الشمال عند حارة القصارص.

توفي السلطان بدر بن محمد بن عبدالله بن علي في ٣ شوال سنة ٩١٥هـ بشبام وعمره ٧٣ سنة ودفن بجرب هيصم قريباً من قبر عمه بدر بن عبدالله رحم الله الجميع.

١٠ - السلطان محمد بن عبدالله

السلطان محمد بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر جد آل عبد الودود تولى السلطنة بعد أبيه سنة ٩١٠هـ وكان رجلاً عبقرياً غير أن عبقريته ضؤلت وكادت تلاشيها عبقرية أخيه بدر بو طويرق.

وكان محمد هذا في عهد أبيه قائد الجيوش وحليف الغزوات ورب المعامع.

واقعة بريح:

وتحت قيادة السلطان محمد وقعت وقعة بريح الشهيرة بكثرة قتلاها.

وبريح موضع شرقي تريم كانت قرية ثم خربت وكانت المعركة بين السلطان محمد بن عبدالله بن جعفر وبين محمد بن أحمد والي تريم وقد قتل بهذه الموقعة أكثر من أربعين رجلاً من الطرفين سنة ٨٩٥هـ وكانت الجبهة الجنوبية للحرب تحت قيادة السلطان بدر بن محمد بن عبدالله بن علي السلطان التاسع المار ذكره قبل هذا... وفي هذه السنة نفسها خرّب سور البلد الجنوبي كما ذكرنا ذلك في ترجمته.

بين الشحر وظفار:

وقد شاءت الظروف للسلطان محمد هذا أن يشخص إلى الشحر ويتولى سلطنتها بعد أبيه وأخذ يتردد بينها وبين ظفار وحضرموت ويكد ويجتهد في توطيد الملك وإخضاع العشائر.

البطش بالعوابثة:

وفي سنة ٩١٥هـ طفق العوابثة يعيثون بالأمن ويتحككون بالدولة ويهزئون بما يكتبه إليهم من نصح أو إنذار و في يوم الخميس لعشر خلت من محرم سنة ٩١٦هـ قبض السلطان محمد على جماعة من أعيانهم عددهم ٣٢ عيناً من آل عمر با عمر وبعنس وآل بازور وأهل الحيق وفيهم أحمد ومحمد وأبو بكر أولاد عمر

باعمر وبشر بن محمد بن عمر باعمر ثم سيّرهم إلى ظفار إلا محمداً بن عمر اختفى ثم وجدوه فقتل في الشحر والبقية قتلوا في ظفار جميعهم، وخُلقت الهيبة في صدور الناس بعد ذلك للسلطان محمد واتسع نفوذه سلطانه.

الحوطة لا تُضرب فيها الطبول:

قال باهارون في تاريخه: جاء السلطان محمد بن عبدالله بن جعفر إلى بلدة روغة. وعمل له السيّد محمد بن علي باهارون ضيافة. ولما جاء صاحب الطبل والطاسة يضربون تحت السلطان – كعادتهم – خرج عليهم السيّد عبدالله باهارون وطردهم وقال: روغة حوطة لا تضرب فيها الطبول. وسمع السلطان ذلك فأطل عليهم وأمرهم بالسكوت تعظيماً للسيّد وخرج إليه وسلم عليه واعتذر لأتباعه منه وطلب منه الدعاء. رضي الله عن الجميع.

تريم أيضاً:

وحاول استخلاص تريم من واليها محمد بن أحمد فناوشه القتال تحتها والتقيا سنة ٩١٩هـ وعاد السلطان محمد الكثيري خائباً.

بين الأخوين:

ورأى السلطان محمد أن أخاه الأصغر بدر وهو أبو طويرق نبغ إذ ذاك نبوغاً عظيماً وأشرق كوكب سعده حتى أعشى الأبصار فاغتبط السلطان محمد بذلك وظهرت على ملامحه السرور وكتب بخطه نفسه إلى خطيب الشحر الشيخ أحمد بن محمد السبتي بأنه قد خلع الولاية على أخيه السلطان بدر بن عبدالله . وأمر الخطيب المذكور أن يسقط اسمه من الخطبة وأن يخطب لأخيه بدر فخطب له وذلك سنة ٩٢٧هـ .

ومضت اثنا عشر سنة والأخوان متصافيان متحدان ثم بدأ الجو يتعكر بينهما. والوشايات على بعضهما تتسرب إلى أذهانهما فتعمل عملها في جرف أكوام الثقة

والوداد حتى اتسعت حفيرة الشقاق. ولم تعد الأهواء والنفوس قادرة على كتم ما بها من الضغائن فبدأت المشاكسات والمعاكسات تبدو وتنجم والمناوشات تلتها تنمو وتعظم ثم التهبت نيران الفتنة بينهما.

غزوة بغزوة:

ففي سنة ٩٤٠هـ جنّد السلطان محمد قوماً من المهرة وغزا بهم الشحر وحصرها ابتداء من الرابع والعشرين من محرم وهؤلاء المهرة من بيت زياد وحلفائهم ولم يطل الحصر بل انصرف سريعاً وعاد إلى المشقاص بدون طائل ومعه من وجوه المهرة كثير. فحفظها لهم السلطان بدر وجنّد في سنة ٩٤٢هـ قوماً من أشراف الجوف يرأسهم الشريف ناصر ثم سار بهم إلى حيريج جهة المشقاص واغتصبها من صاحبها أحمد بن محمد بادجانة الكندي وكان خروج السلطان من الشحر إلى المشقاص يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة وكان عدد فرسان الأشراف الذين يصحبونه اثنين وثلاثين فارساً. وبعد أن استولى على حيريج انصرف راجعاً إلى الشحر. ثم توجه إلى حضرموت واصطلح مع أخيه السلطان محمد وطلب هذا من أخيه السلطان بدر أن يرد حيريج لأهلها فردها لهم إكراماً لأخيه الأكبر.

عودة الشقاق بينهما:

ولم يطل الوئام بين الأخوين بل دبَّ الشقاق ثانياً. ومن أسباب ذلك أن بدراً لما أسر جماعة من الإفرنج كما سنشرحه في تاريخه أرسل لأخيه السلطان محمد منهم أحد عشر أسيراً فقتل هذا منهم ستة وأرسل الخمسة الباقين إلى الملك هرمز بعد أن زودهم وكساهم فشق ذلك على بدر وكان هذا من أسباب اختلافه مع أخيه للمرة الثانية.

وقال صديقنا السيّد بافقيه العلوي في تعليقاته: أن ظفار التي جعلها بدر لأخيه محمد وأشهد على نفسه بذلك لم تغن محمداً شيئاً فبقي يكاتب قبائل حضرموت ويغريهم على أخيه حتى استعمل بدر العقل وأرسل إليه أبا مدرك سفيراً ومصلحاً فطيّب خاطره، وقد وصل المشقاص عند الحموم وانتقل منها إلى غيل ابن يمين. إلى أن قال: وتم الصلح بين السلطانين على أن المسفلة (حَدْرى) مع ظفار لمحمد والمعلاه (عَلوى) مع هينن والشحر لبدر.

غير أنه انتقضت هذه القسمة بشوش حصل بين الأخوين. فتدورك الأمر واتفقا على أن المملكة بينهما أنصافاً غير سيؤن فهي خالصة لمحمد، وهينن خالصة لبدر.

هجوم فشل بهجوم نجاح:

واستمر الحال بينهما على ما ذكر إلى سنة ٩٤٧هـ إذ هجم السلطان بدر على القارة من أعمال ظفار وانتزعها من أخيه السلطان محمد فهاج هذا وكبر عليه الأمر ونهض في أوائل شهر شعبان من السنة نفسها يحشد جمعاً كثيفاً من ظفار الغيظة وأخذ جميع أولاده ومحبيه واستنفر آل كثير من ظفار ودخل بهم قشن واستنجد بالمهرة للتجنيد مصمماً على إنقاذ القارة من أخيه بدر فلم يساعده أحد وبقي يصرف على العساكر المتجمعة إلى آخر رمضان ثم حدثت فتنه بين رجال المهرة وعسكر السلطان محمد وأدت إلى القتال وحصلت للفريقين إصابات طفيفة فتفرقوا حينئذٍ ولم يتم للسلطان أمر.

وفاته:

وهجمت الشيخوخة بضعفها ووقارها وتجاريبها على السلطان محمد فنبذ السياسة جانباً واكتفى بولاية الشحر نائباً عن أخيه هادئاً ساكن البال حتى وافته المنية رحمة الله تعالى عليه تاركاً في هذه العالم الفاني ولدين هما بدر وعبدالله .

١١ - السلطان بدر بو طويرق

بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بو طويرق الخطير الشأن، الواسع السلطان، الذي طاولت العيوق همته، وناطحت السماء هامته، وانطوت على أكبر دماغ حضرمي عمامته، امتد سلطانه إلى العوالق غرباً وسيحوت شرقا والسواحل الجنوبية جنوباً والرمال شمالاً، ولم يكن من أولئك السلاطين الذين تثملهم نشوة الانتصار ويتملكهم زهو الفتح. فيطمعون فيما لا مطمع فيه، ويتعرضون لما لا قِبَل لهم به، حتى ينثنوا وقد غشيهم الحور بعد الكور وساورتهم الندامة بعد السلامة بل كان يجري في حياته على بساط من الروية، ودرع من الحزم وسياج من الجزم، وسراج من الحكمة. وضوء من الحنكة. وكان يرد الموارد الخطيرة وقد أحرز مصادرها وضبط أواخرها فخرج منها إن لم يكن غانماً كان سالماً، فهو من أولئك الأفذاذ الذين جمعوا بين الجندية والسياسة وبين التدبير والرئاسة. والبطولة والكياسة. وبين السيف والقلم. والعدل والكرم والسنان والبيان. وله حياة طافحة بالأعمال الجليلة. والفتوحات العظيمة، ترجم له السيّد عبد القادر العيدروس العلوي في كتابه النور السافر.. فقال: السلطان الأعظم والملك الأكرم السلطان بدر بن السلطان عبدالله بن السلطان جعفر سلطان حضرموت وكان مولده سنة ٩٠٢هـ وولي السلطنة وهو شاب وكان حسن الأخلاق جواداً كثير الإنفاق وافر الصورة حتى قال فيه بعض الفضلاء: كان كاسمه بدراً منيراً أينما طلع سطع. وغيثاً غزيراً كيفما وقع نفع. وكان في زمنه بدر الصدور، وصدر البدور. وكان لطيف المعاشرة ظريف المحاضرة شجاعاً مقداماً وهزبراً ضرغاماً. فكم أباد أحزاب الضلالة ومزقها، وكم أزال فرق الفساد وفرقها وكان محظوظاً جداً حتى كان لا يقصد باباً مغلقاً إلا انفتح، ولا يقدم على

أمر مبهم إلا اتضح ولا يتوجه إلى مطلب إلا نجح. وهو الذي دانت له البلاد. وخضعت له العباد. وأول من أظهر بحضرموت هيبة المُلك بسعده. وأسس قواعد السلطنة ومهدها لمن بعده. وطالت دولة حتى لم يعلم أن أحداً من السلاطين مكث في الملك هذه المدة. وكان يقال أن ثلاثة من السلاطين كانوا في عصر واحد. وكانوا متقاربين في السن والولاية وكانوا رزقوا السعد والإقبال وطالت أيام ملكهم. أحدهم السلطان بدر صاحب الترجمة. والثاني الشريف أبو نمي بن بركات والثالث سليمان صاحب الروم.

وحكى أن جماعة نالوا من السلطان بدر بحضور بعض الصلحاء الكبار من السادة العلويين [1] فزجرهم عن ذلك. وقال أليس هو خير من الاروام وما يروى عنهم ولولاه لما سلمت حضرموت منهم. ولكانوا استحلوا فيها الحرام. وظلموا الأنام. وكان ذلك الإمام الكبير يدعوا بطول بقاء لسلطان بدر المذكور. وقد مدحه بعض العلماء الأعلام بهذه القصيدة البديعة:

أشـــيب ولكـــن في المفـــاخر والمجـــد ... وأصـــبوا ولكـــني إلى طـــالع الســـعد
ولي طـــربٌ لكـــن إلى حضـــرة العـــلا ... ولي ظمـــأ لكـــن إلى الكـــوثر الـــوِرْد
إلى حضـــرة العليـــا إلى منتـــهى المـــنى ... إلى المقعـــد الأسمـــى إلى جنـــة الخلـــدَ
إلى الأمجـــد المـــولى إلى ملـــك الـــورى ... إلى منبـــع الحســـنى إلى الأســـد الـــوَرْد
إلى ذي العلا والفضل والفخـــر والحجـــا ... وذي النسب الوضّاح والحـــظ والجـــدَ
إلى علـــم الأجـــواد صـــفوة جعفـــر ... أبي عمـــر المعطـــي المطهمـــة الجـــرد
فمـــدح ابـــن عبـــدالله أولى فإنـــه ... هو الملك الشـــهم الســـبوق إلى المجـــد
أخـــو همـــم جـــاوزن أبعـــد غايـــة ... وجـــزم وحـــزم يغنيـــان عـــن الحشـــد
فمـــا جعفـــر مـــا المســـتعين وواثـــق ... ومستنصـــر والمستضـــئ ومـــا المهـــدي

(١) هو الشيخ أبو بكر بن سالم نفع الله به.

وبعد أن عدد جماعة من خلفاء بني العباس قال:

فمـــا هـــؤلا إلا كعقـــد مـــنظم ... بـــدر وبـــدر الملـــك واســـطة العقـــد
حـــوى كـــل فضـــل مجمـــل ومفصّـــل ... وهذا الذي أبديت معشـــار مـــا عنـــدي
فطاعتـــه فـــرض وصـــحبته غـــنى ... وتكـــديره حـــرب وخصـــمته تـــردي
فسبحان من أعطاه ملكاً علـــى الـــورى ... وألـــزمهم في أمـــره خدمـــة العبـــد
فلا زلـــت محروســـاً وقـــدرك ســـامياً ... وملكـــك محفوظـــاً وعيشـــك في رغـــد
وســـيفك منشـــوراً وعـــدلك شـــاملاً ... وجودك مبسوطاً علـــى الشـــام والهنـــد
يســـاعدك المقـــدور فيمـــا تريـــده ... وتخدمك الأمـــلاك في القـــرب والبعـــد

انتهى ما قاله صاحب النور السافر في أخبار القرن العاشر.

نسبه واهتمام العلويين به :

تصدى جماعة من العلويين في أوائل ظهوره للبحث والتنقيب عن سلسلة نسبه. ثم أسفرت نتائج بحوثهم عما يأتي:

هو بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير بن ظنة بن عبدالله بن حرام بن عمر بن سبأ الأكبر ثم ينتهي النسب إلى يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام.

هكذا جاء في دشتة العلامة زين العابدين بن عبدالله بن شيخ العيدروس العلوي قال: ولّما أن تحققوا صحة هذه النسبة ذهب سبعة منهم إلى ضريح النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام واعتكفوا هناك متضرعين إلى الله سبحانه أن يقيض هذا السلطان لحفظ القطر كله. قال: وظهرت آثار الإجابة في السنة نفسها إذ طرق بدر جميع الجهة الحضرمية واستولى عليها من عين بامعبد غرباً إلى ظفار شرقاً وذلت له رقاب أهلها في بضعة شهور ولم يبق بها إلا مواضع حقيرة استملكها فيما بعد كما سيأتي. ونصب موازين العدل وبسط فرش الاتصال وتمتع بملكه وسلطانه نحو الخمسين ربيعاً. أما بلاد مهرة فهي وإن لم تخضع له اسماً فهي خاضعة له معنى إذ

كاتبه أهلها وأرسلوا له الهدايا وأظهروا له الطاعة وأقر بنو عبد الواحد والعوالق للسلطان بدر بالولاية عليهم مع الإذعان له. وتقديم الهدايا السنية إليه وقد واتته الأمور وتذللت له العقبات وناداه الدهر متمثلاً:

وإذا السعادة لاحظك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

عزل وزيره:

أول ما بدأ به عندما أخذ يدير أموره بنفسه هو عزل وزيرهم مطران بن منصور وذلك سنة ٩٢٢هـ حينما ظهرت له أغراض الرجل ونواياه غير المحمودة. فما لبث بدر أن قبض عليه وزجّه في السجن وصادره في ماله. ثم أطلقه سراً وولى الوزارة بعده عطيف بن علي بن دحدح. وفي شهر رجب سنة ٩٢٨هـ أعيد مطران للوزارة وعُزل عطيف.

تجنيد الأتراك:

رأى بدر في أول أمره أن القوى التي لديه غير كافية لمكافحة المشاكل السياسية المحيطة به وأن الثقة المتبادلة بينه وبين عسكره من الحضارم غير ووطيدة والروح العسكرية بين جنده خامدة هامدة يُشم منها ذفر العصيان وزهومة التكاسل. فصمم على أن يخلط بهم رجالاً جبابرة ألفوا الحروب والفتهم. وما رسوا الأهوال ومارستهم.

قوم إذ الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

فكاتب السلطان بدر ضباطاً من الأتراك الذين هم جبابرة ذلك العصر ورجال الحول والطول في العالم حينذاك واتفق معهم على تجنيد جيش منهم له يُخضع به حضرموت ويلقح بهمته وشجاعته أرواح رجاله فوردت إليه الجنود التركية وهو بالشحر تحت قيادة ضابط كبير يسمى رجب التركي في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٢٦هـ وفي شهر رجب أقبل بهم السلطان إلى حضرموت. وقد سبقته الأخبار وبالغ

فيها المبالغون ولم يبق للناس حديث إلا رجب التركي صاحب الشوارب الطويلة ورجاله ((شاربين المسكرة)) وعم الرعب أهالي حضرموت وكان آل محمد الشباميون قد استبدّوا بالسلطة في شبام فقدَّم إليهم كتاباً ينذرهم وينصحهم بالتسليم فأجابوه بالرفض وصمموا على المقاومة غير أن مقاومتهم هذه لم تستمر غير ليلة واحدة ودخل بدر شبام.

ظهور البندق بحضرموت:

والذي زاد في رعب أهل حضرموت هو ما يحمله جيش الأتراك مع بدر بأيديهم وعلى أكتافهم من الاختراع الغريب في ذلك العهد وما يسمعه الناس من الصوت المزعج الذي يصمّ الآذان خارجاً من فم تلك الآلة القاتلة وهو اختراع جهنمي ليس لحضرموت عهد بمثله قبل قدوم جند الأتراك به. وذلك هو بندق (أبو فتيلة) فكان لظهوره دوي عظيم بين كل الطبقات أكثر بكثير من دوي حديث القنابل في هاته الأيام وظهوره بأيدي الأتراك الذين كانوا يسمّونهم الروم هو السبب في تسميتهم البنادق العلوق ببنادق الروم.

سقوط تريم:

ثم في شهر الحجة من هذه السنة اتجه السلطان بدر وجنوده نحو تريم وبها محمد بن أحمد بن جردان وآل يماني وآل عمر فتحصّن أهلها وحصرها السلطان نحو عشرين يوماً ثم رماها بعلوق ((الروم)) فاستسلموا وبذلوا الطاعة وسلّموا البلاد وأجلى السلطان آل يماني إلى اليمن وأبقى عبيدهم المسميين إلى الآن ((عبيد يماني)) وكان ذلك سنة ٩٢٧هـ وهي أول دولة آل جعفر بتريم.

هينن:

وفي جمادى الأولى سنة ٩٢٧هـ حوّل نظره نحو هينن وهي يومئذٍ مدينة مهمة وبينها وبين بني جعفر بن عبدالله ذحول وضغائن قديمة فقصدها السلطان

وحصرها وطال عليه حصارها حتى ضاق من ذلك. ولكنها أذعنت له في شهر الحجة من السنة المذكورة، ثم طفق السلطان يزحف بجيوشه على جميع حضرموت حتى استولى عليها كلها شرقاً وغرباً كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

واتسع سلطان بدر وهابه الناس واستتب له الأمر فلم يشأ أن يهمل تدوين الدواوين وإنشاء المحاكم وتنظيم الإدارات وأقبل عليه أخوه الأكبر محمد مغتبطاً به متنازلاً له عن الولاية كما ذكرناه في ترجمته.

واستمر السلطان بدر يدير ملكه بحزم وعزم من دون منازع غير ما يقاسيه من الأتعاب في مداراة إخوته وبني عمومته ومدافعتهم بالحسنى وهم الذين قد استهواهم داء الحسد والنفاسة فيقعون في حقه بما لا يرضى من القول ويكيدون له المكايد ما لا يستطيع محاكمتهم عليها.

النقود:

وفي سنة ٩٣٧ أمر أن تضرب باسمه نقود فضية من فئة الريال وفئة النصف والربع ونقود نحاسية صغيرة وكبيرة[1].

ثورة الحموم:

وفي السنة نفسها عملت الدسائس عملها وساد سوء التفاهم بين السلطان بدر والحموم وكان الجفاء بين الطرفين مسبباً عن قضايا صغيرة جزئية لم يتدارك إصلاحها عقلاء القوم وقد يحدث من بعض الطائشين من مأموري الدولة شيء من الغطرسة تنافي ما عليه السلطان من الحلم والرزانة فيزيد ذلك في اتساع الهوة بين الدولة والحموم.

(١) وفي سنة ٩٤٢هـ ضرب أيضاً عملة تسمى ((بقشة)) وهي رغماً عن تلاشيها بتاتاً فأهل حضرموت وما جاورها لا يزالون يستعملون لفظها إلى الآن في محاسبتهم ويجعلونها وحدة من الوحدات.

وطارت شرارة الثورة إذ قبض السلطان على جماعة من الحموم كانوا يتحرشون بالدولة فأعلنت عندئذٍ قبيلتهم العصيان والتمرد رسمياً. وطفقوا يصولون على الناس حوالي الشحر وأكثروا من النهب والغارة وقطعوا السبل وروّعوا المارة وهرب الناس من ضواحي الشحر إليها.

وجهز السلطان بدر بجيشه عليهم مع اشتغاله بمشاكل الإفرنج وكفاحهم وسار الجيش من الشحر لقمع الثورة فصار يتلقف من لقيه من الحموم وقليل ما هم حتى انتهى إلى غيل بن يماني فاستولى عليها وذلك في سنة ٩٣٦هـ كما ذكر ذلك العلامة القاضي عبدالله بن عمر بامخرمة.

وزاد هذا في حماس الحموم وهياجهم فأغاروا على تبالة وقتلوا بها أشخاصاً ونهبوها وغنموا منها أموالاً عظيمة كان الناس قد نقلوها إليها من الشحر خوفاً من الإفرنج وأصبح الناس بين نارين نار الحموم ونار الإفرنج أولئك من الخارج وهؤلاء من الداخل وأصبح أولئك الرجال الذين تنهش أكبادهم أفاعي الحسد للسلطان بدر لا يألون جهداً في إيقاد نيران الشقاق وتزييد الحالة سوءاً وحرجاً.

خروج نهد:

وأهلت سنة ٩٣٨هـ والحال على ما وصفنا وجاء عصيان نهد ضغثاً على أبالة وكتب أهل حضرموت الغربية إلى السلطان بدر يشكون إليه ما يلاقون من صيال نهد وتمردها: وكان محمد بن علي بن فارس النهدي هو الذي يتولى كبر ذلك ويستهين بالسلطان بدر قولاً وفعلاً وهو الذي يستبيح الحمى ويتحكك بالدولة[1]

(١) بينما كان بعض رجال نهد يرتجزون ذات يوم عيد إذ أعطاهم محمد بن علي هذا الرجز:

سوارحنا في المفجر روانع ... ولا يخرس لنا في الكسر مزرع

نقاتل بدر كسّار المرافــع ... نوطّي هام راسه حين يرفــع

وأمر السلطان بالتجهيز على نهد والقبض على محمد بن علي ولم يكن ذلك بالأمر الهيّن لولا حنكة العساكر البدرية وطول مراسها للنزال والقتال فقد زحف الجيش على نهد والتحم القتال وسقط محمد بن علي أسيراً.

وعظم أسره على نهد فقامت غاضبة عن بكرة أبيها على قدم وساق وطفقت تعمل كل ما في وسعها لمناوأة بدر وكياده وبقي محمد بن علي أسيراً عند السلطان بدر حتى حكمت الظروف مرة بأن يصعد السلطان يريد دوعن فاعترضه من السور (موضع النهد) مائة وستون فارساً غضباً لصاحبهم وتوسط المصلحون بين الطرفين ولم تقبل نهد كلاماً حتى تم الأمر أولاً بينهم على إطلاقه.

ولم تمت جمرات الحقد من قلوب الطرفين بل دامت المناوشات والاضطرابات تجري تباعاً حتى زحف ثابت بن علي بن فارس النهدي على دوعن فاستولى على القرين سنة ٩٤٠هـ بعد حصار طويل وبعد إطلاق حجر العرادة على البلاد (آلة حربية أصغر من المنجنيق).

وعزّ ذلك على السلطان بدر فضرب نهداً ضربة قاضية زحزحهم بها عمّا استولوا عليه ثم أزالهم من الكسر نفسه حتى أخذوا يستنجدون ببعض ولاة اليمن فتوسط هذا بينهم في صلح يقضي بعودة نهد إلى مواضعهم.

وفود الأشراف:

وجرى صيت السلطان بدر جريان النسيم وخطبت وده كبار القبائل وزعماء العشائر وتوالت الوفود ببابه ولاذت برفيع جنابه وهو لا يقصّر في إسعاف الوافدين وإكرام الصادرين والواردين وفي سنة ٩٤١هـ وفد عليه جماعة من رؤساء أشراف الجوف مقدمهم الشريف ناصر بن أحمد بن محمد بن الحسين ومعهم نحو أربعين فارساً فنالوا من إكرامه وحبائه ما جعلهم من أنصاره وأعوانه

وقد مرَّ في ترجمة أخيه محمد أنه فتح بهم المشقاص وانتزع بهم حيريج من يد بادجانة الكندي ثم أرجعها إلى أهلها إكراماً لأخيه.

تجهيز الإفرنج:

في القرنين التاسع والعاشر للهجرة كان للبرتغال مكانة في الشرق لا تضاهيها مكانة تجارة واكتشافاً. وكانت هي الدولة الأوربية الوحيدة التي تنزع إلى الشره الاستعماري وكانت سفائنها وسفائن تجارتها تمخر المحيط الهندي ذاهبة إلى الجزائر الأوقيانوسية الشرقية وآئبة منها وقد وطدّت أقدامها في تلك الجزائر وبعض بقاع الهند ولم تغفل عن أن ترنو إلى سواحل جزيرة العرب الجنوبية وتؤمل امتلاكها حتى تصيّرها حلقة مفرغة في سلسلة مستعمراتها فهاجمت قشن وسيحوت وغيرها من الموانى.

وكانت الأراجيف عن هؤلاء الناس منتشرة في الأقطار الحضرمية في ذلك الوقت، والقيل والقال عنهم قد ملأ الخافِقَيْن، وكان المسافرون الواردون من البحر كثيراً ما يقولون أنهم شاهدوا سفائن حربية إفرنجية تتجول في مياه السواحل العربية. وفي صبيحة ذات يوم أقبلت سنابيك صيد السمك من عرض البحر مذعورة قائلة: إنها رأت عدداً من المراكب الغريبة مقبلة نحو البلاد، وسرعان ما انتشر هذا الخبر المشئوم في الشحر فأقبل الناس يهرعون نحو السِّيْف (الميناء) وصعد النساء والكسالى على سطوح البيوت لينظروا ما ذكر، وما لبثت السفائن أن تراءت للملأ متجهة نحو الشاطئ يبلغ عددها أربع عشر سفينة. فألقت مراسيها، فكان ذلك صبيحة يوم الخميس لتسع خلت من ربيع الثاني سنة ٩٢٩هـ ولم يبلغنا نزول أحد منها ذلك اليوم ولا الليلة التي تلته ولا طلع إليها أحد، ولكن لم يشعر أهل البلد عند فجر الجمعة إلا بالضوضاء والرطانة المزعجة تحت البيوت وفي الأزقّة والطرقات، وارتفع الضجيج وعلا صراخ الصارخين بالقتال؛ وإذا

بالإفرنج يتسورون الديار وينهبونها وإذا بهم يحرقون ويخرِّبون؛ وتصدى الناس لقتالهم واستحر القتل في الفريقين وقتل من أعيان الشحر جماعة، منهم الأمير مطران بن منصور، والإمام العلامة أحمد بن عبدالرحمن بلحاج با فضل، وكان هذا الإمام ممن قاتل قتال الأبطال وفعل الأفاعيل في هجماته وأرسل رسلاً مستعجلين برسائل مؤثرة إلى حضرموت يستنفرهم للجهاد، وممن استشهد أيضاً الشيخان أحمد وفضل أبناء رضوان با فضل والفقيه العالم يعقوب بن صالح الحريضي وخلق كثيرون من المسلمين رحمهم الله وأثابهم بفضله آمين. ومكث الإفرنج هذه المرة بالشحر الجمعة والسبت والأحد، ثم انسلّوا ليلة الاثنين إلى سفائنهم وضربوا بها عرض البحر مقلعين بها نحو الهند. هذا كله صار والسلطان بدر في أول أدوار سلطنته، وتكرر بعد ذلك تحكك الإفرنج بالشحر غير أنهم لم يزالوا في كل مرة يعودون راضين من الغنيمة بالإياب. أما في سنة ٩٤٢هـ فقد أقبلوا بجمع عظيم من السفن الكبار والصغار وصادف هجومهم على الشحر وجود السلطان بها فأعد لهم العدّة، فلما نزل أبطالهم إلى البر أرسل إلى سفائنهم من يأسرها ومن فيها فالتحم القتال بحراً وبراً واختلط الحابل بالنابل فكثر الطعن والصراع كتفاً لكتف. وحضر ذلك أشراف الجوف بعد عودتهم من المشقاص كما ذكرنا آنفاً. ورأى الإفرنج من حامية الشحر ما لم يعهدوا مثله قط في الماضي من النزال والكفاح. وأصبح يوم الأحد لخمس من رمضان والشوارع لا يخلو كل منها من قتيل فأكثر من الإفرنج، وعلم الذين في البر منهم بأن سفنهم سقطت في يد بدر وأن جنوده يسحبونها إلى السِّيْف سحباً ورجالها أسارى يقادون بالأكبال فلم يسعهم وقد تأكدوا من الهلاك المحيط بهم إلا أن يطلبوا الأمان ويسلموا أنفسهم أسارى فأمَّنهم السلطان بدر ومنهم القبطان الأكبر وذلك عند حلول وقت الظهر. ثم فرقهم على ضبّاطه،

فجعل للأشراف عشرة أسارى وللعساكر الزيود عشرة، وللعسكر من يافع عشرة، ولعبيد النوبيين عشرة، واستولى على أموالهم وعبيدهم وعروض تجارتهم ونقودهم وهو مال جزيل، واستولى على خشبهم أربع عشرة خشبة كباراً، وقد هرب منهم نحو مائة شخص وخشبة من خشبهم وعثرت جنود بدر على جماعة منهم في البيوت مستخفين بعد هزيمتهم الساحقة. فكان جملة المأسورين منهم سبعين رجلاً. ثم وصل جماعة منهم أيضاً من جهة سواحل أفريقيا الشرقية ومعهم مال، فأخذ السلطان مالهم وقيَّدهم مع أصحابهم.

ثم بعد أن تمَّ الأمر أرسل السلطان بدر رحمه الله خمسة وثلاثين رجلاً منهم في خشبة إلى السلطان العثماني فسافروا بهم إلى جدة، فلما وصلوا إلى مكان يقال له الثغر قريباً من جده انطلق من القيود سبعة منهم وهجموا على رجال الخشبة وهمُّوا بالبطش بهم، فتألب عليهم رجال السفينة وأفنوا السبعة المذكورين بأكملهم وأرسلوا الباقين من جدة إلى السلطان في غراب كبير[1]. وأرسل أيضاً إلى ظفار أحد عشر شخصاً من الإفرنج قتل منهم ستة وأما الخمسة الباقون فأرسلهم السلطان محمد بن عبدالله أخو السلطان بدر وهو يومئذٍ والي ظفار إلى هرمز بعد أن زوّدهم وكساهم، وهذا من جملة الأسباب التي أدّت إلى اختلافه مع أخيه بدر.

وخطر للسلطان بدر أن يذهب فيصيّف في حضرموت فصعد إليها واستصحب معه ثلاثين شخصاً من الإفرنج الأسارى في يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول سنة ٩٤٢هـ.

(١) سفينة ضخمة ويقال لها غارب أيضاً.

وأعقب ذلك دوام الاتصال بين السلطان بدر والإفرنج من حرب إلى صلح ومن صلح إلى حرب، ومن قتل إلى أمان وكثر أسارى الإفرنج عنده واختلط الأهالي بهم. وأنِس السلطان ببعضهم فجعلهم من ندمائه، وظهر له من بعض هؤلاء نوايا سيئة وخيانة فنكل بهم. وفي ذات ليلة وهو بالشحر تآمر القوم على قتله وكان هو وإيّاهم[1] يشربون في بيت فأغلقوا عليه الأبواب وأسرعت إليه بعض الجواري فأسرت إليه الخبر فلم يجد له مخرجاً إلا من بيت الخلا فخرج منه وسلمه الله وأصبح ذلك اليوم متغيراً منهم ثم أمر بهم فقتلوا عن آخرهم وبعث برؤوسهم إلى السلطان سليمان.

ثم في يوم السبت ٢١ شوّال سنة ٩٤٤هـ وصل عبدالله بن أرقل من الهند في خشبة غريبة وغراب إفرنجي فدخل بالصلح بين السلطان والإفرنج فاصطلحوا حينئذٍ وفكَّ أسرهم يوم الأحد ٢٢ شوّال من السنة المذكورة.

بدر والدولة العليّة:

وطمحت بالسلطان بدر همّته العالية وثقافته السامية إلى الاتصال بأعظم عاهل على وجه البسيطة حينذاك وأقوى جبّار بشري فوق سطح هذه الكرة وهو السلطان سليمان القانوني الذي كان إذ ذاك ملك الدنيا ورب جبروتها، ووحيد سطوتها، وكانت الدولة العلية لذلك العهد في أوج شرفها وكمال عظمتها وملوك الأرض قاطبة تنظر إليه فاغرة أفواهها دهشة وإعجاباً.

وأخذ السلطان يكاتب عاهل الدولة العثمانية ويستنجده على البرتغال العائثين ويبذل له الطاعة. وللدولة العثمانية في ذلك العصر طموحها إلى البحر الأحمر وسواحله وتطلعها إلى الهند وما جاورها فكان يغيظها ما تسمعه من بطولة

(١) عن النور السافر.

البرتغال وقرصنتها في تلك البحار فجهّزت في أوائل سنة ٩٤٤هـ جيشها اللجب تحت قيادة وزيرها بمصر سليمان باشا الألباني ويقال له الطواشي لأنه في الأصل من مماليك السلطان سليمان خان بن بايزيد العثماني، فاقبل سليمان باشا بجيش كثيف نحو الأربعين ألف مقاتل ومعه سفائن عظيمة يسمّونها غوارب أو غربانا تنيّف عن الثمانين، ونحو مائة سفينة من الصغار التي تسمى خشباً، وتوجه قاصداً نحو الهند.

وفي يوم السبت ١٨ ربيع الأول سنة ٩٤٤هـ وصل إلى ميناء الشحر غراب أو غارب يقلُّ ثلاثين تركياً فنزلوا إلى البر قاصدين إلى السلطان بدر بن عبدالله وهو إذ ذاك بالشحر فقابلهم بحفاوة عظيمة وإيناس لا يوصف، وقدموا له عشية اليوم نفسه مرسومين وخلعتين شرّفه بها السلطان سليمان بن سليم بصحبة الأمير سليمان الطواشي وهذا أرسلها في الغراب المتقدم ذكره يحملها مملوكه الأمير فرحات شوماي بمعية الثلاثين تركياً، وقد عقد اجتماعاً عاماً بمسجد الجامع فكان محفلاً مهيباً. قام فرحات أمام السلطان خطيباً عند تقديمه المرسومين ونوّه بذكر التجريدة المرسلة من جهة السلطان سليمان لحرب الإفرنج، وأنه قد صدر الأمر الكريم بتجهيزها وهي واصلة إن شاء الله تعالى إلى بحر الهند عن قريب.

ثم قام القاضي العلامة الشيخ عبدالله بن عمر با مخرمة وقرأ المرسوم الشريف وبعد انتهائه منه تكلم السلطان بدر بما معناه أنه يرحب بالمرسوم ويرحب بأول رسول تركي ورد إلى الشحر، وأنه سيأمر في الجمعة القادمة بأن يخطب الخطباء في مملكته للسلطان سليمان: وجاءت الجمعة المشار إليها في ٢٤ ربيع الأول فكانت أول جمعة خطب فيها لسلطان آل عثمان بحضرموت وموانيها.

وغادر فرحات الشحر معززاً مكرماً وقد أرسل معه السلطان هدية للسلطان سليمان وهي فص من الألماس النادر الوجود وخمسمائة مثقال من العنبر الأصيل الفاخر، وأعطى فرحات ومن معه ثلاثين بهاراً من الفلفل.

وفي يوم السبت لثمان خلون من جمادى الأولى أرست في الشحر سفينة تحمل مؤناً للتجريدة العثمانية المقبلة فأنزلت في الشحر وأودعتها هناك، منه بهار من البقسماط ومثلها من البصل، وألف كيس من البر والشعير والفول، وخمسون برميلاً من الزيت وآلات كثيرة من المدافع وأنواع الأسلحة.

وتعوّق سير التجريدة وأبطأ خبرها وذلك أنها لما وصلت بعض سفائنها إلى مياه جدة رأى السلطان سليمان أنها غير كافية للهجوم على الهند، وأحب أخذ الحيطة من هذه المجازفة الخطرة، فأمر سليمان باشا بالعودة إلى مصر ومضاعفة الاستعدادات؛ وطفق السلطان بدر في الشحر يكاتب سليمان باشا مستفهماً عن الأحوال، فجاءه (مرسوم) يوم الخميس ٢٠ محرّم سنة ٩٤٥هـ من مصر جواباً على كتابه وفيه أن التجريدة المنصورة خرجت من الروم وأنها وصلت إلى السويس متجهزة لحروب الإفرنج في الهند.

وفي يوم الخميس ٢٦ ربيع الأول من هذه السنة ورد السلطان بدر كتاب من الباشا سليمان الطواشي إعلاماً بوصول التجريدة المنصورة إلى بندر عدن وأنه استولى على البلاد بدون قتال قال: وكان وصولهم عدن يوم السبت لسبع خلت من ربيع الأول.

وكانت الأخبار ترد إلى موانى حضرموت ثم إلى داخليتها بإكبار التجريدة والمبالغة في وصفها وعظمتها؛ وأن فيها من العدد والعُدد شيئاً عظيماً. ودخلت الأتراك عدن واستولوا عليها ليلة الاثنين لتسع في ربيع الأول، وقبضوا على

الشيخ عامر بن داود آخر بني طاهر وأميرها عبد الصمد والأمير الخلي وكان هذا ظلوماً غشوماً فحكموا عليهم بالصلب وتركوهم مشنوقين بالجسارة قرب باب الساحل يومين كاملين ودفنوهم في اليوم الثالث وخرج الباشا إلى عدن وطاف بها ونادى بالأمان للأهالي ثم اتجه هو والتجريدة إلى الهند وترك بعدن عاملاً يسمى بهرام ومعه خمسمائة رومي (تركي).

ودخلت الجنود التركية الهند وكانت إقامتهم هناك نحو شهرين ثم رجعوا خائبين ووصلت التجريدة بندر الشحر يوم الأربعاء لأربع خلت من شهر رجب، وخرجت العساكر الرومية إلى البلاد وباعوا واشتروا وأمنّوا الناس ثم طلب الباشا وهو في البحر لم يخرج إلى البر الإفرنج المأسورين سابقاً الذين أعطاهم السلطان بدر الأمان فأحضروا وأُطلعوا إلى البحر وكذا طلب إحضار الفيتور البرتغالي الأسير بحصن عرف فأُحضر هو وأصحابه فأطلعوا إلى البحر وسلِّموا للباشا.

ويوم الخميس طلع إلى البحر لمقابلة الباشا الأمير أحمد مطران وكان على الشحر أميراً من طرف السلطان بدر الذي كان إذ ذاك غائباً بحضرموت. وقصد الخشبة الكبيرة المزينة بالعلم التركي وكان فيها الباشا سليمان فقابله وتبادلا التحايا والمجاملات وخلع عليه الباشا وأظهر له أسفه لغياب السلطان وخرج الأمير أحمد من حضرة الباشا شاكراً مغتبطاً.

وكان من جملة ما قاله الباشا للأمير أن الدولة العليّة سترسل للسلطان بدر فرماناً بعقد الولاية له من باب عدن إلى مدينة ظفار وأنه صاحبنا وصديقنا ثم قدّم الأمير أحمد هدايا فاخرة للباشا وقدّم له ما يحتاجون إليه من البُر. وفي يوم الجمعة أرسلوا إلى حضرموت (مرسوماً) للسلطان بدر خرج به الأمير أحمد نفسه مع أربعة من أصحاب الباشا، وتوجه الباشا ومن معه إلى عدن لثمان خلت من

رجب. وتركوا غراباً واحداً للأربعة الذين توجّهوا إلى حضرموت لتنفيذ المرسوم وطلبوا منهم أن يلحقوهم إلى عدن. ورسم الباشا على صاحب الشحر عشرة آلاف أشرفي تسلّم في عين كل سنة فجرى ذلك وتمَّ ففي كل سنة يصل قاصدهم لتناول المرتب المذكور وعزم الباشا بعد وصوله عدن إلى كمران ومنها إلى زبيد فأخذها بدون قتال وجعل لها أميراً وربط أمر عدن بزبيد.

وفاة مؤرخ:

وفي سنة ٩٤٧هـ توفي الفقيه العلامة المؤرخ صاحب التاريخ المفيد الشيخ القاضي الطيب بن عبدالله با مخرمة. وكانت وفاته غرة محرّم بمدينة عدن.

رخية وشبوة:

وفي سنة ٩٤٨هـ بعد أن أخذ بدر القارة من أخيه كما ذكرنا في ترجمته رأى أن يحصِّن رخية وشبوة وضواحيهما ويؤمِّن ما بينهما من سبل ومياه.

ولكن هذا كله لم يفد لأنَّ تهور بدر وتسليطه قبائل الجوف على أهل حضرموت ولّد له كراهية في نفوس الأمة بدواً وحضراً. وتوالت المناوشات والوقائع بين عسكر بدر وأهل حضرموت حتى اصطلح مع نهد على أن يعطيهم حريضة واشترطوا عليه بان يرجع عساكر القبلة إلى بلادهم فقبِل.

انتقاض دوعن:

وانتقضت عمد والهجرين وقيدون فسار إليها السلطان بدر بنفسه ودخل عمد بعد أن قاتله أهلها قتالاً شديداً وقبض على المتولي بها وهو فراس بن عبدالله بن علي العامري وقتله ثم سار إلى الهجرين ودخلها بدون قتال من جانب منها بينما خرج ولاتها بنو عامر من الجانب الآخر وهم ثابت بن علي وأولاد محمد بن علي بن فارس العامري. ولتسع خلون من رمضان سنة ٩٤٨هـ دخل السلطان قيدون ونهبها ورجع إلى صيف ومنها إلى هينن ومكث بها إلى بعد عيد الفطر.

ما هو سبب الهياج؟:

قالوا: والسبب في هذا الانتقاض هو حقد بدر على أولئك الذين شايعوا عليه أخاه محمد فأراد بدر النكاية بهم فأخذ الهجرين من آل عامر وآل علي بن فارس ونهب جميع أموالهم فالتجأ ابن فارس إلى الزيود ثم انصرف عنهم بدون طائل. وتعاهدت نهد والعمودي على بدر فهجم هذا على قيدون وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً وفعل بها عسكره فعلاً قبيحاً بينما الشيخ عثمان العمودي غائباً في بضه وإنما كان أخوه أحمد في قيدون متحصناً في حصنها الذي استولى عليه بدر وأخرج حاميته ثم حصَّنه بعد ذلك.

بدر والعمودي:

ودخلت سنة ٩٤٩هـ وبدر متورط في حرب العمودي وغيره ولكنه ما لبث أن عالج المشاكل بحكمة ولطف فأمضى الصلح بينه وبين آل عامر و خاطب العمودي في الصلح فأبى. فهاجمه بدر بالعبيد فلم يجد شيئاً فجرد عليه حملة كثيفة فاستعصى عليه أيضاً وقصد دوعن وارتدَّ عنه خائباً من طريق أرض بلدوس. فهجم عليه من الخريبة فلم يقدر على أخذها لأنَّ العمودي شاد عليها حصناً منيعاً فعاد السلطان بدر على بضه وأخرب ساقيتها وبنى عليها ثلاثة حصون وهو مع ذلك يرغب في مصالحة العمودي. وغادر دوعن إلى حضرموت وترك العساكر تناوش القتال، ولم يتمَّ الصلح إلا سنة ٩٥١هـ ثم انتقض سنة ٩٥٥هـ كما سيأتي:

هياج عام:

وفي محرّم سنة ٩٥١هـ هاج أهل المسفلة (حدرى) بحضرموت فنقضت اللسك والعجز وغيرهما عهد بدر وحصل القتال بينهم وبين عسكره وقُتل من الطرفين جماعة. وهددوا تريم وبنى الثوّار حصناً على مشطة أضرها ضرراً جسيماً. وكاتبوا عبدالله بن يمين بأن يخرِّب الساحل بالحموم، فسعى فيهم وجمعهم

وأهاجهم على بدر فهاجموا أطراف الشحر وضواحيها. وروَّعوا السكان وقطعوا السابلة حتى أدَّى الأمر إلى أن يأمر بدر جميع أهل قرى الشحر بأن يتحصَّنوا في البلد من الحموم فدخل الأهالي وتركوا مزروعاتهم. وأنتج ذلك غلاء في الأسعار وقطعاً للمسالك. واشتدَّ الأمر على السلطان بدر. وانتهزت سيبان الفرصة فأقلقت راحة سكَّان روكب والغيل فابتنى السلطان بدر حصناً بروكب وحصَّنه بالعسكر خوفاً من صيال سيبان.

ثورة المهرة:

وتجمعت مهرة على حرب السلطان بدر ومهاجمة الشحر، فغضب بدر وجمع جيشاً عرمرماً ليغزوهم في عقر ديارهم. فجهّز في ٢٠ رمضان حملة عظيمة من رجال نهد والشحابلة الزيود ويافع وبني حسن، وجعل على الجيش علي بن عمر والأمير أحمد والفقيه محمد بن عمر بحرق. وتوجه معهم السلطان بدر نفسه واستصحب معه أخاه محمداً واستولت الحملة على قشن وبنى بدر بها حصناً وقفل راجعاً بالجيش وبأخيه محمد وترك على قشن الأمير أحمد مطران والفقيه بحرق وذلك يوم السبت ٢ ربيع الثاني.

انتقاضهم ثانية:

ولم يكد السلطان بدر يستقر قدمه بالشحر حتى فجأه خبر في ٢٢ منه بأن المهرة تمرَّدوا على الأمير أحمد فقتلوه واستردوا بلادهم وحصروا الحصن. فاتهم السلطان أخاه محمداً بان له إصبعا في هذا الأمر، وأنه هو الذي أغرى المهرة بقتل الأمير والتمرد.

فاعتقل أخاه وقيَّده في حصن الشحر، وعزم ثانية إلى المشقاص، ولاقاه نجله محمد بن بدر من حضرموت في جماعة من المقاريم وآل عامر، ولما كانوا في مسيلة الوادي باغتهم قوم من بادية المهرة ونالوا منهم مقتلاً ونجا الباقون إلى حيث

السلطان بدر فدخلوا معه قشن في ١٧ جمادى الأولى واستولى عليها بعد أن قتل من مقاتليها مقتلة عظيمة وانثنى منصرفاً إلى الشحر فوصلها في ٢٢ جمادى الآخرة وأطلق أخاه محمداً من القيد.

بن عفرار يستنجد البرتغال:

وبقيت المهرة ترسف في قيود بدر وتحت سيطرته حتى سنة ٩٥٥هـ حيث توجَّه سعيد ابن عفرار إلى الهند مستصرخاً بالإفرنج فجاء بهم إلى قشن وحصرها بهم ثم استولوا على الحصن يوم الأحد ٢٩ صفر ودخلوه عنوة وقتلوا جميع عساكر بدر. وبلغه الخبر وهو بحضرموت فشخص إلى الشحر وجهز على المهرة في البحر جيشاً، فلما وصل إلى حيريج جاءه سعيد بن عفرار معترفاً فقبله. ووقع الصلح على أن المهرة بلادهم ليس لبدر فيها أقل تدخل وعلى المهرة أن لا يتحرَّشوا بمواني بدر ولا بشيء من بلاده وعاد بعسكره وتجهيزاته من حريج.

سلسلة مشاكل:

لم يكد السلطان بدر يلقي بعصاه بعودته من المهرة إلا ووافاه كتاب من عامله على حضرموت الفقيه محمد بن عمر بحرق يخبره فيه أنه قبض على أولاد آل عامر في الهجرين وآل مخاشن في هينن. وكان عند بدر إذ ذاك بالشحر ثابت بن علي بن فارس، وريس بن محمد وجماعة من آل عامر فأمر السلطان بدر بأخذ خيلهم وفرقها على عسكره. فهرب آل عامر وكان ذلك سبباً لانتقاضهم على بدر وموالاتهم ثانياً للعمودي.

وهبَّ العمودي واتَّحد مع آل عامر وآل عبد العزيز والعوامر والشنافرة أجمعين ضدَّ بدر وعاثوا في البلاد وروَّعوا السكَّان واتسع الخرق و استولوا على بلدة بور وأغاروا على تريم وهينن وحاصر آل عامر شبوة. وانهزمت عساكر بدر ولم تقو على الوقوف أمام القبائل المتحدة الثائرة.

ولما أن بلغ خبر هذا الاضطراب والهزائم مسامع السلطان بدر عزم هو نفسه إلى حضرموت في ١٩ رمضان وعيَّد عيد الفطر بسيؤن وتوجَّه إلى شبوة ودحر عنها آل عامر وثبَّت بها حكمه.

وجاءه وهو بشبوة ابن عبد الواحد صاحب حبَّان يستنجد به على ابن ثاقب صاحب يشبم فتوجه معه ونهبها وأحرق فيها ثم عاد إلى شبوة ومنها إلى هينن ومنها إلى الشحر بعد أن جعل على الكسر الأمير عنبر والفقيه محمد بحرق.

وكان وصوله إلى الشحر ليلة الجمعة ٢٣ محرّم سنة ٩٥٦هـ.

ولم تشأ الأقدار أن تعود الأمور السياسية إلى مجراها الطبيعي بل ظلَّت الثورات قائمة على قدم وساق.

وظلَّ السلطان بدر يتنقَّل من بقعة إلى أخرى لمعالجة المشاكل ولسان حاله يقول: كل ما داويت جرحاً سال جرح.

خروج علي بن عمر:

والذي شغل قدراً كبيراً من تفكير بدر بن عبدالله هو خروج علي بن عمر بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بن كثير الذي ستأتي ترجمة حياته فيما بعد فقد استبدَّ بشبام وخلع طاعة بدر. وناصره جماعة من وجهاء حضرموت.

وكان لهذا الثائر مسلك يستهوي ألباب رجال الدِّين وعلماء التصوف كما سترى عند ترجمته.. فجمع جمعاً عظيماً وأعلن تمرده في شهر رمضان وقبض على جماعة من أهالي شبام منهم الفقيه عبدالرحمن با صهي صاحب الصدقة وأخوه عبدالله وضيَّق عليهما ولم يطلقهما إلا بعد تغريمهما سبعمائة أوقية من الفضة. وحيث لم يكن بيدهما من ذلك شيء فقد ضمن فيهما رجل من آل با عبَّاد.

ولما أن أطلق سراحهما تسللا إلى الشحر وبها السلطان بدر بن عبدالله فاسترفداه وحكيا له معاملة علي بن عمر لهما ولغيرهما. فدفع لهما السلطان بدر ما

ضمنه با عباد ووجَّه حينئذٍ همَّته لتأديب علي بن عمر وانتزاع شبام منه فتابع عليه الهجمات ووالى نحوه الكتائب ولم يجده سهلاً سائغاً بل علقماً مراً صعب المراس قوي البأس فلم يزل به حتى ظفر به واستولى على شبام سنة ٩٥٨هـ وقبض على علي بن عمر وسجنه بحصن مريمة الذي صار فيما بعد مسجناً للمقبوض عليهم من سلاطين آل كثير.

الشيخ معروف وبدر:

الشيخ معروف بن عبدالله بن محمد با جمَّال شيخ كبير وقدوة شهير وإمام من أئمة الصلاح والولاية وقد استغل علي بن عمر الخارج بشبام في قيامه ضد بدر نفوذ هذا الإمام ولعل له ضلعاً مكيناً في القوة الروحية التي سببت طول الفتنة وعززت جانب الثورة زمناً طويلاً وقد قلنا أن علياً بن عمر استطاع أن يكوَّن له مركزاً سامياً بين ذوي الوجاهة الدينية وظل يظهر لدى الناس بمظهر الأبرار المقربين فكان الشيخ معروف وأضرابه ينظرون إليه كولي من أولياء الله الصالحين وإمام من الأئمة المصلحين ولهذا بذل الشيخ معروف كل مجهود في تعضيد مبدأ علي بن عمر وتأييده فكان ذلك من أسباب حقد السلطان بدر على معروف وظلَّ يغيظه فرط اعتقاد الناس فيه فلما دخل شبام وقبض على علي بن عمر قبض أيضاً على الشيخ معروف وأهانه فأمر بأن يعلق على عنقه حبل وأن يُطاف به في البلاد وينادى عليه هذا معبودكم يا أهل شبام.

قالوا ومن الغريب أن السلطان أمر بعض أمرائه أن يتولى فعل ذلك بنفسه. وكان ذلك الشخص من المعتقدين فيه أي الشيخ المذكور فتوقف عن ذلك فأرسل الشيخ معروف أن افعل ما أُمرت به وأنا ضمينك على الله بالجنة.

ثم أمر بنفيه وجعل له الخيرة في البلد الذي يختار فينفى إليه فاختار دوعن واتصل هناك بالشيخ عثمان بن الشيخ أحمد العمودي في بضه وكان هذا مشغول

البال من جهة السلطان بدر وتحككه به وكان العمودي قليل المال والرجال فسعى معروف في إزالة ما يشغل خاطره واتسعت ولايته بعد ذلك ووالاه السلطان بدر.

بدر وعمر با مخرمة:

لم تكن العلاقات الوديّة بين السلطان بدر وبين الشيخ الكبير الصوفي عمر با مخرمة على مالا يرام رغماً من المجاملات الظاهرة التي يصدر من كل منهما [1] عندما تقتضي الظروف ذلك وكلا الرجلين عظيم في عالمه وكانت مدينة الهجرين بلدة الشيخ با مخرمة هي نقطة افتراقهما في الاتجاه السياسي فالشيخ عمر حريص على أن تبقى الهجرين حرة في أيدي أهلها بعيداً عن السلطة الكثيرية لكن السلطان بدراً كما ذكرنا آنفاً لم يرد إلا الاستيلاء عليها.

واستمر الشيخ عمر حانقاً.وربما لفظ كلمات في بعض المجالس تمس بكرامة بدر فيحفظها عليه ثم يضطر فينفيه إلى الساحل ثم يأذن له في العودة ليطفئ بذلك شعلة حفيظته فإذا الرجل لا يزال واجدا حانقاً فينفيه ثانياً وثالثاً. ثم رأى أن يضعه تحت مراقبته وعنايته بسيؤن فيستجلبه إليها وأقام الشيخ عمر بها مجللاً معززاً حتى وافاه الحمام نفع الله به.

ومن كلامه رضي الله عنه في بدر:

يا الله اطلع على ذنوس روس الصناديد ... قل لبدر ابن عبدالله عزيز المواجيد

قل لبدر الذي ما عاد يوجد معه جيد ... نجم سعده طلع ما بين خيله وعيديد

وله فيه مدائح أخرى رحمهما الله تعالى.

---

(١) يقول الشيخ عمر با مخرمة في بعض قصائده:

ذول آل جعفر لآصل وأهل المعرفة ترعى الأصول ... ما انسى فضائلهم ولو بي من فعايلهم غلول

بدر وعبدالله با مخرمة:

وأما الشيخ عبدالله بن عمر با مخرمة علامة زمانه وفقيه أوانه والمسمى بالشافعي الصغير فهو من أخص خواص السلطان بدر. وقد تولى له قضاء الشحر غير مرة وكان له أيضاً بمثابة كاتم السر يستشيره في شئونه الخارجية ويفوَّض إليه قراءة الأوراق الرسمية والجواب عنها وقد ذكرنا عنه فيما سبق أنه هو الذي قرأ فرمان السلطان سليمان للجمهور بجامع بندر الشحر.

بدر والسيّد باجحدب:

قال باهارون في تاريخه: جاء السلطان بدر بن عبدالله إلى تريم. ثم إنه نوى زيارة الولي الصالح أحمد بن علوي با جحدب. فقال لجماعته: مرادنا نزور السيّد الشريف أحمد ولا نزعجه أو ننكِّد عليه وذلك لما علمه من أن السيد يستوحش من أهل الدنيا فقالوا له جماعته إذا كان ولابد تروح إليه في قليل من جماعتك. وتلحقه في بيت بامحسون فخرج إليه فما أدركه هناك. فجاء إليه مرة ثانية إلى بيت باقرين بعد صلاة العشاء. فلما دق عليهم الباب خرج إليه أحمد باقرين. فقال له السلطان أخبر السيد أحمد أننا جئنا زائرين له. فلما علم السيد أحمد قال: لا حول ولا قوة إلا بالله وإيش لنا حاجه بمجيئه. وقال له: قل له نحن نخرج إليه. ثم أخذ ملحفته وغطى بها جسده ويديه. فقال له تلميذه: نشعل سراجاً؟ فقال: لا حاجة للسراج. فلما تواجهوا أخذ السلطان يد السيد وسلّم عليها وبقي واقفاً. وقال له السيد: الله الله في العدل فقد كان والدك طيباً مع الناس. وأنت الله الله فيهم. ثم قال السلطان: قد جئنا بشيء من الذهب والفضة باسم الفقراء تفرقونه على من شئتم من جماعتكم. فقال السيد: لا حاجة لذلك وأنت عليكم مصاريف كبيره، فقال السلطان: أقبلوا منّا شيئاً من البن والعود. فقال: عندنا البن والعود لا نحتاج لشيء منهما. ثم استودع منه. ولما رجع السلطان قال لجماعته: الحمد لله الذي جعل

في ولايتي مثل هذا السيد. انتهى. وقد توفِّي السيِّد أحمد بن علوي يوم الثلاثاء ١٨ رمضان سنة ٩٧٣هـ.

وقعة الجرب:

بعد أن انقرضت دولة آل يماني بتريم تفرق عبيدهم ومواليهم وصنائعهم في البلاد وأخذوا يعيثون بالأمن ويروِّعون المارة ويغيظون السلطان ثم كوَّنوا لأنفسهم عصبية قوية وصاروا يتجمعون ويغيرون وأطلق الناس عليهم اسم ((عبيد يماني)) وطال على الناس عنتهم وأذاهم حتى بطش بهم بدر في الجِرب بكسر الجيم بطشة لم تقم لهم بعدها قائمة: قال صاحب النور السافر: - وفي سنة ٩٥٨هـ كانت واقعة الجِرب بجيم موحدة وراء ساكنة هي الواقعة المشهورة وذلك أن جماعة من القبائل مفتنون يقال لهم عبيد يماني وكان السلطان لا يقدر عليهم لكثرتهم ولشجاعتهم ولشيعتهم فاتفق أن اجتمعوا كلهم في قرية تسمى الجرب بأسفل حضرموت فأُخبِر السلطان بدر بذلك فجهز إليهم عسكراً وحاصرهم في تلك البلدة حتى أضر بهم الجوع والتعب من شدة الحصار وأكلوا الجلود والميتة ودخل عليهم العسكر فقتلوهم عن آخرهم وكانوا خمسمائة رجل وصار قتلهم تاريخاً مشهوراً عند أهل حضرموت إذ يقال سنة وقعة الجرب اهـ.

وقد بقي منهم بقية عمدوا إلى تريم فاستوطنوها ولم يزالوا حتى الآن يطلق عليهم الاسم المذكور وقد تسند إليهم السفارة غالباً بين دولة تلك البلاد وبين القبائل المجاورة بل وبين القبائل مع بعضهم. وهم يحترفون السمسرة غالباً.

المدرسة السلطانية:

لم تشغل بدراً أبا طويرق مشاغله السياسية عن الالتفات إلى الناحية العلمية بنشر العلم والأدب فقد بث الدعاة والمعلمين في البلاد، وأجرى رواتب غير قليلة لرجال العلم وأرباب التعليم وأسس بالشحر مدرسة جليلة سارت بفضلها

الركبان قصدها طلاب المعارف من كل صوب واختار لها من الأساتذة والنظار من يشار إليه بالبنان علماً وفضلاً قال في السناء الباهر.: وقد بذل السلطان بدر جهده حتى تحصّل على الشيخ الإمام نور الدين علي بن علي با يزيد فولاه مدرسته السلطانية بالشحر ولما امتنع بادئ بدء قال له: ما أرى لها وللتدريس بها أهلاً غيرك، فأقام بها يدرّس ويفتي قال صاحب النور السافر: وكان تأسيس المدرسة السلطانية البدرية ببندر الشحر سنة ٩٥٩هـ. وقد جعل السلطان بدر عليها وقفاً معلوماً قال الفقيه أحمد الجابري برد الله مضجعه مؤرخا:

شاده البدر مسجداً قد تعالى ... بعلاه على النجوم المضيئة

رب من قال أرِّخـــوه فقلنا ... مسجداً شيَّدوه للشافعية

القبض على بدر:

ما بلغ السلطان بدر خمساً وسبعين سنة إلا وقد ضاقت حوصلة ابنه عبدالله عن أن تسعه وتسع تصرفاته واتجاهاته. ولا ريب أنها كانت بينهما معاكسات ومشاكسات خفية وغير خفية لم يظهرها لنا التاريخ بعد. وما راع الناس في يوم من أيام صفر سنة ٩٧٦هـ إلا وقد سرى بينهم خبر أسود يتهامس بها المتهامسون مفاده القبض على مدوِّخ حضرموت السلطان بدر أبي طويرق ثم ظهر الخبر وشاع وجوهر به والناس بين مصدق ومكذَّب ولكنه الحقيقة الواقعة إذ دخل عبدالله بن بدر ومعه بضعة أشخاص على أبيه بحصن سيؤن وألقى القبض عليه وكأن السلطان بدر أدرك أن المعارضة لا تفيده فاستسلم استسلاماً تاماً فأُخذ وحُبس في بعض حجرات القصر أياماً، ثم نُقل إلى حصن مريمة على ما ذكره الحبيب عمر بن سقاف العلوي صاحب تفريح القلوب.

وفاة السلطان بدر:

ومكث محبوساً نحو سنة ونصف ثم ثقل عليه المرض تعضده الشيخوخة فأعيد من مريمة إلى سيؤن وهناك أدركته الوفاة في العشر الأواخر من شعبان سنة

٩٧٧هـ وسنّه إذ ذاك ٧٥ عاماً ودفن بمقبرة السلاطين وقبره غربي قبر الشيخ عمر با مخرمة رحمة الله على الجميع.

١٢ – السلطان علي بن عمر

السلطان علي بن عمر بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بن كثير فحل من فحول سلاطين الدولة الكثيرية علماً وفضلاً وهمةً ونشاطاً ودراية وحماساً لم يفت في عضد بدر أبو طويرق غيره ولم يقلق مضجعه سواه فقد أشرنا إلى شيء من ذلك في ترجمة أبي طويرق ويعتقد العامَّة وكثير من الخاصة بأن علياً هذا من أجلة أولياء الله تعالى وأنه من خواص الأبرار. ولم يكن اعتقادهم هذا في غير محله فالرجل رحمه الله قد ساعدته مواهبه الطبيعية على التحلي بما يتحلى به الكمّل من الرجال معرفة وتقوى وخلقاً صالحاً وسمةً ووقاراً وجلالاً قال عنه صاحب السناء الباهر:

هو الشيخ الصالح الولي علي بن عمر بن جعفر الكثيري ولد سنة ٩٠٦هـ وحفظ القرآن واشتغل بتحصيل العلم وحصَّل طرفاً صالحاً منه وحج وزار وصحب الأخيار وتولى سلطنة حضرموت وكانت أيام ولايته أيام أمن ورضى وكان شجاعاً اشتهر في وقائع هائلة ثم زهد في منصب الولاية ورغب في الانقطاع إلى الله تعالى ولازم الشيخ معروفاً با جمّال إلى مدة طويلة وامتحنه الشيخ بامتحانات حتى كان يحمل السمك من السوق نفسه وقد يعمل مع البنائين في الطين ثم حصلت له إشارات بالعود إلى السلطنة فعاد وباشرها على كراهة لها وحصل بينه وبين ابن عمه بدر حروباً كثيرة آخرها حرب الجرب سنة ٩٥٨هـ وقتل من الفريقين نحو ستين رجلاً ثم حاصره بدر إلى أن قبضه وحبسه في حصن مريمة واستمر إلى سنة ٩٧٧هـ فأخرجه السلطان عبدالله بن بدر. قال: ورأى في المنام جماعة من الأشراف بني علوي النبي صلى الله عليه وسلم يمسح على رأس علي بن عمر ويقول له أنت من الفائزين وكان الشيخ معروف يقول أنه من أخص الخواص وأثنى عليه كثيرون من الأولياء والصالحين ومدحه جماعة من

الأدباء بقصائد كثيرة طويلة وكان له ذوق في علم الحقائق ومشاركة في فنون كثيرة. وكان له معرفة بعلم الأوفاق والأسماء تركها بعد بالكلية وسببها أنه أراد مرة أن يضع له وفقاً فسمع هاتفاً يقول: ليس هذا من التوحيد فتركه. وله كلام حسن في السلوك والرقائق وله نظم حسن. ولننقل هنا ما كتبه برمته عنه صديقنا البحّاثة عبدالله بن محمد بن حامد السقاف العلوي في كتابه تاريخ الشعراء الحضرميين فإننا نجد ذلك من أحسن ما سجل في ترجمة الرجل: قال:

نسبه:

علي بن عمر بن جعفر بن عبدالله بن علي بن كثير الكثيري ذو صفات سامية وعواطف رحيمة وأخلاق فاضلة وشهامة.

مولده بمدينة شبام سنة ٩٠٦ من الهجرة وفي شذوذ النشأة والتربية العلمية سطع ذا معلومات علمية باهرة وتصوف غامق حافظاً للقرآن الحكيم متباعداً عن الحياة السياسية حتى قال في السناء الباهر أنه من الأولياء وتوقظه الأيام وهو في غمار حياته الصوفية بهجوم ابن عمّه السلطان بدر أبي طويرق ابن عبدالله بن جعفر الكثيري على شبام واستيلائه عليها في ١٦ شعبان سنة ٩٢٩هـ ومن المعلوم أن يهرب من شبام بعشيرته كغيره من أمراء الأسرة السلطانية وفي مقدمتهم السلطان محمد بن بدر بن محمد بن عبدالله بن علي الكثيري وقد عجز عن الدفاع عن عاصمة سلطنته متخذاً من مدينة هينن موئلاً.

ولا ريب أن يسوء أهل شبام تشتيت سلاطينهم واستعمار بلادهم وتتجه أنظارهم إلى صاحب الترجمة وبعد محادثات ومواثيق قَبِل مبايعتهم بالسلطنة على شبام.

وفي جمادى الأولى سنة ٩٤٣هـ هجم عليها بقوة حربية عظيمة واستولى عليها واتخذ شيخه العلامة الشيخ معروف بن عبدالله با جمّال مستشاراً لا يبرم أمراً بدون موافقته.

ومن مزاياه أنه لم يأخذ معشّرات ولا ضرائب من الرعية لتموين خزينة الدولة اكتفاءً بتموينها من حاصلات مزارعه ونخيله الخاصة.

ومن غير شك أن يقض مضجع السلطان بدر خروج شبام على سلطته وعجز حمايته عن الدفاع عنها. ويدفعه الغيظ المضطرم إلى مهاجمتها واسترجاعها في ذي الحجة من نفس العام ولكن مثل السلطان علي بن عمر تأبى نفسه أن يعيش مخذولاً مشرّداً عن وطنه وملكه فيجهز بقوة حربية ويستولي عليها عنوة.

ولما كان السلطان بدر مبعثر القوى الحربية في نواحي شتى وقد تألبت عليه خصومه فقد ارتأى أن يصالح صاحب الترجمة ويزيل كل أثر نفسي أحدثه النضال على شبام وانتهى مؤتمر الصلح على الاعتراف بسلطنته على شبام على أنه قد بادر بالسفر عقب الصلح إلى مدينة الشحر لمقابلة السلطان بدر بها للدلالة على زوال كل أثر من جانبه فيجد من السلطان بدر مقابلة طيبة وإكراماً يفوق الوصف.

ويستديم الجو السياسي بينهما صافياً وأواصر القربى في أروع مظاهرها حتى كان المترجَم له قائد الحملة الكبرى التي وجهها السلطان بدر إلى المشقاص لإخضاع المهرة في رمضان سنة ٩٥٣هـ - ولكنَّا لا نعلم أسباب الشقاق الذي انفجر بينهما واستحال إلى خصومة جامحة تدفع السلطان بدر إلى كثرة الحملات على شبام حتى تميّز غيظاً من انكسار قواه في كل محاولة وارتدادها إلى سيؤن منهزمة بقتلاها وجرحاها فيزحف بنفسه سنة ٩٥٨هـ على رأس جيش لجب وتعجز شبام عن الدفاع وعن المقاومة والصدام فيدخلها عنوة ويبادر بالقبض على السلطان علي بن عمر ويسجنه في حصن مريمة ويجلي الشيخ معروفاً با جمّال عن شبام بعد إهانته والمنادي ينادي هذا معبودكم يا أهل شبام كما يروي النور السافر. وهل نتحدث عن بقاء صاحب الترجمة مسجوناً حتى أطلق سراحه

السلطان عبدالله بن بدر أبي طويرق الكثيري سنة ٩٧٧ من الهجرة بعد أن أخذ عليه العهد بعدم التعرض للشئون السياسية ومحاولة الطموح إلى السلطنة.

وقد أقام بمنزله بشبام بعد إطلاق سراحه من السجن مقبلاً على طاعة الله وتدبير شؤنه الخاصة حتى انقضى أجله سنة ٩٨١ هجرية وقبره معروف بجرب هيصم أشهر مقابر شبام ولا نكر إذا أكثر الشعراء من رثائه.

يتحدث السناء الباهر أن له قصائد ومقطوعات كثيرة يقول في قصيدة مطوّلة تبلغ سبعين بيتاً يمدح بها شيخه العلامة الشيخ معروفاً باجمّال متوسلاً به إلى الله أن يطلقه من اعتقاله وقد أمر ابنه الأمير محمداً أن يتلوها عند ضريح الشيخ معروف.

سلام على من كان للعين نورها ... ومن كان للنفس المنى وسرورها
سلام على دعد التي في الحشا لها ... مكانة إجلال تفوح زهورها
وما زلت أسأل عن مساكنها التي ... لها في الملا صيت وقد بان نورها
ومن عجب أن يطلق الوصل عاشق ... وفي قلبه أطنابها وخدورها
وما أحجبت ولكن من شدة الضيا ... اختفاء ومثل الشمس باد ظهورها

انتهى ما قاله صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين.

١٣ – السلطان عبدالله بن جعفر بن عمر

هو السلطان عبدالله بن جعفر بن عمر بن محمد بن عبدالله بن علي بن عمر لم أقف على تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته ولا على ترجمة عنه قاطعة الصدى غير أني علمت انه تولى ظفار وعدل بها وأحبه الناس وأوغلوا في محبته وإجلاله وتعظيمه وكان على جانب من العلم والصلاح يعضده اعتقاد العامَّة فيه بأنه عالم من العلماء وولي من الأولياء وله في عالم التأليف رسالة سمَّاها ((الدلائل والأخبار في خصائص ظفار)).

١٤ – السلطان محمد بن علي بن عمر بن جعفر

السلطان محمد بن علي بن عمر بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر، أديب متفنن شاعر ناثر خفيف الروح حسن المحاضرة حلو الشمائل متفاني في حب الصالحين ورجال التقوى.

ولد بشبام سنة ٩٤٢هـ وتربى في حجر أبيه حجر المجد والفضل وتخرّج عليه متأدباً بآدابه متشبثاً بأهدابه قرأ عليه العلم وتلقى عنه الأخلاق الفاضلة وارتضع منه أفاويق التقوى ولم يشتغل والده عن تهذيبه وتأديبه بحروبه مع بدر وكفاحه عن وطنه شبام. بل كرّس له وقتاً صالحاً للأخذ بيده إلى معالي الأمور ومكارم الأخلاق ولما استولى بدر أبو طويرق على شبام كان عمر المتَرجم له يومئذٍ ستة عشرة سنة فلم يبلغنا عن بدر أنه قبض عليه فيمن قبض.

نزوعه إلى التصوف:

ومع ميله الكثير إلى الأدب والأدباء ومساجلاته الأدبية معهم فإن له أيضاً نزعة خاصة إلى التصوف ورجاله هبت عليه نسماتها من تربية والده له وممن اتصل بهم في صباه من أبطال هذا العلم كالشيخ معروف با جمال وأضرابه من شخصيات التصوف البارزة في القطر الحضرمي.

وحكى لنا السيد الخرد العلوي في كتابه الغرر عن هذا السلطان حكاية تدلنا على ما ذكرناه أيضاً من نزعاته الصوفية قال: سافر محمد بن علي بن عمر الكثيري من ظفار وهو سلطانها إذ ذاك يريد حضرموت فورد في طريقه بعض موارد المياه البعيدة الذي يبعد عن بقية الموارد ثمانية أيام من كل جانب فبينما هم على ذلك الماء إذ طلع عليهم بعض السيّاحين وليس معه سقاء ولا زاد ولا راحلة غير عصا بيده قال السلطان محمد فلما رأيت ذلك السائح عرفت في نفسي أنه ولي لله فقمت إليه

وصافحته وقلت له فيما قلت يا سيّدي نحن بدو ما نعرف وعندنا مشايخ وعندنا فقراء ما تعرف من نحترم منهم أو نهاب ومن لا نحترم أخبرنا بمن نهابه منهم فقال هابوا الرجل القصير القامة الصبيح الوجه الكبير الرأس القصير العضدين . قال السلطان وكان في والدي شيء من ذلك الوصف فقلت في نفسي لعله والدي إن الناس يقولون أن فيه بركة فكأن السائح تفرّس ما يجول بخاطري فصاح علي وقال بأعلى صوته إنه صاحب عرف إنه عمر بن عبد الرحمن.

ويظهر لنا من كلام السيد الخرد أيضاً أن محمد بن علي هذا قد تولى سلطنة ظفار رغماً عمَّا نعلمه عنه من كثرة الأسفار والولع بالرحلات والسياحة.

شعره:

وأورد صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين من شعر السلطان محمد بن علي قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ أبا بكر بن سالم نفع الله به:

إن جئت عينات فحيي ثراها ... واستنشق العرفان من ريّاها
والصق جبينك بالتراب مقبّلاً ... شكراً لمن أولاك لثم ثراها
بلد أقام بها الكمال وحبَّذا ... بلد غدى الغوث العظيم حماها
واستقبل الشيخ المعظّم خاشعاً ... في ذل نفس كي تنال مناها
يا ليت شعري كيف ضاع حجاه من ... ترك الرشاد ونفسه أشقاها
لكنه الله المهيمن هكذا ... يقضي على الحالات في مجراها

ومن مطوَّلة يرثى بها العلامة الشيخ معروفاً بن عبدالله با جمّال:

ضرم الفؤاد بمضرم النيران ... عند انتقال العارف الصمداني
يبكي عليه العارفون وإنه ... تبكي عليه السبع والثقلان

توفي بشبام سنة ٩٥٥هـ ودفن بجرب هيصم تغمده الله برحمته.

١٥ ، ١٦ – المحمدان

هما الأمير محمد بن بدر ين محمد بن عبدالله بن علي بن عمر والأمير محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن علي بن عمر: خرجا معاً على السلطان بدر بو طويرق وتبعهما خلق كثير كياداً لبدر وتشفيّاً منه وكانا ينقمان من السلطان بدر استبداده وجشعه وتطاوله إلى ما ليس له وزاد اغتياظهما منه ما يريانه من نبوغه وتفوقه، وكانا لا يعدمان هنات وهفوات تصدر عنه غير مرضية يتذرع بها شانئوه إلى الحط من شانه وتأليب الناس عليه.

ثورتهما ضد بدر:

وقد كان سقوط شبام في يد بدر بجيش الأتراك سنة ٩٢٧هـ هو الذي أثار حفيظة العائلة الكثيرية المالكة التي تشتت شملها واتجه كل من أفرادها إلى جهة فاختار الأمير محمد بن بدر وعائلته بلدة هينن مقراً له وطفق منذ ذلك الحين وهو يناوئ السلطان بدراً ويهاجم شبام بمن يستميلهم معه من الناس وفي مقدمة هؤلاء ابن عمه محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن علي. ولكن بدراً سرعان ما استولى على هينن ورجح أن لا يقبض عليهما بل يدعهما طليقين لعلهما يؤوبان إلى رشدهما ويذكران لذلك يداً له تردعهما عن الاسترسال في تمردهما ضده.

القبض عليهما:

غير أن حفيظة الشابين كانت أغزر من أن تصل إلى قرارتها هذه النعمة الممنونة فاستمرا في تهييج الأفكار وتعكير المياه فاضطر السلطان بدر إلى القبض عليهما واعتقالهما في حصن مريمة وذلك سنة ٩٣٠هـ فمكثا فيه إلى رمضان سنة ٩٤٦هـ أي نحو ستة عشر عاماً حيث توفي الأمير محمد بن بدر وظل بعده ابن عمه محمد بن عبدالله معتقلاً سنتين أيضاً فأطلق السلطان بدر سراحه بعد أن مكث مسجوناً ثمانية عشر عاماً وسافر إلى مكة هو وابنه بدر بن محمد رحمة الله على الجميع.

١٧- السلطان عبدالله بن بدر أبي طويرق

هو السلطان عبدالله بن بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر أبوه بدر أبو طويرق. شارك أباه في الحكم ثم أخذ يتضايق من خلال تصدر من أبيه يعتبرها عبدالله ضارة بالسلطنة وسياستها وأموراً أخرى رأى فيها من شيخوخة أبيه ضعفاً وتخريفاً يخشى منها على تلك الدعائم التي أقامها في شبابه وكهولته أن تتداعى ولم يطق عبدالله صبراً فوق ذلك فتمالأ مع رجال من خواصه وهجم على والده بجرأة عظيمة. فاعتقله في شهر صفر سنة ٩٧٦هـ بحصن سيؤن ثم نقله إلى مريمة ونادى بنفسه سلطاناً في بور.

كان السلطان عبدالله هذا طيب القلب رحيماً بالفقراء والمساكين محباً لهم حسن الاعتقاد في الأولياء والصالحين. ولم يوافق أباه على حبس علي بن عمر ولهذا لم يكد يدفن أباه حتى أسرع إلى إطلاقه بعد أن أخذ عليه العهد بان لا يتعرض للشئون السياسية.

تعظيمه لرجال العلم:

وللسلطان عبدالله تعظيم حميد لأساطين العلم وأرباب الفضل والتفات خاص بهم. كان حسن الاختيار في توظيفهم الوظائف الشريفة اللائقة بمقامهم فمنح رتبة قاضي القضاة من وادي يبحر شرقاً إلى وادي عمر غرباً للشيخ العلامة محمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين با جمّال. قال صاحب السناء الباهر: وطلب الفقيه الصالح العلامة محمد بن عبدالرحيم با جابر من بلدة بروم إلى الشحر ليوليه تدريس مدرسة أبيه السلطان بدر وألزمه بذلك ففعل وانتفع بتدريسه الأنام، واستنارت بذلك وجوه الليالي والأيام، وما أحسن ما قاله السيد الشريف الفاضل وجيه الدين عبدالرحمن بن أحمد البيض العلوي رحمه الله في ذلك:

شمس الهدى طلعت وغاب رقيبها ونجوم نحس الجهل آن مغيبها
بظهور مولانا ومالك عصرنا نجل الخلافة فحلها ونجيبها
عبدالله السلطان منصور اللوا مردي العداة بكفه تعذيبها
لما أتى للشحر يصلح أمرها وجميع داعية الفساد يذيبها
ودعا إمام العصر فرد زمانه شيخ العلو م فقيهها وأديبها
ذاك الفقيه محمد بن مزاحم سبّاق غايات الكرام خطيبها

الأزمات السياسية:

وباغتته الأزمات السياسية منذ اقتعد العرش فقد كان أخوه جعفر في الشحر حينما بلغه قبض السلطان عبدالله على أبيه فتمرد وأعلن العصيان فنهض إليه السلطان وتوجه إلى الشحر وحصرها براً وما لبث أن استولى عليها وأخرج أخاه منها ونفاه إلى قشن.

جعفر يثير المهرة:

وأخذ جعفر بن بدر في قشن يثير المهرة ويجمعهم لقتال أخيه عبدالله وفي أواخر جمادى الآخرة هجم على الشحر براً وبحراً ودخلها وعالج الحصن ولكنه استعصى عليه وأطلق من فيه رصاص المدفع على المحاصرين الذين تقهقروا إلى حيث أتوا.

وقعة الوادي:

وفي شهر صفر سنة ٩٧٧هـ توجه السلطان عبدالله من الشحر بجيوش كثيفة لغزو المهرة وإخضاعهم ومهاجمة أخيه جعفر في حريج واستصحب مع الجيش مدفعاً ولما بلغ الخبر جعفراً تحوّل مع من معه إلى الوادي ومعه قوم من المهرة يقودهم الأمير ناصر وعمر بن طوعري واقتفاهم عبدالله إلى الوادي وقد كمنوا له وحصل القتال يوم الثلاثاء ١٨ صفر وكانت الدائرة على السلطان عبدالله وقُتل من عسكره خلق كثير وغنم المهرة المدفع.

وانهزم السلطان وعسكره وركبت المهرة أكتافهم وسلكت طريق البحر وراءهم إلى الريدة.

توالي حملاته على المهرة:

وطفق السلطان عبدالله يوالي حملاته على المهرة ولكنه لا يعود إلا بالفشل فكلّت منه تدابيره وأعيته الحيلة فيهم. وفي سنة ٩٧٨هـ قام محمد بن كعشم المنهالي فسعى في صلح وطيد بين السلطان وهو إذ ذاك بحضرموت وبين المهرة واستمر الصلح سائداً إلى سنة ٩٨٢هـ حيث عادت المناوشات كعادتها ولكن في سنة ٩٨٤هـ أبرم الصلح نهائياً.

قبضه على أخيه عمر:

وبلغ السلطان عبدالله عن أخيه عمر ما يسوءه فقبض عليه وزجّه في السجن وبقي به حتى مات عبدالله .

وفاته:

وفي يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول سنة ٩٨٥هـ توفي رحمة الله عليه ودفن بسيؤن.

١٨- السلطان جعفر بن عبدالله

السلطان جعفر بن عبدالله بن بدر أبي طويرق بن عبدالله بن جعفر تولى الملك بعد أبيه ومكث به نحو ست سنوات ثم قُتِل سنة ٩٩٠هـ.

١٩- السلطان العادل عمر بن بدر أبي طويرق

السلطان عمر بن بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر من أوضح الشخصيات السلطانية الكثيرية بروزاً وأهمها شاناً. اشتهر بالعدل والعقل والفضل. ترجم له الشلي العلوي في تاريخه ونقل عنه المحبي في كتابه خلاصة الأثر فقال: السلطان عمر بن بدر بن عبدالله بن جعفر الكثيري سلطان حضرموت بالشحر ذكره الشلي وقال في ترجمته كان حسن الشمائل وافر العقل كثير العدل. وكانت سيرته مرضية وله التفات تام إلى الرعايا حسن السياسية صادق الفراسة صاحب أخلاق حميدة قلَّ أن ورد عليه أحد من الغرباء إلا وصدر

يثني عليه الثناء الجميل وكان شجاعاً مقداماً ولعبد الصمد با كثير فيه عدة مدائح.

كلمة العيدروس فيه :

وترجمه العيدروس العلوي في النور السافر فقال: السلطان العادل والملك الكامل. السلطان عمر بن السلطان بدر سلطان العصر. وأعجوبة الدهر. جم الفضائل. حسن الشمائل. وافر العقل، كثير العدل. ذو سيرة مرضية وسلوك حسن مع البرية صاحب أخلاق ألطف من النسيم. وأبهج من الدر النظيم. قلَّ إن وفد إلى ساحته وافد إلا وانصرف يشكر ما أسداه من البر الجزيل.

ثناء جميل منك يثني معطر ... ووفرك مبذول وعرضك سالم
وسعت الورى علماً وحلماً بهيبة ... وبذلك للمعروف والثغر باسم
بصدر رحيب واسع قد وسعتهم ... وجود حكاه الوابل المتراكم
دماثة أخلاق سماحة حاتم ... وأصل كريم جللته المكارم
جمعت خصالاً يا بن بدر حميدة ... بواحدها يسمو الفتى ويساهم
حياء ومعروفاً وجوداً بشاشة ... وعلماً وحلماً جل من هو قاسم

اتصاله بالشيخ أبي بكر:

قلنا عند ذكر أخيه عبدالله أنه قبض عليه وزجه في السجن مضيّقاً عليه ومكث كذلك مدة ولاية أخيه. وأرسل إليه الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي وهو في ضيق من الحبس يسليّه ويبشره بالفرج والولاية فكان كذلك.

ونجم بذلك تعلُّق السلطان عمر بن بدر وأنجاله بالشيخ أبي بكر وأنجاله منذ ذلك الوقت واشتد الاتصال بين العائلتين ولم يقصّر السلطان عمر مدة سلطنته في قبول شفاعات العائلة البكرية والعفو عمن استجار بأحد افرادها.

وحدث مرة أن قتل رجل من آل كثير قاتل والده وخاف من السلطان عمر بن بدر أن يقتله به فاستجار بالسيد أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم وهرب إلى داره. فأمر السلطان عمر بإخراجه من دار الشيخ فهجم العسكر على الدار وفتَّشوا جميع المنازل فلم يظفروا به ثم أخرجه ليلاً والعسكر محيطة بالدار ونجا.

إكرامه لأهل الفضل:

وجبِل السلطان عمر على إكرام أهل الفضل ومنحهم المنح الجزيلة والأخذ بأيدي من عثر به الدهر منهم. قال معاصرنا السيد عبدالله السقاف العلوي في تاريخ الشعراء الحضرميين عند ذكر الشيخ عبد الصمد با كثير أنه كان قد عاش أكثر عمره بائساً عاثر الحظ. وما تحسنت حالته المالية إلا بعد اتصاله بخدمة الدولة الكثيرية كسكرتير ومنشئ الرسائل في عهد السلطان عمر بن بدر أبي طويرق وعهد ابنه السلطان عبدالله بن عمر حتى كان في معيتهما حضراً وسفراً وصارت الشحر موطناً له ثانياً من كثرة تردده إليها وإقامته المدد الطويلة متزوجاً ومذريا بها.

شعر عبد الصمد:

وقصائد عبد الصمد العمريات تسمعك السحر الفاتن. وتريك المناظر الخلّابة. وتطير بك في عالم من الخيال تذهل فيه الألباب. ويسيل منها اللعاب فما تنزع عنها إلا وقد اختصر لك الوقت اختصاراً. وانطلق عنك الزمن فراراً. فترى الساعة مرة كدقيقة. والدقيقة كثانية. ولا أخالك يا صديقي القارئ إلا راغباً في أن تترشف قطرة من تلك القهوة. وتتفوق ذرة من تلك النشوة. فإن كنت كذلك فإليك نفحة من المدائح العمرية وهي مما نقله صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين وقال إن اسم الممدوح يعلم من أوائل كلمات هذه القصيدة الواقعة في أوائل الأشطار الثانية، ثم من أوائل الكلمات في الأشطار الأولى معكوسة وإذا تأملتها تجدها هكذا: عمر بن بدر بن عبدالله بن جعفر عز نصره ودام عزه قال عبد الصمد:

هل لي إلى من قد هويت سبيل عطفاً فقلبي واله مذهول

قلت: يقول عيل الصبر وعدمت الحيلة وجاشت النفس بسؤال البائس اليائس حيث تجيبها الأقدار بالسلب. فتخور قواها، ويطم بلاها، وتحسب أن في الاستعطاف خلاصها ومنجاها. فتستغيث ولا مغيث، وتسترحم ولا راحم، وتصرخ معلنة ذهول القلب وولهه. شاكية بما لا يجدي عند من لا يسمع.

زاد اشتياقي والتجلد قد وهى مذ حل بالألف القطين رحيل
عج حيث ما نزلوا فدمعي بعدهم رذم على صحن الخدود يسيل

يقول: رحلوا فرحل بصحبتهم السرور والصفا والجلد والنهى وبقي الشوق المؤلم. والضعف المسقم. يطغى سيله ويتمطّى بجوزه ليله. فهلمَّ بنا إلى منازلهم. التي كانت مراتع غزلانهم، ومطالع أقمارهم. لنكرع من رحيق الذكريات الماضية ما لعله يثلج الفؤاد، ويبل الأكباد، ولنمرِّغ بها هذه الخدود التي أصبحت من بعدهم مسيلاً فائضاً للدموع الغزيرة والنبوع المتفجرة فلعلنا نروي تلك الربوع بوسمى الدموع:

ما غردت قمريّة في أيكة إلا تبلبل قلبي المشغول
دوماً أردد زفرتي وتلهفي بين المرابع والفؤاد عليل
دمعي وسهدي مسعد ومخالف نمت الصبابة والفراق بليل
والشوق يقلق والمتيم لم يزل باكي العيون من الصدود ضئيل
هيهات أن يسلوه صب هائم دنف يميل به الهوى فيميل
رقصت به الأشواق وجداً مثلما رقصت عياهيم لهن زميل

ما هو حال من تقطّع أحشاءه الزفرات، وتفتت كبده الحسرات ويبلبل قلبه تغر يد البلابل، ونياح القماري. إن شكى أو بكى، أو أفهم أو استفهم فإنما يزيد النار وقوداً والأشواق نموّاً والأشجار غلظة. يتعلل بالسلو. فإذا بينه وبينه بعد

المشرقين. ويتلمس قلبه ولبّه فإذا هو قد ضل بين الخافقين فلترتقص به الأشواق، وليودي به الفراق، فالسفر بعيد والأمر شديد والحب سلطان لا يغالب.

صبرت على شق التنائف وانتحت أرضاً بها من لا يزال ينيل

يحس بألم الشوق وهو يزعزع نياط القلب، ويدوس هام الأمل. فيفتح له الخيال كوة يبصر بها تلكم اليعملات الرواقل مهتزة أسنمتها. مرتقصة أخفافها. تشق به الفيافي الشاسعة الأطراف. المترامية الأكناف. ينهكها الوجا ويدميها الحفا. حتى تصل إلى البلاد بها منية الراغب وأنشودة الطالب.

هذا هو لعمري الخيال الوثاب الذي يهيم بربه في كل واد ويذهب به كل مذهب ويقفز به من مهاوي البؤس والشقاء إلى معارج السعادة والهناء. ومن حضيض اليأس إلى أوج الرجاء، فيحلّق في فضاء سعيد تأئها بين أخلاق حميدة وخلال سامية ودهر موات. وهبات سنية تدفق عليها تدفقاً. وتغمر كيانه غمراً.

نعم اطمأنت في حمى عمر الذي بنداه عفوا للوفود كفيل
زادت به رتب الخلافة رفعة نجم السعود لتاجها أكليل
عمر بن بدر في الملوك كأنه علم له التعظيم والتبجيل

إلى آخر ما قاله: توفي السلطان عمر ببندر الشحر سنة ١٠٢١هـ وأرَّخ عبد الصمد وفاته بقوله: (رضاك). ومن مراثي عبد الصمد فيه قوله:

هوى من سماء المجد كوكبها القطب فأظلم في أقطارنا الشرق والغرب
تضعضع طود المجد وانهدّ ركنه فيا لك ركن قد تضمنه الترب
ثوى عمر الخيرات أكرم من سعت إلى سوحه تطوي سباسبها النجب
لقد كان للعافين ظلاً وملجأ وللغرباء منه البشاشة والقرب
وللمشتكي الأعدام من جوده الغنى وللجاهل الإغضاء والصفح والعتب
ومقترف ذنباً أقال عِثاره فأصبح في أمن كأن لم يكن ذنب

إلى أن قال:

أراني وحيد الهم هـل مـن مشـارك ... حشاه كأحشـائي يمزقهـا الكـرب
وهل عبرة مسـفوحة مثـل عـبرتي ... أجل كل عين مـن مـدامعها صـب
فيـا لـوعتي نـام الخلـي ولم أنم ... ويا حسرتي أسعى وليس معي قلـب
ويا لك نعش يحمـل المجـد والنـدى ... يكاد بمن فيـه يميـل بـه العجـب

٢٠- السلطان عبدالله بن عمر

السلطان عبدالله بن عمر بن بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر.تولى بعد أبيه سنة ١٠٢١هـ قال في خلاصة الأثر عن الشلي : أنه كان حسن الخَلق والخُلق مهاب المنظر آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. ولي الملك فأحسن القيام به وأظهر السطوة وقهر البادية وغيرهم فهابته النفوس وأمنت البلاد ثم حصلت له جذبة ربانية فلم يرض إلا بالدرجة العليا وخرج عن أهله وماله وقصد الحرم الشريف وأعرض عن الملك وأقام بمكة إلى أن توفي. اهـ.

تخليه عن الملك وانقطاعه للعبادة:

وما ذكره الشلي عن الجذبة الربانية إشارة إلى ما حصل للسلطان عبدالله من التجرِّد بغتة عن ملكه وأُبهته والتوجه إلى التوبة والإقلاع عن الغفلة وعن الاشتغال بالخلق وقد التجأ في سلوكه هذا إلى الشيخ الإمام الحسين بن أبي بكر بن سالم العلوي ليجعله خريتاً في طريقه الموصل إلى الغاية المقصودة وذلك سنة ١٠٢٤هـ أي بعد أن مكث في السلطنة نحو ثلاث سنوات. فقد ساورته هذه الخواطر الشريفة أسابيع حتى جزم ذات ليلة على تنفيذها بقوة إرادة عظيمة فأصبح متسللاً عن مقر ملكه متجهاً نحو عينات بملابس درويش مستصحباً معه رجلاً يقال له معضلي. وكان السلطان يتمنى أن لو اتفق له الخلوة بالإمام الحسين وبحضور نجله أحمدلديها. ولندع الكلام الآن في إتمام قصة دخوله على الحسين للشيخ المؤرِّخ عبدالرحمن بن أحمد باوزير فقد نقلنا حديثه هذا عن سفينته بنصه وفصه من دون زيادة ولا نقصان. قال: ولما قرب السلطان

من عينات أعطى معضلي حجل فضة ثم زار قبر الشيخ أبي بكر بن سالم وأتى إلى المسجد الشرقي وهو مغطي بدنه الجميع. فاتفق بعبودان[1] وخابره أنه درويش من دمشق وأن قصده زيارة الحسين ثم قال لعبودان أدع لي الحبيب أحمد بن الحسين يطلع بي إلى أبيه. فقال له الخادم: والله لو كنت السلطان عبدالله بن عمر ما خرج لك الحبيب أحمد والأولى ندعو لك سلمان باصبيع[2] فجاء سلمان وأطلعه وكان حين دخول الدار هناك جماعة بقرب الدار من عيال الحبيب الحسين فرأوا هذا الدرويش وقد غطّى جميع بدنه بحيث لا يرى منه إلا حدقتاه. فتعجّبوا منه فقال السيد علي بن الحسين إن صدقت فراستي فهذا السلطان عبدالله بن عمر قال: فطلع السلطان فلما دخل باب المحضرة وإذا بالحبيب الحسين وعنده ابنه أحمد وكان هذا هو ما يتمناه السلطان فالتفت إلى باصبيع وقال له ارجع وأوصد الباب وخلع ثيابه وأقبل على الحبيب باكياً منتحباً فنهض الحسين وابنه أحمد ذاهلين. وقالوا ما هذا الحال يا سلطان هل جننت فزاد في البكاء والحبيب الحسين يتلطف به. ثم قال السلطان: قد جئت إليك فقيراً مختلعاً وتركت الولاية بين يديك تمضي وتحكم في حضرموت بما أردت فقال له إن الولاية على الناس لا نرضى بها حتى لخادمنا الذي يجر الماء ولا نوليها عيالنا. بل نوليها صنوك بدراً لكونه صاحب فضيلة وعدل. فقال له السلطان عبدالله أطلب منك أن تدعو الله لي بثلاث خصال: الأولى أن يغفر لي ذنبي. والثانية أن أموت بمكة أو المدينة أو بعينات. والثالثة أن أكون معك في الجنة.

---

(١) عبودان الخادم الخاص للحسين.

(٢) وكيل قصر الحسين.

فقال الحبيب الحسين: أما الأولى فلا سبيل إليها لأنك وليت أمر الناس سنوات وحقوق العباد ما تترك ولا تسامح إلا بردها. وأما الموت فكل يعود إلى طينته وأمر ذلك إلى الله تعالى قال سبحانه: ((وما تدري نفس بأي أرض تموت)) وكذلك الجنة إلا برحمة الله وما يدريك أن نكون نحن في النار. قال السلطان لا بد من ذلك ولا أعذرك قط وأريد معك في الجنة أو إلى النار.

فقال الحبيب أحمد مخاطباً أباه الحسين: فضل الله واسع ورحمته واسعة وقد أتاكم الرجل منطرحاً كسير القلب مختلعاً من الولاية ومن الدنيا وما فيها فاقبلوه بما فيه فقبله رحم الله الجميع وأقام بعينات ثم توجه إلى الحرمين الشريفين ومات بمكة سنة ١٠٤٥هـ ودفن بالشبيكة هذا هو المشهور. وقرأت عن بعضهم أنه عاد من الحرمين وتوفي بعينات ودفن بالسور عند الشيخ علي بن أبي بكر بن سالم نفع الله بهم ولم أجد هذا القول لغير هذا البعض.

وإلى عبدالله بن عمر هذا تنسب دولة آل عبدالله بن جعفر كما توهمه بعضهم.

٢١- السلطان بدر بن عمر

هو السلطان بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر: كان سلطاناً عادلاً وهماماً فاضلاً وكان آية في الجود والسخاء يحب الخير وأهله ويكره الشر وأهله. وكان قد أقام للشرع الشريف بحضرموت محاكم عديدة مضبوطة وبنى عدة مساجد منها مسجد الحصن الذي بسيؤن. ومسجد السلطان الذي هو شمالي حصن الرناد بتريم ووقف عليه أوقافاً كثيرة كافية.

وبدر بن عمر هذا جد آل عيسى بن بدر أصحاب العقاد وجماعة منصور بن عمر الآتي ذكره.

بينه وبين أخيه :

تولى السلطنة بإشارة سيدنا الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي سنة ١٠٢٤هـ بعد أن خلعها أخوه عبدالله . وهذا أكبر دليل على صدق الوجهة التي انتحاها عبدالله . وإلا فإن له أولاداً كان حريصاً على أن يرثوا الملك عنه من بعده وقد طالما حدث بينه وبين أخيه بدر هذا هنات وأمور ولدّت الحقد في قلب كل منهما بل وفي قلوب أولادهما من بعدهما حتى أدّى ذلك إلى التداخل الأجنبي وضياع السلطنة الكثيرية كما سيأتي.

الشرارة المحرقة :

ولم تكد تستقر قدما السلطان بدر بن عمر في الولاية حتى تصدى له ابن أخيه وهو بدر بن عبدالله بن عمر بالأذى وإذكاء المكائد حوله وأحس السلطان بدر بن عمر بالشر فلجأ إلى موالاة أئمة اليمن وأخذ يكاتبهم ويستنجد بهم. وأشيع عنه اعتناقه للمذهب الزيدي فازدادت الهوة اتساعاً والحالة حرجاً وأخذ الشعب الحضرمي ينفر عنه ويعضد بدر بن عبدالله وقد عرف هذا كيف يستغل هذه المواقف.

القبض على بدر بن عمر :

وفي سنة ١٠٥٨هـ وثب بدر بن عبدالله بن عمر على عمه بدر بن عمر بحصن سيؤن وقبض عليه وعلى ابنه محمد المردوف وضيّق عليهما ثم أرسلهما مكبلين بالأغلال إلى حصن مريمة حيث سجنهم هناك مع التضييق الشديد ثم نقلهم من مريمة إلى تريس. أما الأمير عنبر وكان من أكبر أنصارهما فقد توثق لنفسه في الحال بالعسكر من يافع الذين ربعوه (أي أجاروه) وعزم توّاً إلى عينات مجملاً لم يتغير عليه شيء وبقي هو وأولاده في كنف الشيخ الحسين وأولاده.

تداخل الإمام :

وبلغ الخبر إلى الإمام بالقبض على بدر بن عمر وأنه لم ينله ما ناله من الأذى إلا لموالاته أئمة اليمن فتغير خاطر الإمام على السلطان بدر بن عبدالله . وطفق يوفد إليه

الرسل ويكاتبه مطالباً إياه بإطلاق سراح عمه وتوليته ظفار. وكانت لهجة المكاتبات بين الإمام والسلطان لا تعدو حد المجاملات والمواربات. وكان السلطان بدر بن عبدالله يراوغ ويماطل ويظهر الطاعة للإمام ويتبطن غير ذلك، حتى أوفد إليه الإمام الأمير صالح بن حسين فألح عليه في إطلاق عمه بدر بن عمر وفي وضع حد لهذه المداجاة والمداهنة والطاعة الكاذبة فلم يسع السلطان بدر بن عبدالله إلا أن أطلق عمه ووكل إليه ولاية ظفار.

انتقاض الأمور:

ولم تكد الصلات الودية بين الإمام والسلطان بدر بن عبدالله تستمر زمناً يسيراً حتى انتقضت الأمور وحدث ما لم يكن في الحسبان. وذلك على ما حكاه الجرموزي في تاريخه أن أخاً للسلطان بدر بن عبدالله يسمى جعفراً وكان إليه شيء من البلاد. قال له أخوه السلطان بدر بن عبدالله إن الإمام قد انتزع منّا ظفار وجعلها لعمنّا فلم يبق لنا من البلاد ما يسع عوائدنا ووقع الاختلاف بين الأخوين.

فشخص جعفر إلى الإمام شاكياً من أخيه وطالباً من الإمام أن يفرض له بلاداً. فلم ير الإمام ذلك لما يحدثه من الفتنة بينهم وقد أحسن إليه الإمام كثيراً وأكرم ضيافته غير أنه طال على جعفر المذكور المقام في حضرة الإمام واشتاق إلى بلده فتقرب إلى الإمام بحسن الطاعة، وإنه لا يريد بلاداً وإنما يريد الاتفاق مع أخيه السلطان بدر. فكتب له الإمام توصية إلى السلطان وأرسله كما يحب. فلما وصل إلى عند السلطان بدر بن عبدالله اتحد أمرهما وصلح حالهما فاستراب منهما عمهما بدر بن عمر صاحب ظفار وأرسل ولديه محمداً وعلياً إلى الإمام عن طريق البحر وبلاد المهرى ليوقع في نفس السلطان بدر بن عبدالله هيبة الإمام ورجاء أن لا يتجاسر على فعل شيء مما يتوقعه منه. وفوق ذلك طلب الرابعة من آل كثير احتياطاً وهي ضمانة من له يد أو شوكة. فلم ينفعه كل ذلك بل توجه السلطان جعفر سراً إلى ظفار بينما المكاتبة بين السلطان بدر بن

عبدالله وعمه صاحب ظفار يشملها الاتحاد والمجاملة في الظاهر. وقد أظهر لعمه أن جعفراً ذهب إلى الهند وجهات النعمان وكلها تعمية على عمهما. وجمع جعفر أوباشاً من الناس. وأقبل على ظفار وقد استراب منه عمه وكتب جعفر إلى عمه أنه سيصله من طريق هي المعهودة. فخرج السلطان فيمن أجابه للقائه إلى ذلك المحل فلم يجده، وقد سلك طريقاً أخرى غير معهودة وهو ذو خبرة بالبلد وأهلها فقتل ابن عمه وملك ظفار واستولى على الحصن ولجأ بدر بن عمر إلى بعض البدو ثم انسل على أيديهم واتصل بالبحر وركب إلى بلاد المهرى ثم إلى عدن.

وكان قد أرسل إلى الإمام ولديه محمداً وعليا كما سبق فاستوثق من الإمام النصرة وأنه يخاف غدر أبناء أخيه ولما وصل إلى عدن تلقاه واليها من قبل الصفى بالإحسان والإعظام وكتب إلى الإمام وعاد الجواب بأشخاصه من طريق الجند وجهازه بكل ما يحتاجه. ولما بلغ الإمام وصوله (محروسة ذمار) أمر ولديه محمداً وعلياً المار ذكرهما بلقائه وأرسل رسلاً غيرهم بالأكسية الفاخرة والخيل المحلية والنقود الكثيرة وأظهر الإمام أن ما وقع فيه من الظلم والعدوان إنما هو بسبب انحيازه إلى جانبه المحمي.

ولما وصل إلى الحصين أمر الإمام أنجاله الكرماء ومن بحضرته من العلماء أن يتلقوه بالجنود، وعظّمه وخلع عليه وعلى أولاده وأصحابه وأنزلهم منازل الكرامة وتابع لهم الإنعام وبعد ذلك كتب الإمام إلى السلطان بدر بن عبدالله بما معناه أن السلطان بدر بن عمر منّا وإلينا وأن الواقع فيه من الجنايات إنما هو فينا.

مراوغة ومداجاة:

وكثرت الإشاعات والإرجافات بأن السلطان بدر بن عبدالله هو الفاعل الحقيقي للغدر بعمه وأن جعفراً لا يقدر على أن يصل بكل هذا وطفقت رسل الإمام تترى في هذا الشأن وكذلك رسل السلطان بدر بن عبدالله الذي لا ينفك يتنصل من المسئولية

والتبعة ويبعث بالبراءة تلو البراءة من جعفر وكان يُظهر الأنس إلى عز الإسلام محمد بن الحسن ويكاتبه.

ولما كان في شهر رمضان وصل الشيخ محمد بن شيبان من صوفية حضرموت ومتكلميها. وكانوا كثيراً ما يوسِّطونه في مهماتهم لميلهم إليه ومعتقدهم فيه فوصل بكتاب من السلطان إلى الصفي ولكن الصفي أجابه بان هذا كتابي وبعده سيفي وركابي وأراه السيف وقال له: طالما غششنا الإمام بهذه المخادعات التي هي ترهات لا محالة.

النفير:

ونادى الإمام بالنفير من غير تأخير وجُمعت الجيوش من جميع الجهات وقامت الخطباء والدعاة إلى الجهاد في صنعاء وجهاتها وخرج الجيش من الغراس المحروس يوم الخميس ١٨ شوال سنة ١٠٦٩هـ انتهى كلام الجرموزي. وهنا ننقل ما كتبه سيدي الحبيب علي بن حسن العطاس العلوي في كتابه سفينة البضائع عن هذا الموضوع. قال:

رحلة جيش الإمام:

وكان خروج الإمام أحمد بن حسن ووصوله إلى حضرموت آخر شهر رجب سنة ١٠٧٠هـ ومعه السلطان بدر بن عمر الكثيري وكان مخرجهم على العوالق وابن عبد الواحد. وكذلك الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله العمودي تلقاهم إلى نحو جردان وسار الإمام بالجيش عن طريق حجر.

وطلعوا عقبة المدلاة على الصوط وخرجوا عقبه في الجزع تسمى بعقبة با عقبة ونصبوا خيامهم بجد فرة بيضان. وأقاموا يومين ورحلوا إلى ضمر عشير يوم الخميس. وخاف أهل الهجرين منهم خوفاً عظيماً.

وفي الهجرين رتبة متقاربة حتى أن جماعة من الرتبة خرجوا إلى محطة السلطان بدر بن عبدالله وهو محط بأسفل بحران. وخرج عليهم أيضاً رجل من ذيابنة حريضة إلى النقيب أحمد بن سالم بن زيد بحصن المنيظرة.

وبعد ذلك أهل الهجرين خرجوا إلى عند ابن الإمام وطلبوا أماناً منهم لأهل الهجرين ونواحيها حتى صيخ. وكان ذلك بعد صلاة الجمعة وخرجت شرذمة من تلك القوم إلى أسفل متنصتين. ولما وصلوا تحت المنيظرة ضربوهم العسكر الذي بها حتى طلعوا البلاد ونهبوها وقتلوا في الحصن نحو أحدى عشر رجلاً منهم النقيب أحمد بن سالم بن زيد. أما الهجرين فسلمت من الهتك إلا أن جماعة من عسكر الإمام طلعوها رتبة نحو مائتين أو ثلاث ولم يرزأوا أهل البلاد شيئاً إلا أقواتهم فقط وكان وقوفهم في عشير وفي البلاد الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء ورحلوا نهار الأربعاء إلى مراوح ومغارهم يوم الخميس على السلطان بدر بن عبدالله ومعه قوم كثير. وعندما وقعت الغارة تفالتت وانهزمت جميع القوم التي معه قبل أن يتواصلوا. فما ثبت إلا هو وأناس قليلون. وحين رأى ذلك السلطان فر بنفسه هارباً إلى عند آل كثير وفي رواية أن هربه كان إلى حي العوامر أخواله ونهبت قوم أحمد بن حسن حورة وسدبة. وتقدم أحمد بن حسن وقومه إلى حضرموت وسلمت له مصنعة هينن بغير قتال ثم خضعت له جميع مصانع حضرموت وقابله أهلها.

وكتب له السيّد عمر بن عبدالرحمن العطاس العلوي كتاباً أوفده مع ولديه حسين وسالم فقابلهما الإمام بكل تجلة وتبجيل. وقال لهما أرى عليكما سيماء الخلافة ومخائل النجابة. وقرأ في كتاب الحبيب قوله انظر إلى أهل حضرموت بعين الرحمة ينظر الله بها إليك. قال: إني لما نظرت هذا طرح الله الرحمة العامة في قلبي لأهل حضرموت. انتهى.

الزيدية بحضرموت:

ومنعت الزيدية راتب الحداد ونودي بأن يزاد في الأذان حيَّ على خير العمل ولم يقدر أحد على المخالفة إلا عبدالله بن عمر با رضوان بافضل المؤذن في با علوي فإنه استمر على الأذان العادي من أول خلافة الزيدية إلى آخرها وكلما هددوه بأنهم سيفعلون ويفعلون به سكت ولم يجب على أحد وسلمه الله من معاقبتهم.

تلاشي السلطنة الكثيرية:

وبدخول جيوش الإمام إلى حضرموت انتهت السلطنة الكثيرية تماماً وأصبح السلطان عديم القوة والشوكة واستبدّت يافع بالإدارة واستولت على أملاك الدولة وقسمتّها بين عشائرها فصارت سيؤن لآل الضبي وتريم لآل اللبعوس والشحر لآل بريْك.

وفاة السلطان بدر بن عمر:

وعاد الصفي من حضرموت إلى صنعاء بعد أن أخذ البيعة من أهل حضرموت السلطان بدر بن عمر فأقام هذا بها نحو سنتين ثم عزم على الحج وزار بعد الحج النبي صلى الله عليه وسلم ومات بالمدينة المنورة سنة ١٠٧٣هـ.

٢٢- بدر بن عبدالله

هو بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق سلطان عظيم القدر، دمث الأخلاق. له دراية عظيمة في استجلاب القلوب. وجذب الأرواح. وله دراية كاملة بالكيفيات التي تحمل العامَّة بل والخاصة على حبه ونصرته فقد استطاع أن يستميل فضلاء عصره من العلويين وغيرهم إلى صفِّه ضد عمه بدر بن عمر واستغل جنوحه إلى إمام اليمن فحمل الجمهور بذلك على بغضه ومقته والنفرة منه.

ولم نسمع عنه من منصفي المؤرخين ملابسة أو تحلياً بشيء من العيوب الأخلاقية غير ما ينتقصه به بعض مؤرخي اليمن الذين لم ترق في أعينهم مضادته لعمه الذي والى

الإمام. فراج عندهم ما يسوقه عنه أضداده من المكر والنفاق والخبث الخ. ولعل بعض المؤرخين من الحضارمة نقل عنهم ما نقله من دون فحص ولا تروِّي.

تولى السلطنة اغتصاباً بعد أن قبض على عمه بدر بن عمر المار ذكره وذلك في سنة ١٠٥٨هـ فكان له في الأوساط العالية مكانة رفيعة اكتسبها بحلمه وأخلاقه الفاضلة وإجلاله لمن يحق له الإجلال، ومداراته لمن تليق به المداراة وكان يتقصّد أعلام التقوى والولاية، ويزورهم ويستشيرهم ويحترمهم ويتحمل ما يبدر منهم من كلمة عتب أو نصيحة قارصة أو غير ذلك.

زيارة السلطان للحبيب العطاس:

فمما يدل على مكارم أخلاقه ما جرى له في زيارته للحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس العلوي وقد حكى ذلك الفقيه عبدالله بن عمر با عباد وهو شاهد عيان أن السلطان بدر بن عبدالله بن عمر الكثيري أتى إلى سيدنا عمر رضي الله عنه زائراً له قاصداً قرية حريضة. وقدم له رسولاً يستأذنه في الدخول إلى بلده المذكورة. وكان السلطان وجنده نازلين بمكان قريب من البلد وكان معه جند عظيم وأتباع قال سيدنا عمر للرسول قل للسلطان نحن نأتيه إلى المكان الذي هو نازل فيه ولا يأتي هو إلينا أبداً. لأنا أحق بذلك ولأنه إذا قدم البلد يكلف أهلها أشياء كثيرة شاقة ونكون نحن سبباً في ذلك بل قل له يقف مكانه حتى نأتيه. فأتى الرسول فأعلمه بما قاله السيد وأنه سوف يأتي إلى منزله فقال السلطان السمع والطاعة لمن ذكر. ثم أنه أي السيد خرج بعد أن أمر بعض الخدم يعمل له قهوة على عادة الجهة وحمل الخادم القهوة وأمره أيضاً أن يستصحب المجمرة بنارها للبخور بعد القهوة فقيل له أن النار توجد عند السلطان في المحطة فقال نحن لا نستعمل نار السلطان أبداً. قال وبعد أن وصل السيد المذكور إلى السلطان حصلت بينهما محاورة في الكلام. وصدرت من السيد له نصائح ومواعظ وإرشادات في دينه ودنياه. وشربوا القهوة التي من الحبيب عمر.

ثم إن السلطان أمر بعض غلمانه أن يعمل قهوة عسل إكراماً للسيد وحيلة لطول المجلس المبارك. فامتثل الغلام إشارة السلطان وبادر لذلك وقرب طشتاً كبيراً ونشط فيه قربة ماء وجعل فيه عسلاً كثيراً وحقبة من البن وجعل يوقد عليه فأبطأ الفور. وندب إليه السلطان رسولاً أن هات ما معك فنظر في الوعاء فلم يجد فيه شيئاً من الماء والعسل بل تبخَّر كله فقام مبهوتاً وأعلم السلطان بذلك فعرف ما عند ذلك الإمام من الورع وقال للسيد يا سبحان الله تتورعون حتى من قهوتنا ونارنا. فقال له: لو لم نكن هكذا ما كنّا هكذا. فافهم هذه الإشارة.

ونحن إنما نقلنا هذا الخبر بفصه ونصه لما شمله من العبر المتعددة ولما يفيدنا به من تصوير الحالة الاجتماعية في ذلك الزمن. وربما يوجد في قرائنا من لا يتناسب مع ذوقه سوق هذا الخبر وأمثاله في تاريخنا لما فيه من الإشارة إلى الكرامة التي أصبح ذكرها وصمة وشائنة لدى من ينتحل التمدن العصري المادي. ونحن إنما نجعل تاريخنا هذا مرآة صادقة تجلو لنا بعض وقائع الماضي والحاضر في ظلال الدولة الكثيرية بصرف النظر عن ملائمتها أو عدم ملائمتها لأذواق القرّاء.

ثروة السلطان بدر:

كان السلطان بدر بن عبدالله من أغنياء سلاطين آل كثير ومثريهم فقد كان يملك في ظفار غابات من اللبان يستثمرها. وله معامل واسعة النطاق تصفِّه ثم تشحنه في سفائن له خاصة فتبحر به إلى الثغور المجاورة وقد امتلك في حضرموت غيل تاربه الذي يساوي عشرات الألوف من الريالات والذي يدر عليه أموالاً وافرة.

كيف قبض على عمه في رواية الجرموزي:

وقد حكى لنا المؤرخ الجرموزي في كتابه نزهة الأسماع والأبصار حكاية في كيفية القبض على السلطان بدر بن عمر يعلم الله صحتها قال -: لما حج السلطان عبدالله بن عمر سنة ١٠٤٠هـ واستخلف أخاه بدراً كاتب هذا الإمام. وكان ميل

كبراء آل كثير مع أولاد أخيه عبدالله . فاحتال أولاد السلطان عبدالله على عمهم بالغدر. وذلك أنهم وجهّوا له بلسان من يقبل قوله أنهم سيزوجونه بامرأة ممن يتعلق بهم وهيأوها له. وفي ليلة الدخول ألبسوا معها رجالاً في لباس جواري، ثم هجموا على عمهم وقبضوا عليه وقتلوا كل من دافع عنه. ثم قبضوا على أولاده واستولوا على جميع ما يملكه، واعتقلوه في حصن لهم. ثم بايعوا الناس لأخيهم السلطان بدر بن عبدالله بن عمر. فساس البلاد وأهلها وله ملابسة للسياسة ومراعاة لأسباب الرياسة. فكان أكمل من عمه وأنهض فأحبه أهل تلك الجهات وخاصة لعدم مولاته الإمام.

كيف قبض على عمه في رواية السيد بافقيه العلوي:

ذكر السيد عبد القادر بافقيه العلوي في تعليقاته رواية أخرى للقبض على بدر بن عمر ونراها في نظرنا أوجه من رواية الجرموزي. قال السيد: عزم بدر بن عمر على زواج بعض ذويه وأقام وليمة دعا إليها كثيراً من الوجهاء والأعيان ورؤساء القبائل وكانت سيؤن إذ ذاك مملوءة بالمدعوين. وفي هذا الوقت الذي كان بدر بن عمر يتسلى فيه بذبح الأغنام وإعداد العدة لوليمة غداء كان بدر بن عبدالله بن عمر يجمع آل كثير والشنافر ويعقد المؤامرات السريّة ضد عمه بدر بن عمر ويهوّل الأمر في موالاته للزيدية وأنه سيملِّكهم حضرموت. فنتج عن هذه المؤامرات أن اجتمعوا نحو أربعين شخصاً من أحرارهم وعشرة من العبيد. فدخلوا على بدر بن عمر إلى حصن سيؤن بصفة أنهم مدعوون.

ولما فتح لهم الباب دخلوا بعنف وفتكوا بمن يقاومهم فحدثت ضجّة عظيمة في الحصن وارتاع أهله وأقبل سعيد النقيب وسعيد براوي حارس السدّة العليا ففتكوا بهما ولم يصدهم أحد بعد ذلك حتى دخلوا على بدر بن عمر فاستسلم بدون مقاومة. وبدأ ولده محمد المردوف يحاول المقاومة فانتهره أبوه وأمره

بالاستسلام فقيدوهما معاً. وتسوّر جماعة من غوغاء العسكر إلى الحصن من موضع فيه نقبّوه فاطلعوا على جلية الأمر فإذا هو سلطانهم مغلول فسقط في أيديهم وأمرهم هو أن لا يخالفوا ابن أخيه بدراً بن عبدالله .

بدر بن عمر يخلع نفسه :

وطلب بدر بن عبدالله من عمه بدر بن عمر أن يخلع نفسه من السلطنة بحضور الشنافرة وغيرهم وأن يكتب بخطه وثيقة بأنه خلع السلطنة ومنحها لابن أخيه راضياً مختاراً.

تداخل الإمام :

قال الجرموزي: وبلغ الإمام أن السلطان بدر بن عبدالله هذا أخذ عمه بدر بن عمر بجريرة موالاة الأئمة فكاتب الإمام السلطان بدر بن عبدالله في شان عمه بدر بن عمر المذكور. وأرسل إليه السيد الأفضل محمد بن عبدالله بن محمد المؤيدي ومعه جماعة فأحسن لقياهم وأظهر الطاعة. وعمه حينئذٍ معتقل. وبقي السلطان يجيب الإمام بتلون ومداجاة وفي سنة ١٠٦٤هـ عاوده الإمام بالمكاتبة بإطلاق عمه والإجابة الصحيحة. فكان الجواب من نحو ما تقدم. وعرف الإمام أنه قد لحق جانبه المصون وصم ونقص وهضم. وأن السلطان بدر بن عمر أُخذ بجريرة موالاته ظلماً.

إلحاح الإمام :

قال: وقد طالت المكاتبة بين الإمام المتوكل على الله إسماعيل وبين سلطان حضرموت مما يدل على دهاء في هذا السلطان وبُعد غور وبعض كمال في دنياه حاصلها التلون والمداجاة.

قلت: وكانت المكاتبة التي نقلها الجرموزي طويلة مسجّعة ومملة وكلها تدور حول طلب الإمام من السلطان بدر بن عبدالله أن يطلق عمه بدراً بن عمر ويوليه ظفار وحول بذل الطاعة من السلطان للإمام.

قال: وكان بدر بن عبدالله قد حبس عمه بدر بن عمر في محبس ضيّق شديد وأوفد الإمام إلى بدر بن عبدالله الأمير صالح بن حسين يلّح عليه في إطلاق عمه. ولما لم يقبل الأمير من السلطان بدر بن عبدالله كتاباً ولا هدية ولا إكراماً إلا بإطلاق عمه أو المعصية. ويعود الأمير كما جاء. ولم يحمل كتاباً لم يكن فيه إطلاق وحل وثاقه عظم ذلك جداً على بدر بن عبدالله وبكى وانتحب ثم أحضر عمه وأمر حداداً يحل الحديد. وأخذ المحبوس أيضاً يبكي فرحاً ويكثر من الشهادتين ولما مد الأمير يده لمصافحته قال لا أصافحك حتى أغتسل ثم اغتسل وقد صار كالشن البالي وصلى ركعات ثم وصل وصافحه.

اعتذار السلطان:

والسلطان بدر بن عبدالله يقول في اعتذاره عن حبس عمه أن أبانا لما استخلفه محله وجعله نائباً علينا وعلى جميع ذريته وأهله وجعله أميناً على الرعايا وأوصاه بالرفق بنا وبهم والإحسان إلينا وإليهم خدمناه غاية الخدمة وقمنا بما يجب له علينا من التوقير والحرمة ولكنه قتّر علينا في المعاش وزاد وأفحش علينا في التقتير حتى نالنا من الضيق والضنك ما يهون علينا مقاساة الموت دون مقاساته. وصبرنا على ذلك حتى عيل منا الصبر ولما خشينا على أنفسنا الهلاك قدمنا على العم بدر وأولاده وما ظننا أننا نسلم قبل ذلك. ولما ضممناهم قمنا بهم وبمكالفتهم ومن يلوذ بهم وكفلناهم وقمنا بالواجب لهم من النفقات وغيرها. وقد كانت عادة أهلنا من قبلنا أنه من قام منهم بالأمر مع وجود من قبله ضمه وجعل عليه حراساً ليأمن بوادر سطوته وفعله. وقد كان جدنا بدر بن عبدالله أسيراً مع ابنه عبدالله لما ولي الأمر وبقي أسيراً حتى صار إلى القبر. ثم جدنا عمر بن بدر بقي أسيراً مع أخيه عبدالله حتى انتقل عبدالله . وما كان سبب طلوعنا على العم بدر إلا خوفنا على أنفسنا. إلى أن قال: وربما أن أعداءنا وحسّادنا رفعوا إليكم بان لا سبب

لثورتنا على العم إلا لقيامه بطاعتكم فلا والله العظيم. ما كان ذلك السبب. وإنما السبب هو ما أوضحنا في هذا المكتوب انتهى كلام الجرموزي.

عهد الولاء:

وبعد أن أطلق السلطان بدر بن عبدالله عمه وولّاه ظفاراً تحسنت العلائق بينه وبين الإمام وتبودلت الهدايا والصلات واستمرت المواصلات وصار السلطان يرسل المفروض عليه من الزكاة للإمام.

قال الجرموزي: وفي سنة ١٠٦٧هـ أرسل الإمام إلى السلطان بدر بن عبدالله القاضي العلامة شرف الإسلام الحسن بن أحمد الحيمي ليقيم الشريعة بحضرموت وقد صادف القاضي السلطان ببلدة هينن وقابله مقابلة حسنة شكره عليها القاضي فقد كتب إلى الإمام ما يأتي بعد الديباجة.

وبعد فقد صدرت الأحرف من حضرة السلطان الأعظم الأفخم بدر بن عبدالله بن عمر الكثيري أسعده الله. من مدينة هينن وصلنا إليها سابع جمادى الأولى سنة ١٠٦٧هـ الأخبار شارحة. والأحوال بمن الله تعالى وبركاته صالحه. كان وصولنا إلى السلطان رعاه الله وصولاً شهيراً. وعظّمنا تعظيماً كثيراً وطلب إلى حضرته للقائنا أعيان أهل جهته وعشيرته. ولم يترك من التعظيم وجهاً إلا فعله. ولا من الإكرام نوعاً إلا أتاه. وكان في يوم ثاني الوصول طلبنا الاتفاق به.لإطلاعه على كتبكم وتسليم تلك الكسوة المباركة إليه. فاجتمعنا به واستوفينا أخباره الخاصة، وقرأ تلك الكتب وتأملها. ثم قرأ العهد كذلك وفي اليوم الثالث من وصولنا أمر من يقرأ العهد على من بحضرته، والناس قد صدروا من حضرته ولم يبق إلا من تعلق به فقط. فقلنا له الصواب أن تكون قراءته في سيؤن فإن الحضرة هناك جامعة لأعيان الناس من أهلكم ومن غيرهم. وليحضر هناك رجال العلم وغيرهم. فقال لا بأس بذلك وحال صدور هذه الأحرف والسلطان

متوجه إلى سيؤن لأن هذه البلدة المسماة هينن هي طرف البلاد. وإنما يقف السلطان بها أيام المحاربة. وأحوال هذه الجهة سديدة وقد اتصل بنا بعض فقهائها ممن له بصيرة، وفقه ناضج نافع. ولهم عناية بإحياء المساجد بذكر الله عز وجل. ودرس القرآن الكريم. وتعلم الصبيان. وبعد وصولنا إلى حضرموت يأتيكم التحقيق. وببركتكم تصلح أمور المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله في تاريخ ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٦٧هـ.

محسوبكم الحسن بن أحمد الحيمي

وقد أجاب السلطان الإمام عن كتابه جواباً فصيحاً بليغاً أثبته الجرموزي برمته. ولو لا طوله لأثبتناه نحن ولنا عذر وهو أن الذي أعارنا كتاب الجرموزي لم يجعل لنا في الإعارة مدة كافية لنقل كل ما نريد.

وكان الإمام قد كلّف القاضي الصلح بين السلطان والعمودي فتم ذلك، وذكره السلطان في كتابه للإمام. وكذلك كتب الإمام يطلب من السلطان بدر أن يؤمِّن أخاه جعفراً بن عبدالله فأجابه إلى طلبه.

هدايا ومفروضات:

وذكر الجرموزي كتاباً آخر من السلطان بدر بن عبدالله للإمام جاء فيه بعد الديباجة ما نصه:

الصادر إلى حضرتكم الشريفة العلية الإمامية المحمدية من الخيل الكرام باسم الهدية ثلاثة روس. فمنهن فرس نعامة صفراء مليحة، ومنهن فرس كحيلة حمراء جيدة، والثالث من الروس سميطان أصفر، تفضّلوا بقبول تلك الهدية وإن كانت تافهة غير سنية.

وكذلك الصادر من الخيل الجياد في مقابلة ما تقرر علينا لبيت المال من الزكاة والفطرة ثمانية رؤوس حسبما ذكرناه لكم في كتاب مفرد بيد القاضي الجليل. ثم قبيل ما تقرر لكم من محصول بندر الشحر المحروس من الرسم الهندي وما تقرر مما رسم على البانيان في مدة ثلاثة شهور ٢٢٠ و ٣٠٠ حرف و١٥ ذهب أحمر. الذهب الأحمر محسوب بستمائة وثلاثين قرشاً. والذي من الموسم الهندي سنة ١٠٦٧هـ وكذا الذي على البانيان ٨٥٠.

ومرسل إليكم هدية باسم محمد ابن الإمام رأسان من الخيل ولأخيه صفي الدين رأسان أيضاً وإليه من ولدنا عبدالله رأس من الخيل وحلية لفرسه هدية ولأخيه حسام الدين حصان. والسلام في ١٥ رمضان ١٠٦٧هـ.

النفير إلى حضرموت:

نكتفي بما قد نقلناه في ترجمة السلطان بدر بن عمر من سبب انتقاض ما بين السلطان بدر بن عبدالله والإمام. وهو استيلاء آل عبدالله بن عمر على ظفار وقتل ابن عمهما والتجاء بدر بن عمر إلى الإمام. واستغاثته به. ونضيف إلى ذلك هنا ما كتبه الكبسي بهذا الصدد في تاريخه المسجّع قال:

وفي سنة ١٠٦٨هـ غدر صاحب حضرموت بدر بن عبدالله بعمه بدر بن عمر وأخرجه من ظفار فوصل إلى الإمام للانتصار فأكرمه الإمام، وأوعده ببلوغ المرام، وبقي في الحضرة مكرماً حتى كان في شهر جمادي الأولى من سنة تسعة وستين برز الإمام في المنشية وضرب فيها الوطاق ووصله إليها عز الإسلام محمد بن الحسين المنصور، فأجمعا على اصطفاء الصفي لفتح حضرموت والشحر المشهور أحمد بن حسن المنصور. وفي الخامس تهيأ وسار إلى وادي السر بمخلاف خولان ثم منه إلى مخوان. ثم إلى رعوان. ثم سار إلى مأرب وبيحان ثم دخل أطراف بلاد العولقي، فوصل بلدة واسط ثم صار إلى وادي حجر، ثم تجرد من حجر تجرد الحسام وقد كان

سلطان حضرموت قدم عسكراً إلى أعلى عقبة حجر لمنع أحمد بن حسن عن صعودها فطلع عليهم العقبة ففروا عن مراكزهم، وانهزم فقدم السلطان ومهّد لمن بعده هذه الفعال وصنعوا صنعة حذو النعال بالنعال.

واستولى الصفي على خزائنه وأزواده وذخيرته وأمداده. وهذا المحل يقال له ريدة با مسدوس. وعند ذلك طلعت على الصفي طلائع الانتصار. وتواردت إليه قبائل تلك البلاد. ثم تقدم إلى بلاد الهجرين ولم يبق إلى محل السلطان بدر غير مسافة يومين. فتلقاه الحضارم ركباناً ورجاله، وقاتلوا عن منصب سلطانهم ولا محالة، فأطلقت عليهم الرصاص المذابة ووجه إليهم الردى أسبابه فقُتِلوا في الأودية والشعوب وجروا على أذقان الجنوب. فانهزم السلطان من هينن إلى شبام وقد طرأ عليه بساط الأحكام ودخل الصفي هينن واغتنم ذخائر السلطان ثم عطف على شبام. وأخذها سلام بسلام. وهي عين مدائن الإسلام فاستولى الصفي على منازل ذلك البدر، ولما سقط في يد السلطان عاد إلى الطاعة بعد العصيان. وصلحت الأحوال ورجع الصفي في أنعم بال وأطيب حال. وأرسل الصفي بالسلطان بدر بن عبدالله إلى حضرة الإمام، فاستبقاه الإمام أياماً. ثم فسح له إلى دياره، وتوفي بجهته بعد عودته إليها. انتهى كلام الكبسي نقله لنا معاصرنا المؤرخ الأمير أحمد فضل العبدلي في كتابه هدية الزمن جزى خيراً.

سيل ليل:

أول من شبه جيوش أحمد بن حسن غازي حضرموت بسيل ليل هو الحبيب الشيخ عمر بن عبدالرحمن العطاس العلوي نفع الله به وذلك أنه عندما وصلت الأراجيف إلى حضرموت بقدوم الزيدية تهيأ السلطان بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر لقتالهم. وأرسل إلى الحبيب عمر يستشيره في ذلك فأرسل إليه الحبيب أن لا تفعل. وقال هذا سيل ليل ما تقعده المطاولة بالمرابش فأبى السلطان إلا قتالهم. ثم وصل بنفسه إلى

حضرة الحبيب عمر يستشيره أيضاً. وكان بصحبته عبدالله بن عبدالرحمن العمودي (الملقّب بالبوست) ومن أتباعه قبائل دوعن وبلفنيه والدين والمشاجر. وجاء معه بجملة مكاتيب وصلت إليه من مناصب حضرموت ملء زمالة أكثرها فيها منهم الحث للسلطان بدر على قتال الزيدية. فقال له سيدنا عمر: هل تشاورنا وتمتثل رأينا أم تلقّي لنا مثل النساء شاوروهن واعصوهن. فقال بل نشاورك ونمتثل رأيك. ظناً منه أنه سيشير عليه بقتالهم كما أشار عليه بذلك جماعة من مناصب الجهة إلا القليل. فقال له السيّد عمر: إن كنت ممتثلاً لرأينا فلا تقاتلهم. فإن هذا الأمر لا يفيدك معه القتال. وكان مع السلطان بدر بعض وزرائه من أهل الفصاحة ورواية الشعر. فقال ذلك الوزير: يا حبيب عمر إن الفقيه عمر با مخرمة يقول:

ولا علينا من الرومي ولا من إمام

فقال له الحبيب: وماذا قال بعده؟ فقال: الله ثم أنت أعلم. فقال: أنه قال بعده:

إلا إن قضى الأمر والقدرة لها الاحتكام

فخرج السلطان بدر مظهراً للامتثال مضمراً للقتال.

السلطان يطلب الأمان:

قال الجرموزي: ولما انتهت الجنود الإمامية إلى حضرموت وصل خطاب من السلطان بدر بن عبدالله يطلب الأمان لنفسه. وأمّا إخوته وأولاده فقد تقدم أمانهم تكرماً من غير شرط. وجعل عليهم الصفي ثقاة أصحابه يحفظونهم من معرة الجيش فلم يقرع لهم باب ولا لحقتهم معرة من أحد. ولما طلب السلطان الأمان قبض الصفي من ذخائره وبيت ماله ما رآه غنيمة. ثم وصل السلطان إلى الصفي يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان فعظمه كثيراً وخلع عليه وعلى ولده ومن في صحبته بكل ما يليق وأمره بالانضمام إلى أولاده.

وفي رمضان طلب السلطان المذكور من الصفي أن يجهزه إلى الإمام فوجهه إليه فوصل في ٢٨ رمضان فأمر الإمام ولده علياً أمير المؤمنين المتوكل على الله وأمر أهل حضرته بلقائه وتعظيمه وإعطائه ومن معه من الخلع السنية. والخيل النجيبة المحلية والنقود الوافرة والضيافات الهنية. وأفرغ له داراً وأجرى عليه وعلى أصحابه النفقات الواسعة والنعم المتتابعة.

رجوع بدر إلى حضرموت ووفاته :

واشتاق بدر بن عبدالله إلى وطنه في ولاية ابن عمه السلطان محمد بن بدر فاستأذن من الإمام في العودة إلى سيؤن فعاد وأقام بها حتى توفي سنة ١٠٧٥هـ رحمة الله عليه وترك من الأولاد عبدالله وعلياً وجعفراً.

٢٣- الأمير طالب بن عبدالله

هو طالب بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق كان أميراً على الشحر ومحبوباً جداً من أهلها. ولّما ورد إليها السلطان علي بن بدر بن عمر ليتولاها بنظر والده مستصحباً معه الفقيه محمد السيراني لم يرض أهل الشحر بذلك فثاروا وثار معهم الحموم. ولكن السيراني قبض بالحزم والجزم وأخضع البلاد أما الحموم فقد ذاق منهم الأمرّين.

وخرج رجل من عسكر السيراني إلى تبالة ليشتري شيئاً فقتله الحموم. وخرج صاحباه يطلبانه فقُتِلا أيضاً. وخرج غيرهم فعثروا على القتلى فدفنوهم وعادوا. والحموم ثائرون يقطعون السبيل ويروِّعون المارة إلى أن تغلّب عليهم السيراني بالقوة فأخضعهم. أما الأمير طالب فقد اعتزل الولاية حتى مات رحمة الله تعالى عليه.

٢٤- الأمير جعفر بن عبدالله

هو جعفر بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق كان قبل حدوث فتنة الزيدية قد حبسه عمه بدر بن عمر في حصن تريس.

ولما تولى السلطنة أخوه بدر بن عبدالله أطلقه من حبس تريس، وولّاه ظفار، ولما انتزعها منه الإمام لبدر بن عمر ثارت حفيظته وصار منه ما صار من الغدر بعمه والاستيلاء ثانية على ظفار كما مر.

٢٥- الأمير علي بن عبدالله

هو علي بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق كان قد قدم على الإمام قبل أخيه بدر فأقام عنده مبجَّلاً. وهو جد آل عمر بن جعفر بن علي وآل علي بن جعفر أهل العجلانية وحورة وحاجز وآل محسن بن عمر آل بحيرة.

٢٦- السلطان محمد المردوف

هو السلطان محمد بن بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق الملقَّب بالمردوف خلَف أباه بحضرموت عندما توجه إلى الحرمين. ثم تولى السلطنة بعد وفاة والده بأمر الإمام إسماعيل سنة ١٠٧٣هـ وكان محمد المردوف هذا حازماً صارماً شديد الوطأة على العشائر المتسلحة. مغرماً بإنصاف المظلوم وإذلال الظلمة ويظهر أنه كان يضمر البغضاء والحقد للشنافرة لقيامهم مع السلطان بدر بن عبدالله ضد أبيه. فقد أعمل فيهم بطشه وتنكيله بأقل حق وأدنى سبيل. ويقول التاريخ الحديث أنه أخذ منهم زكاة أموالهم حتماً وأنه نزع ما لديهم من شوكة حتى ألحقهم بمستوى العزل من السلاح ولم يستطع منهم أحد أن يرفع رأسه.

عقله وحكمته:

ومع ذلك فالمردوف عظيم العقل. وافر الحكمة. أمضى مدة ولايته في هدوء وأمن وسلم ومداراة لبني عمومته. ولم يثر السلطان حسن إلا بعد وفاة المردوف. ولم تنتقض عليه بلدة ولا تذمرت منه بقعة. ولم يك لصوقاً بالإمام ولا نفوراً عنه. ولم يك مقامه بين يافع ذات الحول والطول كمقام ذلك الخليفة بين وصيف وبغا

بل درى الدراية التامة من أين تؤكل الكتف غير أن أيامه لسوء الحظ لم تطل ولم تتسع لتنفيذ ما يرمي إليه من الخطط والغايات.

حسن نيته :

ولم يكن السلطان محمد المردوف من أولئك الفريق الذين يرون أن قوة العقيدة في التبرك بأولياء الله ومحبيه وحسن النية فيهم هما من نتائج الخبال في العقل. والضعف في الرأي والقصور في العلم. كلا بل كان كثيراً ما يغشاهم في زواياهم، ويستضيء بارائهم وإشاراتهم. ويستمد منهم بركاتهم ودعواتهم وقد اتصل بعدد من كبار صالحي ذلك العصر. والتزم معهم حسن الأدب، وكما ل الحشمة رغماً من سلطانه وجبروته.

قصته مع الحبيب عمر العطاس :

صعد السلطان محمد بن بدر إلى وادي عمد ومر على الحبيب عمر العطاس العلوي بحريضة زائراً له وحده ومعه شخص واحد أو اثنان. أما حاشيته فعبّرها طريق زاهر. ولما وصلوا إلى بيت السيد عمر وكان وقت غداء ولم يكن مع السيد شيء من المآكل في بيته إلا الحتي وهو دقيق النبق فقال للسلطان بعد أن أمر أن تعمل له قهوة قشر وسكر معنا لكم غداء. الموجود. فقال السلطان: هاتوه. فقرب ذلك إليهم، فحصلت للسلطان نية حسنة في أكل ذلك الحتي ونوى أنه سيكون دواء له من علَّة كانت في باطنه شديدة لم يدرك لها دواء. ولما فرغ من أكله أتاه علي بن خولان السعدي وقال للسيد: يا سيدي معنا للسلطان غداء إذا أشرتم عليه يمر بيتنا فقال السيد نعم قم يا سلطان أجبر خاطر علي بن خولان. وكان قد استعد لهم بغداء كبش وبر. فقال السلطان لا والله لا يدخل على عيشكم في بطني عيش أبداً. فقال له: لا بد أن تجبروا خاطر علي بن خولان ولو بدحق البيت فعبروا إلى بيته. وجلس السلطان ولم يأكل شيئاً بل جلس عندهم حتى فرغوا من

الأكل ثم سار إلى زاهر وأمسى بها ولم يأكل شيئاً أبداً. وآلى على نفسه أن لا يدخل بطنه شيء ما دام ذلك الحتي فيه. فلما وصلوا بلدة عتق خرج من باطنه شيء هائل من لحم ودم عبيط كثير جداً. وشفي من العلة التي كان يشتكيها من قبل.

ومكث السلطان محمد في السلطنة سبع سنوات وتوفاه الله سنة ١٠٨٠هـ تغمده الله برحمته.

٢٧- السلطان عيسى بن بدر

هو عيسى بن بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق. تولى السلطنة بعد أخيه محمد المردوف. وهو جد آل عيسى بن بدر. ولم يمكث في الولاية سوى سنة واحدة ومات رحمه الله سنة ١٠٨١هـ.

٢٨- السلطان علي بن بدر

السلطان علي بن بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق تولى بعد أخيه عيسى بن بدر بأمر الإمام. وخرج من اليمن إلى حضرموت وبصحبته سالم بن محمد بن ناصر بن وثاب. رجل تصدر الدولة عن رأيه وبمشورته، وتهابه، وله فهم خارق ونظر في سياسة القبائل، وتقريبهم إلى السلطان لينفعوه ويسلم الناس من شرهم. وقد وقعت له مع الدول المعاصرة له وقائع كثيرة. وحضر قتلة الشهيد الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن العمودي في مصنعة صيف وخرج بنفسه وكاد يموت.

عجز السلطان السياسي:

وتنقص السلطان علي بن بدر الكياسة في الآراء السياسية فهو مع شفقته على الرعية. وحبه لها كثيراً ما يفشل في المجاري السياسية،ويعجز عن معالجة مشاكلها رغماً عما يمده به ابن وثاب أولاً والسيراني ثانياً من الإرشادات التي يضرب بها عرض الحائط.

حملته الفاشلة على القرا:

كان القرا في ظفار تتغلب على طباعهم حرية البداوة وكانوا غير خاضعين تماماً لسلطة ظفار. فكان ولاة ظفار كثيراً ما يصرفون النظر عن بعض تمردهم ويلجأون إلى مداراتهم والتلطف بهم.

ولكن السلطان علي بن بدر أراد إخضاعهم وقهرهم وإذلالهم. فلم يسعده الحظ بما أراد. وحدثت مصادمات عادت الدائرة فيها عليه واضطر إلى طلب النجدات والغوث. وأخيراً صالحهم على ما في تمنياتهم. ولم يستقر لولاة آل با كثير بعد ذلك قدم في ظفار.

بينه وبين السلطان حسن:

كان السلطان حسن بن عبدالله بن عمر متولياً على الشحر بأمر الإمام. فنزعت نفسه إلى الاستقلال، وخلع طاعة الإمام. فتوجه إليه السلطان علي من حضرموت بجيش كثيف وهجم على الشحر براً. وأخرج منها حسناً كما سيأتي خبره وبقي الاسم للإمام.

ملكته في قرض الشعر:

وللسلطان علي ملكة قوية في قرض الشعر الحميني وهو الشعر الجاري باللغة الدارجة على أوزان غير أوزان الخليل. وقد تلاعبت أيدي الضياع – كما يقال – بالكثير من شعره. ويؤسفنا أن لا ننشد قراءنا من شعره سوى أربعة أبيات أبقتها لنا الذاكرة الخوانة من افتتاح قصيدة له حماسية. قال:

يقـــول أبـــو عيســـى كـــريم الليلـــة البـــارق يلـــوح
يلـــوح مـــن فـــوق المصـــبح لي علـــى وادي شـــحوح
بيـــت يخيلـــه القحـــوم النمـــر عســـاف الميـــوح
علـــي بـــن البـــدر المعيـــا مـــروي إذ لاق الرمـــوح

إعادة راتب الحداد :

كنا أشرنا إلى أن الزيدية منعوا قراءة راتب القطب الحداد في المساجد وبقي ممنوعاً حتى أعاد قراءته السلطان علي.

وفاته :

توفي السلطان علي بن بدر ببندر الشحر سنة ١١٠٧هـ ألف ومائة وسبع ودفن بمقبرته فيها رحمة الله تعالى عليه.

٢٩- السلطان حسن بن عبدالله

السلطان حسن بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق. سامي الهمّة، جليل القدر. من نوابغ أولاد عبدالله بن عمر. كان عاملاً للإمام على الشحر سنة ١٠٩٣هـ. ثم خرج على الإمام فنهض واستقل بالشئون، وتابعه الناس على نهوضه فبث فيهم روح العصبية الوطنية والمذهبية ولكن الإمام جهّز إليه علياً بن بدر بن عمر. فأقبل إليه بجيوش كثيفة إلى بند الشحر وأخرجه منها وشتت شمله. غير أن مبدأه الحر شاع وذاع؛ وقبلته الطباع؛ واضمحلت سلطة الإمام من حضرموت والشحر وظفار شيئاً فشيئا. حتى لم يبق له نفوذ في عزل ولا ولاية، ولم يبق له سوى الخطبة باسمه في جميع الجوامع. وأصبح الناس بحضرموت يجاملون من يرد إليهم من رسل الإمام وسفرائه من دون أن ينفِّذوا أمره في تولية أو عزل. ويميل أكثر الناس إلى يافع وإلى من يرد منهم.

٣٠- السلطان بدر بن محمد المردوف

السلطان بدر بن محمد المردوف بن بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق. كانت ولايته بعد السلطان علي بن بدر التاسع والعشرين غير أن أيامه كانت أيام محنة عصيبة ودسائس طوائفية. وقد تغلّبت السلطة اليافعية على الدولة الكثيرية الإمامية. ولم يبق مع السلطان قوة غير قوة يافع التي هو نفسه تحت إشاراتها. وانتقضت البلاد كلها

على السلطان بدر وظهر من بني عمومته آل علي بن عبدالله من يناوئه ويعترض شجا في حلقه. وحفت به النوازل من كل ناحية فرأى أن يستجلب أيضاً أقواماً من جبل يافع يستعين بهم على تذليل المناوئين على حد قول النابغة.

وكأساً شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

انقسام الدهماء:

وكانت الدهماء في ذلك العصر المؤسف منقسمة سياسياً ومذهبياً فمن الناس من يجنح إلى الزيدية وهم أتباع آل علي بن عبدالله الذين يفضِّلون سلطة الأئمة على سلطة يافع الشوافع التي يعضدها السلطان بدر بن محمد وتعضده.

آل الشيخ أبي بكر ويافع:

والاتصال الروحي بين يافع والسادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم العلويين لا ينكره أحد منذ عصر الشيخ الإمام العلامة أبي بكر بن سالم نفع الله به حتى الآن.

وفي تلك الأيام، أيام تنازع السلطتين كان للسادة آل الشيخ أبي بكر مواقف عظيمة ذات بال في تهدئة الهياج. وإصلاح الأحوال. لنفوذهم القوي على اليوافع. ودخلت سنة ١١١٣هـ وحضرموت تموج موجاً بالأحقاد والأضغان بين الزيديين واليافعيين. ووصل في تلك الآوانة الشيخ الشجاع عمر بن صالح ابن هرهرة إلى حضرموت لزيارة الحبيب علي بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم ومعه نحو الخمسين شخصاً من يافع. ومروا بشبام حيث أقاموا بها يوماً واحداً تناولوا فيها طعام الغداء، ثم رحلوا منها إلى الغرفة وباتوا بها في دار المنصب الشيخ أحمد بن عمر باعباد. وفي الصباح بكَّروا إلى سيؤن وتلقاهم السلطان عيسى بن بدر بن علي بن عبدالله الثاني والثلاثون الآتي ذكره لا عيسى بن بدر السابع والعشرون ورحّب بهم. وكان الاحتفاء والاحتفال بأولئك الأضياف بالغاً أقصاه. فأقاموا بسيؤن أياماً كلها أعياد ومسرات.

ثم توجهوا إلى تريم وبها السلطان بدر بن محمد المردوف فتلقَّاهم بموكب عظيم دُقَّت فيه الطبول. والطيالة الرسمية. وخرج للقائهم من بتريم من يافع ينشدون أراجيزهم ويطلقون بنادقهم في الفضاء. وقصدوا منزل السلطان أولاً ثم حولَّم إلى بيت خصصه لهم. ومن تريم توجّهوا في اليوم الثاني إلى عينات. وهناك ألقوا عصا تسيارهم، وأقاموا بها مدة طويلة.

الشيخ عمر بن هرهرة:

والشيخ عمر بن صالح هذا، ويقال له السلطان عمر. هو عمر بن صالح بن أحمد بن علي بن هرهرة من أشرف بيوتات يافع، وأعزها مكانة، وأعلاها محتداً، ومن سلالة مجد وصلاح، وتقوى وأدب. قال معاصرنا الأمير أحمد فضل العبدلي في كتابه هدية الزمن: يحكى أن العلامة ولي الله السيد الشيخ أبا بكر بن سالم مولى عينات قبل أن تدركه الوفاة سنة٩٩٢ هجرية نصَّب العلامة الشيخ علي هرهرة مصلحاً ومرشداً دينياً في يافع العليا ثم لما مات الشيخ علي خلفه ابنه الصالح أحمد بن علي، ولما توفي أحمد بن علي، خلفه ابنه الشيخ الصالح صالح بن أحمد إلى آخر ما قال.

زيارة روحية سياسية:

ولم تك زيارة السلطان عمر بن صالح لحضرة الشيخ أبي بكر بن سالم هي زيارة روحية خالصة كلا بل أن الحالة السياسية بحضرموت إذ ذاك والذحول والأضغان المتأججة بين بني مالك والزيدية، وانتصار أولئك على هؤلاء في الغرب كل هذا حمل يافع على مضاعفة جهودهم في تعقب الإماميين في كل بقعة خُلِق لهم فيها نفوذ.

فكان لهذه الزيارة الهامة أثرها الجليل في زيادة الدعاية اليافعية وتهافت السلاطين المتناحرين على جلب عسكر من يافع لتعزيز مبادئهم والفتك بخصوصهم.

حتى أن السلطان عمر بن جعفر الثالث والثلاثون الآتي ذكره وهو أكبر أنصار المبدأ الإمامي على الإطلاق لم يسعه إلا أن يستعين بالحبيب علي بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم على جلب عسكر له من يافع أيضاً.

شخوص بدر إلى يافع:

وعظم الأمر على السلطان بدر بن محمد المردوف إذ رأى النوائب محيطة به من كل جانب. فصمم على الشخوص إلى جبل يافع لجلب قوة كبيرة من هناك يُخضِع بها الإقليم بأسره ولا يبعد أن يكون قد استصحب معه مكتوباً من الحبيب علي بمثابة توصية له. فقال أحمد فضل في الهدية: إن يافع إنما ساروا إلى حضرموت لإنقاذ من بها من أهل السنة (أي الشوافع) عندما استصرخهم ولي الله السيد علي بن أحمد بن سالم بن أحمد بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم مولى عينات عام ١١١٦ هجرية لمحاربة السلطان عمر بن جعفر الكثيري الذي انتحل مذهب الزيدية وعظّم شعائرهم في حضرموت وأرسل بدر بن طويرق (أي محمد بن بدر من سلالة أبي طويرق) بعقائر إلى يافع، فتوجه معه السلطان عمر بن صالح شقيق السلطان ناصر بستة آلاف مقاتل من يافع واستولى على جميع حضرموت. وأزال بدعة الكثيري، ورجع إلى يافع عام ١١١٩ هجرية حتى قال: وما زال في حضرموت أقوام من يافع تحت حكم السلطان عمر بن عوض القعيطي اليافعي وأهل حضرموت الآن يذكرون قول شاعرهم:

راسي ضرب من حنة المدافع كله السبب من بدر جاب يافع.

والشعر المذكور هو للشيخ سعد با مذحج وسيأتي ذكره فيما بعد لهذ ه المناسبة.

رجوعه إلى حضرموت بجيش منهم:

في ثلاث خلت من ذي الحجة سنة ١١١٥هـ وصل مكتب (رسول مستعجل) من صالح بن منصَّر العولقي إعلاماً بوصول السلطان بدر بن محمد وبصحبته يافع.

وصلوا إلى عتق. فاضطربت البلاد. وتطاولت الأعناق لتلقِّي الأخبار، وذهب بعض الأمراء إلى عينات لأمور سرية.

وجمع السلطان عمر بن جعفر عساكره يوم الجمعة وتكلم فيهم قائلاً -: إن عمر بن صالح ويافع ومعهم الصنو بدر بن محمد واصلون. ونحن سنلاقيهم ونصدهم سواء جاءوا لخير أو لشر. وأجابته العساكر بأنهم في الطاعة. ثم وزّع المراكيب من جمال وخيل على العسكر. وحضرت الطبول ودقّت فجر السبت. وزحف الجيش بعد طلوع الشمس يرأسه عمر بن علي بن عبدالله . ومعه فرقة الفرسان وجماعة من تميم المجاورين لتريم، وتلاحقت العساكر، وتواعدوا إلى شبام.

وفي اليوم السادس عشر من ذي الحجة سارت الحملة في شبام بعد صلاة الصبح وفيها غالب العسكر الرسميين؛ وغالب الشنافر؛ ومن تطوَّع من بني تميم؛ وأشراف الجوف؛ ومع الحملة ياقوت بن عبد الإمام يرأس الجميع عمر بن علي وتوجه أيضاً السلطان عمر بن جعفر نفسه يحيط به أعيان العسكر ورؤساء القبائل وكان في ضميره أن يقيم صلحاً بينه وبين العمودي ويستجلبه على نصرته أو على الأقل إلى الحياد. ولكنه لم ينجح في شيء من ذلك – وتواردت الأخبار إلى مسفلة حضرموت بوصول السلطان عمر ومن معه بحران. وأن أخاه محمد أو نجله قد وصلا إلى عقبة حول الهجرين تجاه محطة يافع والسلطان محمد.

وبعد أيام جاء فارس من الشنافر يخبِّر أن جيش السلطان عمر بن جعفر التقى مع جيش بدر بن محمد والتحم الحرب بين الفريقين واشتدَّ إطلاق الرصاص. واستحر القتل في أصحاب السلطان عمر، وعددهم ألف وخمسمائة راجل ومائة فارس فقط. ولما رأوا أن رجال يافع يتغلبون عليهم انهزموا، وفرَّ السلطان عمر بن جعفر عابراً الطريق السفلى تحت مدينة سيؤن هو ومن معه وتناولوا عشاءهم بتاربة، ونفذوا ليلاً إلى الجانب الشرقي. بعد هذا الانكسار أمر الأميران منصور ومائق بايعاز من يافع

والسلطان محمد بأن ينادى في طول حضرموت وعرضها بأن الناس في أمان الله ثم في أمان الشيخ أبي بكر بن سالم والسلطان بدر بن محمد فهدأ الناس واطمأنوا.

استيلاؤه على حضرموت:

ولم تدخل سنة ١١١٧هـ إلا وقد استولى بدر بهم على جميع حضرموت غرباً وشرقاً. غير أنهم استبدُّوا بالحكم دونه ولم يستطع كبح جماحهم في شيء. ولم تستفد حضرموت شيئاً من استيلائهم عليها لا من حيث الأمن ولا من حيث العدل فقد ظلّت البلاد سائرة في بحر من الفوضى على غير هدى.. والمناوشات بين الكثيريين واليافعيين يتلو بعضها بعضاً وبنو جعفر بن علي لم تخبأ لهم نار في معاكسة يافع ومحاولة القضاء على سلطتهم ولكنها نار ضئيلة للغاية وحركة لم تكن إلا حركة مذبوح.

طغيان الجور:

وفي سنة ١١١٩هـ طغى طوفان الجور والضرر من طغام العسكر وسفهائهم في تريم. ولم يقدر عقلاء يافع وسراتها على صد هذا الطغيان. وتعب السلطان بدر بن محمد من سوء الحال وصُمَّت أذناه من صراخ الصارخين، ولم يكن يستطيع العمل على ما يخفف هذه الويلات والمفاسد. وذهب إلى عينات مستغيثاً بالحبيب علي بن أحمد بن الشيخ أبي بكر فكتب هذا إلى كافة يافع بتريم براءة منهم إن لم يرتدعوا عن ما ضج الناس منه وإن هم لم يمتثلوا أمر السلطان بدر. وقرئت البراءة في جمع عظيم من عقلائهم وسفهائهم وتعددت منهم الاجتماعات. ثم كتبوا بينهم عهداً على عدم الإضرار بالناس وعلى رد الأمر إلى السلطان بدر، وأجابوا الحبيب علياً بما يطمئن باله.

شعر السويني:

الشيخ سعد بن عبدالله مذحج الملقب بالسويني وهو الذي تمثَّل آنفاً أحمد فضل ببيته: رأسي ضرب الخ. صالح من كبار الصالحين. وإمام من الأئمة المرشدين. عاصر السقاف ثم ابنه السكران. ثم ابنه العيدروس. ثم ابنه العدني وله معهم وقائع وغرائب

تجدها في محالها من كتب التراجم. وله شعر غريب في بابه يرتجزه الرجل ارتجازاً على الفن الحميني إلا أنه يحتوي على معارف ورموز وملاحم ومكاشفات يندر وجودها في شعر غيره.

وقد نقل الإمام ابن ظهيرة: أن لله كنزاً تحت العرش لا يطَّلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب يجريه على ألسن الشعراء. أهل الخير للخير، وأهل الشر للشر.

والسويني من رجال القرن الثامن ولكن له تنبؤات كثيرة في رجزه عن الملاحم التي تقع بعده سنأتي على بعضها في محلها. ومما جاء من تنبؤه فيما نحن بصدده قوله وهو أيضاً دليل على ما عنده من التحيز الوطني الشعبي:

راسي ضرب من حنة المدافع لا حل لبدر يوم جاب يافع
وجا بيحياهم وجا بشاجع ذو لا لغتهم تشبه الضفادع
في وقتهم صار الدليل شاجع

كأنه يشير إلى شاجع بن أبي بكر بن هرهرة. وإلى يحيى بن عمر بن هرهرة.

وقوله:

ترى السحاب فوق النُعير طالع تريم ما حد منها تورّع
وعاد يافع ينقلب يفعفع

وقوله:

حميّد البارح سريت مسرى عارضت يافع نافذين حدرا
علقت أنا في شوك ما تبرا

وفاة السلطان بدر:

توفي السلطان بدر بن محمد المردوف حوالي سنة ١١٢٠هـ. وترك ولده محمداً سلطاناً صورياً مغلول الأيدي عن كل أمر ونهي وتوقيع. ومنها انتزعت السلطنة من آل بدر بن عمر وبقي أثرها الأسمى في آل علي بن عبدالله كما سيأتي.

٣١- السلطان بدر بن علي بن عبدالله

هو بدر بن علي بن عبدالله بن عمر أبي طويرق. من المتحمسين الهائجين ضد سيطرة يافع والمشائعين لابن أخيه السلطان عمر بن جعفر الذي يرى أنه لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار ما لم يقض على السلطة اليافعية من جميع وجوهها.

٣٢- السلطان عيسى بن بدر

هو عيسى بن بدر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق. سلطان عاثر المجد، سيء الحظ، جاء في وقت عصيب، يحتاج إلى تدبير أعمق من تدبيره، وسياسة أحزم من سياسته. وإرادة أقوى من إرادته، جاء في وقت تتصادم فيه القوى الجبارة، وتتطاحن به الفوضى اليافعية مع الفوضى الشنفرية، وتتلاعب فيه أساليب الداهيتين بدر بن محمد. وعمر بن جعفر، بالعقليات البارزة في ذلك العصر. وتتحكم في الاتجاهات العسكرية تحكماً ليس بعده غاية.

جاء عيسى بن بدر والأول يستنجد بيافع والثاني يستغيث بالزيدية. والعمودي يتحرش بكل سلطان ينتسب إلى الدولة الكثيرية. والبلاد تتماوج بالمظالم والمفاسد تماوجاً يضيق منه الخناق – وتنفطر منه القلوب – والسلطان عيسى بن بدر بسيؤن يحكم حكماً غير قائم على أساس متين من القوة وقد كان لقيامه بإكرام الشيخ عمر بن صالح بن هرهرة اليافعي الذي ذكرنا زيارته لحضرموت أيام السلطان بدر المردوف أثر سيء لدى سفهاء الشنافر. زادهم مقتاً له وبعداً عنه وجرأة عليه حتى أخذوا يكيدون له جهاراً. ويتخطَّفون من يخرج من أهالي سيؤن بدون خفير منهم ((أي الشنافر)).

السلطان عيسى العمودي:

وأراد السلطان عيسى بن بدر أن يصلح شيئا من مركزه، ويمحو من الأذهان ما لعله علق بها من أثر تلك الزيارة التي لم ترق لدى رجال الشنافر. فتصدى

لمحاربة الشيخ محمد بن مطهّر العمودي الذي لم يزل يتحكك بالمناطق الكثيرية، ويفتك بمن يقاومه. وصادف في سنة ١١١٥هـ أن أغار على القزة وهي من مناطق نفوذ الكثيري. وبلغ خبره إلى السلطان عيسى بن بدر فجمع عساكره وجهز على العمودي تحت قيادة نجله الأمير جعفر. ولما رأى العمودي الجيش تقهقر وترك له كميناً وانطلقت عساكر الدولة تجري وراء المتقهقرين وإذا بالكمين يكب أكتافهم من ورائهم فقتل فيهم مقتلة عظيمة، وانسحب الأمير جعفر بالبقية إلى الهجرين وأرسل إلى أبيه بالخبر، وبطلب بقيّة العسكر. ولكن الشيخ سعيد بن عبدالله باوزير. تدخّل في الأمر.. وأقام صلحاً بين الطرفين أربعة أشهر. قال السيد بافقيه في تعليقاته: وتسمى هذه الواقعة بوقعة مسِه. قال الراجز:

يا من بغى العز تحت عقبة مسه سبعه وميتين غلبوا سبع تعشرميه

بين عيسى وعمر:

وفي السنة نفسها فترت بينه وبين ابن عمه عمر بن جعفر. الآتي ذكره العلاقات وتوترت. فتوجه السلطان عيسى غاضباً إلى عينات بجوار السادة آل الشيخ أبي بكر وأخذ معه أولاده وخواصه وأقام هناك نحو الشهر. ثم سعى المصلحون بينهما. وقدم السلطان عمر إلى عينات وبمعيته أربعمائة راجل وخمسون فارساً. ونزل دار السيد الحبيب علي وتناولوا عشاءهم عنده. وفي غدها تناولوا غداءهم عند السيد سالم بن عمر الحامد. ثم تعاهدوا وتحالفوا ((تبادوا)) أي عمر وعيسى المذكوران على ضريح أبي بكر بن سالم بأن لا يبدو من كل منهما على الآخر أذى.

ثم قصد السلطان عمر إلى سيؤن ونفذ السلطان عيسى ومعه خدمه وحشمه وأولاده وحاشيته إلى تريم. ولم تثمر هذه المعاهدة إذ غادر عيسى البلاد الحضرمية غاضباً سنة ١١١٦هـ إلى اليمن، وترك الميدان للعاهلين بدر بن محمد وعمر بن جعفر وكانت وفاته بالمخا رحمه الله تعالى.

٣٣- السلطان عمر بن جعفر

هو عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق. كله شمم وإباء وحماس، نشأ منذ نعومة أظفاره هائجاً ساخطاً على المتغلبين على دولة آبائه وأجداده، ناقماً على أولئك الذين يوالونهم من بني بدر بن عمر، ويرمون بأنفسهم في أحضانهم يتلاعبون بهم كما ينقل اللاعبون بيادق الشطرنج.

وشب عمر بن جعفر، وشبت ضغائنه وأحقاده، ولم يلبث أن كشر عن أنيابه، وأخذ يركب الصعب والذلول ويبذل كل مجهوده في استرجاع تراث سلفه ومحو تلك السلطة الغاصبة في نظره. غير أنها صخرة الوادي لا تزاحم بالمناكب ولا تدفع بالأكف. ولا يزحزحها إلا تطاول الأزمنة وتتابع الفيضانات. أو قوة طاغية تكتسح كل ما على الحزن والسهل من شاخص.

تقربه من الإمام:

واقتضت سياسة عمر بن جعفر أن يدنو من أئمة صنعاء ويستنجد بهم ويجلب منهم جيشاً زيدياً يكافح اليوافع مكافحة صادقة لما بينه وبينهم من الضغائن والثارات، فسلك مسلك بدر بن عمر وأوغل في الموالاة حتى أشيع عنه اعتناقه للمذهب الزيدي الأمر الذي أغضب عليه كثيراً من العامة.

ولم تكن الظروف والأوساط التي جرى فيها بدر بن عمر هي هذه الظروف والأوساط المحيطة بعمر بن جعفر حتى يظفر هذا بما ظفر به ذاك.ولكن السلطان عمر جاء في وقت كانت في الدولة الإمامية تتلكأ في محيط مكفهر قاتم، وجو ملبَّد بالغيوم السياسية التي تنذر بالخطر الدائم، فلم يتح له أن يتمتع بما تمتع به سلفه الذي قرع باب اليمن والإمامة في أوج شرفها واكتمال إقبالها.

عينات ملجأ السلاطين:

وعينات حوطة الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي أصبحت كعبة مقصودة للمفاوضات السياسية، وملجأ هاماً يلجأ إليه السلاطين والأمراء والعسكر وغيرهم عندما يتورط أحدهم في مشكلة يعجز عن الخروج منها. ونفوذ السادة آل الشيخ أبي بكر على يافع هو نفوذ عظيم، لا يستهان به. استغله السادة المذكورين في تسوية المشاكل وإصلاح الأحوال وإغاثة الملهوفين فكثر الواردون والصادرون إلى عينات من جميع الطبقات إمّا للاستشارة أو للاستعانة.

حيادة السادة آل الشيخ أبي بكر:

ومع المحبة المتمكنة، والاتصال الروحي الأكيد بين السادة آل الشيخ أبي بكر ويافع فإن ذلك لم يحل دون فضيلة الإنصاف والحياد التي التزمها السادة المذكورون في إدارة دفة الإصلاح. ولا دون بذل النصيحة والإرشادات والمساعدات لكل من الأحزاب المتنازعة على السواء وكثيراً ما كانوا يتوسطون بتسديد القضايا بين السلاطين المناوئين للمبادئ اليافعية، وكثيراً ما يستعين بهم هؤلاء في جلب قوة لهم من بلاد يافع ليتمكنوا بها من تقوية السلطة الكثيرية. فلم يتأخر السادة عن إجابتهم ملتمسهم حفظاً للحياد ونظراً للمصلحة العامة.

وصول شاجع بن هرهرة:

قالوا: وفي سنة ١١١٣هأ وصل مكتب (رسول مستعجل) من شاجع بن أبي بكر بن هرهرة إعلاماً بوصوله إلى عتق. وفحوى كتابه أنه إنما جاء إلى هذه الأطراف لزيارة الحبيب علي بن أحمد حماه الله ولأن الحبيب المذكور مع السلطان عمر كتبا له يستدعيانه مع من يختاره من يافع ليجعلوهم في الجندية وأنه قد استصحب معه ثلاثمائة شخص.

ولم يلبث أن وصل ومن معه إلى عينات وجاء السلطان إليها وحضر الشيخ يحيى بن هرهرة، وجماعة من العسكر والوجهاء ولما انتظم المجلس بحضرة الحبيب تذمّر السلطان، وشكى الثقل من مصاريف العسكر، وحاول أن يعتذر من قبول شاجع ومن معه فأظهر هذا كتابين أحدهما من الحبيب والآخر من السلطان يطلبان منه أن يجلب عسكراً من يافع.

وأراد السلطان أن يقتصر على البعض ولكن شاجعاً رفض ذلك وقال: إما أن تقلمهم كلهم، وإلا رجعنا كلنا. وعظم الأمر على السلطان. وبعد الأخذ والرد حكم السادة بأن يرجع بعضهم بعد أن يكسوهم السلطان، ويحسن إليهم ويدفع إليهم مصاريفهم وهديتهم لأهلهم، ويقلم الباقين وهم الأكثر. وتكون قلمتهم قرشين ومدين من الذرة.

سفهاء العسكر:

ارتفع الضجيج بالشكوى من سفهاء العسكر من كل ناحية، وتحوّل كثير من رعايا سيؤن وتريم وشبام وتريس والغرفة ومريمة إلى عينات وخرج الأمر عن اختيار عقلاء يافع الذين وجموا حائرين، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى أية نقطة في إصلاح الحالة. وأقبل جماعة من تجار هذه البلدان من مسلمين وبانيان[1] بل ومن يافع أنفسهم إلى عينات للنظر مع المنصب في هذه الحال. والسلطان عمر بن جعفر في مقدمة الناقمين الذين يستغلون مثل هذه المواقف لإثارة غضب الجمهور: وتلطيخ سمعة يافع عموماً بكل عيب ونقيصة.

وتألفت بعينات لجنة إصلاحية من السادة آل الشيخ أبي بكر غرضها حمل أولئك السفهاء على الارتداع عن ذلك العسف والجور الذي يضر بيافع عموماً

(١) الهندوس.

قبل أن يضر بغيرهم. وتوجه الحبيب أحمد بن سالم وبمعيته جماعة من تريم. وتوجه الحبيب أحمد بن شيخ ومعه رفقة إلى سيؤن وشبام ومع كل منهما كتاب من المنصب الحبيب علي بن أحمد إلى أمراء يافع وعقلائهم يشدد فيه النكير وينذر بسوء العاقبة إن لم يحصل الارتداع.

فتور العلاقات:

وحدث سوء تفاهم بين السادة آل الشيخ أبي بكر والسلطان عمر بن جعفر. ولعل السبب في ذلك هو أنه تسرب إلى خاطر السلطان شيء من الظنون السيئة، والتهم السوداء بأن السادة المذكورين يرجحون مصلحة يافع على مصلحته، وأنهم يكيدون له باطناً، ويجاملونه ظاهراً. وربما بلغ المنصب شيء مما فاه به السلطان في بعض المجالس في هذه النقطة، فقبض نفسه عنه وأحس السلطان بهذا فازداد بعدا ونفوراً. ولكن الإمام الحداد نفع الله به لم يدع الداء يستشري وهو يقف موقف التفرّج فسعى في إزالة النفور بين الطرفين. وأشار على السلطان بالشخوص إلى عينات لزيارة المنصب. لا سيما والإرجافات بوصول السلطان بدر بن محمد المردوف مع يافع قد ملأت الأسماع فذهب إليها. ونحر تحت دار المنصب بدنة جرياً على قاعدتهم في إظهار الاحترام وصفاء القلب ونحر أخرى خارج قبة الشيخ أبي بكر. وصعد على دار المنصب فوجدها حافلة بالسادة الذين دُعوا لحضور مجلس السلطان ولتناول الغداء وتمَّ الاتفاق.وعادت الأمور إلى حالتها السابقة في المودة والألفة وذلك غرة الحجة سنة ١١١٥هـ.

اضطراب السلطان عمر:

يظهر لمن تأمل أحوال تلك الأيام أن السلطان عمر بن جعفر على كراهيته ليافع ومقته لهم، وغيرته منهم، يرى أن الظروف قد تجبره أحياناً لا على مجاملتهم ومسالمتهم فقط. بل وعلى استجلابهم إلى ناحيته، واستخدامهم في أغراضه،

ويظهر أن منصب عينات حريص كل الحرص على أن يتساهل السلطان عمر معهم. ويتصافى وإياهم. ولهذا تراه قد يشير على السلطان بإشارات سلميّة يود هذا لو أنه يتملّص منها تبعاً لعاطفته وتفادياً من نقمة الرأي العام الناقم على السلوك اليافعي فيقدم على المسالمة أو المصادقة إقدام المضطر المجبور. ثم لا يلبث أن يعود إلى ما تمليه عليه غريزته.

وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده

فيحدث للسلطان بذلك في نفسه وفي أعماله اضطراب وارتباك عظيمان لا يؤديان إلى نهاية محدودة. وقد يستشير فحلين أو ثلاثة من فحول الأحزاب المتعاكسة فيشير عليه كل واحد برأي يخالف رأي الآخر على طول الخط. فيزداد بذلك اضطراب السلطان وارتباكه.

عتب إمام:

وقد قرأت تأنيباً قارصاً في مكاتبة من أحد أئمة ذلك العصر من السادة العلويين للسلطان عمر بن جعفر. نقلته هنا ليعلم منه القارئ مبلغ تزاحم الآراء على خاطر السلطان.

قال ذلك الإمام في أثناء مكاتبته-: ((وما أشرنا به عليكم هو الذي يظهر لنا في هذه الساعة. فإن ظهر لكم الصلاح في غيره فذاك ويفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد. ومهما كنتم إلا في رأي آل فلان فيما تقدمون عليه وتحجمون عنه مع أنهم على مثل ما قد علمتم وعرفتم، فلا صلاح ولا صواب. وقد تبين من أشوارهم وآرائهم غير مرة ما لا يؤخذ به، ولا يعتمد عليه. فإذا كان والي الأمر غير مستقل بتنفيذ الأمور. بل هو في يد غيره كالعصى في يد الضارب فلا كلام معه ولا نظر إليه. وهؤلاء كما عرفتم اليوم كذا. وغداً كذا. إلى أن يوقعوكم وتوقعوا الناس في

أمر لا يطاق من الفتنة وتشتت الكلمة فإن ظاهر أحوالهم ليسوا لكم ولا معكم. وأنهم ضعفاء الآراء، سفهاء الأحلام. إلى أن قال: ونحن إن شاء الله على قدم مما نشير به، ونراه. وقد مارسنا الأيام وجربنا الأمور وعرفنا كل ما يصلح كل أهل مرتبة في مرتبتهم وما يحسن منهم الأخذ به.

بين آل بدر وآل عبدالله :

وفي سنة ١١١٩هـ تعاظمت الخصومة بين السلاطين آل بدر بن عمر ، ويرأسهم السلطان بدر بن محمد المردوف؛ وبين آل عبدالله بن عمر ويرأسهم السلطان عمر بن جعفر. وتداخل يافع في إصلاحهم ثم فوّضوا الأمر لمنصب آل الشيخ أبي بكر وورد إلى عينات لإصلاح المتخاصمين الشيخ عمر بن صالح بن هرهرة وأحمد بن السلطان محمد ومعهما عدد وافر من يافع، وفي اليوم التالي لحق بهم السلطان بدر وورد أيضاً السلطان عمر بن جعفر واكتظّت عينات بالقوم.

واتفق السلطان عمر بالشيخ عمر بن صالح وهو أول اتفاق سلمي بينهما فقدّم له السلطان هدية رأسين من الخيل الجياد وبندقيتين محليات من خيرة البنادق ومائتي ريال ٢٠٠ فرانصه [1] وأعطى أخاه أبا بكر بن صالح دراهم غير معلومة. وبعد المفاوضات في الإصلاح حكم ابن الشيخ أبي بكر بن سالم برأي المصلحين على أن يتولى عمر بن جعفر ظفار ويعزم إليها من طريق المشقاص وعلى أن من أراد من بقية آل عبدالله الصعود معه فليصعد ومن أراد البقاء بحضرموت فله كيلة يتناولها من الدولة كالعادة السابقة.

وتوجه السلطان عمر إلى المشقاص غير أنه شاع بين الناس أن بينه وبين عمه بدر بن علي بن عبدالله الآتي ذكره مباطنة وتدابير تناقض ما صادقوا عليه ظاهراً. وقد ظهر فيما بعد صدق هذه الإشاعة.

---

(١) ريالات نمساوية (ماري تريزا) وهي متداولة حتى الآن.

السلطان عمر و العمودي:

كان الشيخ حسن بن مطهر بن عبدالله العمودي كثير التحكك بالهجرين وإحباطها. وفي سنة ١١٢٣هـ في أواخر رمضان صال على تلك البلاد وما جاورها بأقوام كثيفة. فاستغاثوا بالسلطان عمر بن جعفر.

ولننقل هنا ما كتبه الحبيب علي بن حسن العطاس العلوي في هذه الواقعة حرفاً بحرف. وهو قريب العهد وقريب المكان منها: قال: وصال الشيخ حسن بقوم كثير ووصل بقومه وحط بوادي المغبر تجاه رصعة با حميد جميع القوم. وأما الشيخ المذكور وأخدامه فحطّوا تحت قلعة باحويرث فوق عتم الهجرين ثلاثة أيام.

وفي اليوم الرابع طلع بعض القوم المثكع وبعض القوم السير القبلي وهاشوا جميع البلاد ما خلّوا لأهلها لا طعاماً ولا تمراً ولا كساء ولا ماعوناً ولا خرش الحريم ولا نشرة ولا وقا ولا قليل ولا كثير حتى المخاوط والمسلات التي يخيّطون بها الجشر والكتب والمصاحف. وبعد ذلك وصل من حضرموت السلطان المنصور المحروس بالله عمر بن السلطان جعفر بن السلطان علي ومعه مائتان من يافع وقوم غيرهم، ومعه أولاد السلطان عيسى بن السلطان بدر وعارضوهم إلى قبلي شرج باصفر واستمر الحرب بينهم من طلوع الشمس إلى وقت الضحى، وكان النصر من الله للسلطان عمر ومن معه من يافع.وانهزم قوم الشيخ، وقتل منهم خلق كثير. من مشايخ سيبان وآل هبرى وغيرهم.

قال بعض أهل الهجرين أدمرونا وأدمروا بلادنا والوعد نحن وإياهم بين يدي الجبّار. وأقام السلطان مدة بالجدفرة وكان قصده المسير إلى دوعن وراء المنهزمين ولكن وصل عنده السيد الحسين بن عمر العطاس والشيخ علي بن الشيخ الولي

سعيد باوزير وساروا إلى الشيخ حسن وانعقد الصلح ثلاثة شهور. والله يصلح من في صلاحه صلاح المسلمين.

السلطان عمر يهاجم حضرموت بالعوالق:

وفي سنة ١١٢٥هـ أقبل السلطان عمر بن جعفر إلى حضرموت ويصحبه السلطان صالح بن منصر العولقي ونحو ستمائة من العوالق وعبيدهم. وساعد السلطان عمر أيضاً حسن بن الهادي الواحدي ومعه نحو المائتين ولما وصلوا هينن سعى السيد حسين بن عمر العطاس في الصلح وتم على أن يافع عسكر السلطان وأن يخففوا عنه من مصاريفهم وعادت الأحزاب كل إلى أرضه.

نصائح العلويين له:

قلنا أن السلطان عمر بن جعفر ألد أعداء يافع، ولم ير اليوافع بحضرموت بطلاً عنيداً مثله غير أن الرجل قد يورط نفسه فيرد موارد ليس لها مصادر، ويقع في مشاكل لا يخلصه منها إلا ذوو المناصب والنفوذ من العلويين.

ويافع كانوا يرتضون به سلطاناً لو أقبل إليهم مسالماً وتر كهم في أماراتهم وعسكريتهم ويرغبون في أن يكونون في جانبه كما قد جرى له معهم في الأحوال السابقة، وقد نصحه الإمام الحداد وغيره ومجربوا العلويين وخبراؤهم بأن يضع يده في أيدي يافع ويتعاون وإياهم في تدبير السلطنة وإصلاح شئونها. فكان مما كتبه إليه القطب الحداد جواباً عن كتاب ورد منه وهو بجهة المشقاص ينبئه فيه بما تواطأ عليه هو وعمه من الهجوم على تريم قوله: وما شرحتم فيه من الشأن الذي وقعت في المواطأة فهو سخنة عين، وجسد بلا رأس وقفا بلا وجه ولو أنك خرجت إلى الجهة وليس معك إلا عشرة أنفس لكان العسكر يقبلون منك ذلك

ويسرهم ويكونون معك ولك على مثل الأحوال السابقة والآن حصلت فتون وحزون وأحقاد وأحن على غير طائل ولا نفع.

حصر يافع بتريم:

ولكن من ذا الذي يستطيع أن ينتزع ما يجيش بصدر هذه السلطان من الحقد المعمي المصم الذي جرى منه مجرى الدم في شرايينه على هذه الطائفة المتسيطرة على تراث آبائه فصمم على تنفيذ مشروعه الخطير، و هجم على تريم في شهر ر بيع الأول سن ١١٣٠هـ واحتل قليلاً من ديارها وحصر يافع في حصونهم وصادر أموالهم وطلب من الأهالي ما هو مدخّر عندهم من ذخائر وما تحت أيديهم من أموال يافع المحصورين وبقي الحال كذلك، واشتدت الضائقة على الناس وعلى المحصورين بل وعلى الهاجم نفسه، ولم تأت جمادى الأولى إلا والسلطان يتطلب الرأي من عقلاء السادة، ويشير بطرف خفي إلى بغية التوسط، فكان مما أجاب الإمام الحداد قوله: وأما الرأي الذي ينبغي أن تأخذوا به ولعل يحصل فيه كل المطلوب أو بعضه فتنظر فإن حصل سعي من أحد من السادة وخصوصاً من آل الشيخ أبي بكر من غدوة أو بعده فلا بأس وبعض الويل أهون من بعض، وإن لم يحصل سعي فجدوا على حملة واحدة فذلك أمكن وأحسن واجعلوها على أرباع البلد أو أثلاثها ويكون بعض المضايقة بالليل أولى، فإن القوم يرمون وهو قل ما يصيب بالليل، وإن وقعت الحملة مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً فالإنسان يأخذ ويعطي ويصيب ويخطئ وهذا إن شاء الله مما يبيّض الوجه عند القريب والبعيد وأما التفرق من غير أن تصيب من المحارب شيئاً ففيه سواد الوجه وقبح الأحدوثة في هذه الجهة وفي غيرها و الحرب سجال والدهر دول والمشيئة لله والقدرة الظاهرة والقوة الغالبة وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

انتهى كلام الحداد.

الحبيب طاهر بن محمد والسلطان:

كان الحبيب طاهر بن محمد بن هاشم العلوي ممن يوالي الكتابات والإرشادات للسلطان عمر بن جعفر.. ولما أن أسند السلطان أموره إلى من لا خلاق له من جهلة الأجناد وتولى هؤلاء حجابه والمفاوضة عنه، رأى الحبيب طاهر بن محمد وجماعة من العلويين أن يقبضوا نفوسهم عنه وعن نصيحته.

وقد ورد في أثناء مكاتبة من الحبيب طاهر بن محمد للسلطان عمر ما نصه:

ثم لا يخفى علمكم أن الفقير عند وصوله من الحرمين الشريفين قلَّت منه المكاتبة إليكم إذ ليس يرجى من ذلك نفع لما حدث عليكم من عدم الاستقلال ونفوذ الكلمة بل إذا أراد الشخص أن ينال بغيته منكم لم يصل مراده إلا بعد عناء وخطاب كثيرين ممن لا خلاق لهم ممن يستنكف العزيز من محادثة الكبير منهم فضلاً عن الصغير فاقتضى الحال الصبر على أمور لا تطيب بها النفس ولكن التسليم شأن السليم.

ثم لما كان في هذه الأيام شاع عنكم الانفراد بالكلمة والاستبداد بها من غير منازع انبعثت في القلوب رسل الرجاء في نصرة من لا ناصر له إلا الله. فقم لله ولعباده بنفسك فالراحمون يرحمهم الرحمن ولا يغرّنّك حلم الله تعالى فإن الله شديد العقاب وأنه ذو البطش الشديد. فإلى متى وركوب الهوى فدارك نفسك قبل حلول رمسك وحاسبها قبل أن تحاسب. فإن الله تعالى يملي للظالم حتى يمسكه، فإذا أمسكه لم يفلته. والله المسئول أن يأخذ بأيدينا إليه والسلام.

نصيحة أخرى:

وللحبيب طاهر بن محمد مواقف والدية مع السلطان عمر يبدي له فيها باللسان وبالقلم نصائح ربما قد تكون حادّة اللهجة قاذعة العبارة فيتحملها السلطان بطيب خاطر حاملاً لنصائحه بين جوانحه إجلالاً واحتراماً.

وإليك أنموذج مما كان يكتبه إليه عند اقتضاء الحال لذلك فقد جاء في أثناء مكاتبة قوله:

أما بعد فإنك بليت بهذا المقام الخطير وتصديت فيه لأمور عاقبتها وخيمة عظيمة، حتى صرت قدوة للظلمة في التجرّي على العظائم، واستصغار كبار الجرائم. وقد رجونا منك تلافي الهفوات الماضية وتدارك السيئات المنقضية. فكان الأمر على الخلاف، حتى حدث من الأمور ما لا يجوزه الخاطر، ولا يتوهمه منك البصير الناظر. ولكن دارك قد ولجه الأنذال من الناس. وسمعت آذانك سعاية الأراذل والأوباش. حتى أوقعوك فيما يقبح أن ينسب إلى أدنى أمرائك. إذ لو تأملت لعاقبت من هذا حاله، ولأمرت بسفك دمه. لأنهم استحلوا أموالاً، وانتهكوا أعراضاً، فالبلد أصبح يموج بالبدع والمظالم ويتغشّاه من كل جهة دخان البغي الكاظم، ينتهبون الأموال سراً وجهراً وكل هذا في صحائف أعمالك فأنت المسئول في يوم المعاد، فوا شفقتي عليك. إذ أُلقيت صحيفة أعمالك إليك، وسئلت عما لك وعليك، فكأني بك جاثياً على ركبتيك مطأطئاً رأسك مما يُملى عليك وقد تجلى ملك الموت في ذلك المقام. باسم العدل والانتقام....الخ.

نهاية السلطان عمر:

وأخيراً لم تطب الإقامة بحضرموت لهذا السلطان الجليل تحت سمع الضيم وبصره فذهب ضارباً أطنابه في الآفاق حتى توفي رحمة الله عليه بمسقط. وهو آسف القلب. مفطور الفؤاد. وقد أمضى حياته كلها في جهاد مستمر في سبيل الاستقلال العزيز.

٣٤- الأمير جعفر بن عيسى

الأمير جعفر بن عيسى بن بدر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق. ورد اسمه فيما طالعناه من تاريخ سلاطين آل كثير غير أنه فيما ظهر غير رشيد

السياسة ولا بعيد النظر ولا هو ممن يتطلع إلى المجد والرياسة. وقد ذكرنا أنه كان قائد جيش والده في حربه مع العمودي. ونذكر هنا أنه أيضاً كان السبب في وقعة الغطيل الآتي ذكرها في زمن السلطان جعفر بن عمر بن جعفر السابع والثلاثين.

٣٥- الأمير محسن بن عمر بن بدر

الأمير محسن بن عمر بن بدر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق. ألّف له عصابة شنفرية تصول وتجول من حين إلى آخر على معاقل يافع ومناطق نفوذها. وفي سنة ١١٤٤هـ قويت شكيمة هذه العصابة وأخذت تقلق الأمر وترعب الأهالي.

بين آل تميم والعصابة:

وفي ذات يوم أغارت على ((دمُّون)) فكان ذلك سبباً في هياج آل تميم وغضبهم لأن تلك البقاع هي مشارحهم وتحت نفوذهم. فتصدّوا للعصابة وناوشوها القتال ووقع القتل في الفريقين. وذهب الشنافر فحرقوا عدداً من الدور والغرف هناك وغاروا على سوارح من البقر والحمير، ونهبوا غرف آل زيدان وحرقوا بها دياراً. وانصرفوا عنها ثم عادوا إليها بعد أيام، ولكن يافع وآل تميم كانوا قد استعدّوا لغارتهم فباغتوهم وهزموهم شر هزيمة حتى أوصلوهم إلى تاربة.

وبعد أيام تجمعت عصبة الشنافر يرأسها الأمير محسن وغارت على سيؤن وعاث بعض رجالها بها و فسقوا فيها. وطلع من بها من يافع إلى الحصن، ولكن الشنافر ربعوا بعض بيوت يافع لمعرفة بينهم وبين أهلها، وربعوا بعض ديار الرعية بدراهم. وصعد الشنافر إلى حصن السعادة ولكنهم لم يغيروا منه شيئاً.

٣٦- السلطان علي بن جعفر

هو السلطان علي بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق أخو السلطان عمر بن جعفر الثاني والثلاثون.

تولى السلطنة بعد أخيه عمر وهي في دور احتضارها فأنعشها قليلاً وقام بما يلزم القيام به مما وصلت إليه طاقته.

أخلاقه:

كان السلطان علي بن جعفر كسلفه حميد الأخلاق. واسع الصدر، ينزل الناس منازلهم. ويكرم أهل الفضل. ويراعي خواطرهم. ويحترم مبادئهم. يظهر لك ذلك من القصة الآتية التي حكاها الحبيب علي بن حسن العطاس العلوي في كتابه سفينة البضائع. وقد أوردها عرضاً عند ذكره أولئك الأشخاص الذين يبخلون بإعارة الكتب.

تواليف الحبيب علي بن حسن:

وللحبيب علي بن حسن دربة عجيبة في التأليف تدع القارئ يمر بالكتاب من أوله إلى آخره من دون أن يشعر بملل أو سآمة وذلك لحلاوة عبارته وتنوع مواضيعه التي يكدسها تكديساً من غير ترتيب ولا تبويب، ولأنه يستطرد من ضرب من الفؤاد إلى ضروب أخرى بمناسبة وبدون مناسبة. ولأنه يكتب بقلم طبيعي لا يعرف للتصنع أو التكلف معنى. فهو يخترق الأجسام إلى الأفئدة، ويخاطب الجِنان بدون استئذان. ويقع تأثيره على العامة كما يقع على الخاصة.

ما ذكره الحبيب عن السلطان علي:

ولننقل لقرَّائنا كلمته التي يذكر فيها السلطان علي بن جعفر، ننقلها برمتها بعبارتها الرشيقة وأسلوبها العجيب. قال: -

((ومنها أني جئت إلى بعض الخزائن، أستعير من صاحبها الكتب وهي أربع خزائن. وقد مات العلماء من أهلها وما بقي إلا أهل جهلها. فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا إلا من تاب. فقلت لهم: هاتوا الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني، إلى تسعة كتب، وهاكم تسعة مجلدات قباضة لكم حتى أرجّع حقكم، فقالوا: أننا قد منعنا فلان وفلان من أكابر السادة وأنت تكون

كماهم. فقلت: أما أنا فسواء. ولكن مثل هؤلاء الذين ذكرتم أنكم منعتم منهم ماعون الكتب المذكورة ما ألقيتم خير في أنفسكم بمنعهم، وهذه الخزائن إن شاء الله ندعوا عليها بالأرضة تأكلها.

وكانت الخزائن المذكورة إذا نظرت إليها قبل ذلك تراها كأنها طاقات الكسوة الفاخرة لأن ورقها وجلودها مرونقة بألوان الأصباغ المتفرقة. فمن حينئذٍ دبّت فيها الأرضة وهي الآن تلهب فيها لهيب النار، وتأكلها بالدمار وهذه الكتب بيد هؤلاء الجماعة هن وما دخل عليهم من إنذار سلفهم الصالح البار قد جعلت على سبيل الوقفية للسبيل.

فلما ضوينا[1] عندهم تمالوا في عشائنا فقال بعضهم هذا شريف من آل فلان وهو يستحق الإكرام فاذبحوا له رأساً من الغنم الذي للزاوية فقال له الكبير منهم نحن ما نقدر كلما جاء شريف نذبح له رأس غنم، ولكن ما حصل كفى. فكان العشاء من الخمير والروبة فلما كان وقت العشاء وصل إليهم كتاب من السلطان علي بن جعفر أنه مصبّح الصبح للغداء عندهم، ومعه الأمير مرجان وجملة من العسكر.

فباتوا المشايخ طول الليل في حركة للاستعداد لهم. فكان قدومهم وقت شروق الشمس إلى فاضلة الخزانة وأنا فيها فما كان أسرع من أن قربوا الغداء وكل شيء من أعضاء الذبيحة قوام بحالها. والمغاضيف مثل السبول في تفالها فقلت للوالد سالم بن عبدالله بن رضوان وكان معي: هذه كرامة الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عمر صاحب الخزانة لما أراد الكرامة لنا ساق لهم السلطان يسوقهم إليها.

وحصل لنا من السلطان غاية التأدّب والإكرام، بحيث أنه بعد الغداء لما قالوا له المشايخ مرادنا أنكم تقوم إلى البيت الفلاني تظل فيه لأنه بيت فسيح وسيع منيع رفيع. قال لهم إن قام السيد قمنا وإن قعد قعدنا. فقلت لهم تقدموا وأنا آتيكم، فلما

(١) ضوينا = امسينا.

طلعت إليهم وجدتهم في فاضلة وعندهم جملة من الرشب يمزّون التنباك، فجلست. فقال السلطان مرادنا حضرة ذكر، فقلت: لا باس، ولكن شلّوا عنّا هذه الرشب. فشلّوها إلى مصلى في تلك الفاضلة. وجعل كل من أراد المزيز من المشايخ أو أصحاب السلطان دخل في ذلك المصلى.

ثم إن المشايخ قدّموا العشاء عشية، وهو كالغداء بالسوية، ثم إنّا بعد العشاء خرجنا نحن والسلطان إلى مسجد الجامع فصلينا المغرب. وكانت تلك ليلة الأحد. فقال اسمعنا الليلة حزب الأحد قراءة من حفظك. فقرأت لهم سورة يونس وسورة هود. وهم يستمعون وينصتون. ودخل وقت العشاء فصلينا العشاء وبتنا تلك الليلة نحن والسلطان في المكان. وفي الصبح سرحنا كل إلى مكان. فكأن الجمع ما كان. وما الدنيا كلها إلا كأضغاث أحلام. كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ والله المستعان. انتهى كلام الحبيب علي بن حسن.

وإلى السلطان المذكور ينتسب آل علي بن جعفر أهل العجلانية وحورة وجاحز.

٣٧- السلطان جعفر بن عمر

السلطان جعفر بن عمر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق. رجل همة ونشاط. ونفس أبيّة، قام بالسلطنة بعد عمه علي بن جعفر وعدل بين الرعية وضبط الأحكام، وذلل العصابات الفوضوية غير أنه لم ينتظم له شأن في المناطق المحتلة. وقد انمحت منها تماماً صورة السلطنة الكثيرية.

ولكن السلطان جعفر بن عمر لم يألُ جهداً في محاولة استرداد ملك أبائه فلم يوفق إلى شيء من ذلك. بل ظل يهاجم ويقاتل، ويصلح وينازل بدون طائل. فكان _ ويا للأسف _ رغماً عن أتعابه ومجهوداته هو آخر سلاطين الدولة الكثيرية الأولى حتى قيل أن الدولة الكثيرية أولها جعفر وآخرها جعفر. ولعلهم يشيرون إلى جعفر هذا.

السويني وجعفر:

وللشيخ سعد مذحج الملقب بالسويني من أراجيزه الملاحمية ذكر حميد لجعفر وإشارات إلى حروبه ومحاولاته. وكان الحبيب الحسين بن عمر العطاس العلوي يقول لعله هو هذا جعفر. فما ورد فيه عن السويني قوله:

سيؤن حبلى يا عرب مقنن صار الجنين في بطنها مشنن
حتى يجيء جعفر له يدهجن تمسي عروس فوق الفراش تزفن

وقوله:

واديش يا عينات ما هنى نوم شبام سدة حضرموت للسوم
وجعفر الدرقة زمام للقوم

وقوله:

شف السويني مشتغل ومحنون أحوال با تجري حوالي الخون
مولى حبوظه تاليته سمعون وقرية أهل اللسك ما ينامون
النهب فيهم والحراق والهون والصيح مغرق والدريك مرصون
حتى التميمي ما درك بمختون جعفر وراهم وين با يحلون
جعفر صليب الرأس ما يجي الدون ملك الكثيري كان ملك مصيون
عسى لهم رده بحق ذي النون

وقعة الغطيل:

وحكى لنا المؤرخ الشيخ أحمد بن محمد بن عمر باعباد عن وقعة الغطيل أن السلطان جعفراً بن السلطان عيسى عمِد إلى أهل القل والحاجات من يافع وغيرهم. وأخذ ما بأيديهم. فرجع يافع إلى الشنافر وحالفوهم واجتمعوا بذي أصبح وتمركزوا بها وأخذوا يرهقون الضعفاء ويفرقون عليهم ما يلزمهم لأقواتهم وذلك سنة ١١٤٣هـ.

ثم إن السلطان جعفر بن عمر جهز عليهم عسكره ومعهم من قبائل الكسر نحو تسعمائة من نهد وآل شحبل وآل مخاشن وآل رباع والجعدة وحلفائهم. فالتقوا في

الغطيل وكانت معركة مهمة قتل فيها جماعة منهم سالم بن محمد بن حيدرة. وكانت الدائرة على السلطان جعفر بن عمر وقومه وانهزم هو إلى شبام ودخلها وبيده الطاسة (طبل الحرب) لأنه عرف بأن القوم ستغنمها فانتزعها من يد الطواسجي. وذهب بها راكضاً حصانه. وبات ليلته بشبام ثم عاد إلى العجلانية.

هجومه على الشحر:

لم ينس السلطان جعفر ذلك الفشل الذي فشله أبوه في الاستيلاء على الشحر سنة ١١٢٩هـ فشدّ مئزره وجهّز جيشه ووصلها على حين غرّة واستولى عليها ودخلها مرتجزاً بقوله:

قال الكثيري بن عمر بن جعفر ... لي ناد رأسي يا شوامخ نودي
الشحر خذناها قد الله قدّر ... عاد المكلا با تحن رعودي

السلطان جعفر يستفتي:

نعود إلى الكلام الحلو الرشيق الذي ينفثه قلم الحبيب علي بن حسن العطاس العلوي فقد جاء له في كتابه سفينة البضائع ذكر السلطان جعفر في عبارة أحببنا نقلها هنا لفكاهتها وفائدتها. قال:

غريبة عجيبة الضريبة:

كنت مرة أقرأ على الوالد عبدالله بن حسين في كتاب الشجاج والديات وخرجت من عنده، فطلع عليه بعد خروجي من عنده جماعة معهم كتاب من السلطان جعفر بن عمر بن جعفر الكثيري يقول فيه: صدر إليك فلان به أصواب من بعض القبائل نريد تنظرها وتحقق أرشها. فقال لهم الوالد عبدالله : أذهبوا بورقة السلطان إلى الولد علي وقولوا له ينظرها وينظر الأصواب وينقل للسلطان أرشها فإن الكتاب الذي فيه الشجاج عنده. فجاءوني وقرأت الكتاب ونظرت الأصواب. فإذا هي الموضحات. فكتبت ديتها وكان شيئاً كثيراً. فلما خرج المصاب وعندي صاحبنا الرجل الصالح أحمد بن عبدالله بن عون فقال وهل لنا قسم في الكلام أم الكلام كله لكم يا أهل الكتب.

فقلت ما تقول قال أقول هذا الرجل الذي جعلتم قيمة أصوابه أربعين أوقية فضه. لا يساوي كله إلا أربع خماسي، فضحكنا من كلامه والكلام هنا طويل، والقليل دليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نهاية الدولة الكثيرية الأولى:

وبنهاية السلطان جعفر يسدل الستار على حياة الدولة الكثيرية الأولى. تلك الدولة الزاهرة التي لعبت دورها في أربعمائة سنة على مسرح هذا العالم الفاني ولم يبق لها ذكر غير ما تضمنته أدمغة الحفاظ وبطون الأوراق.

تقوضت أطناب هذه الدولة، وتفرق رجالها في أكناف البلاد متجردين من القوة والرئاسة، والإدارة والسياسة. فالتجأ آل عبدالله إلى قارة ((الصناهجة)) ومنها إلى السحيل القبلي وإلى غنيمة في وادي تاربة. واختار فريق منهم بلدة با عبدالله وهي حوطة السادة آل العيدروس موطنا لعزلتهم الهادئة المتواضعة.

القسم الثاني
سلطات الطوائف
والفترة بين الدولتين

وإنما أسميناها بعض سلطات الطوائف، لأنها سلطات صغيرة طائفية يافعية وغير يافعية. كل منها لا يستوجب لقب دولة لضيق نطاق سلطته، ولعدم قيامه على نظام دولي. فبمدينة (((تريم)) وحدها ثلاث سلطات من هذا القبيل وهي سلطة آل غرامة بحارتي المجف والسوق، وسلطة ابن عبد القادر بالنويدرة، وسلطة آل همام بالخليف، ثم أن ابن يماني التميمي كان يسيطر على ((قسم)) وضواحيها. وكذا لكل قبيلة من آل تميم بلدة تحكمها. وهناك نقط أخرى تسمى ((الحوط)) يحكمها بعض السادة العلويين وبعض المشايخ ذوي الفضل بدون جنود ولا عبيد.

واستأثر آل الضبي ((بسيؤن)) كما انفرد بنو النقيب ((بتريس))، والموسطة ((بشبام)) وبنو بكر بمريمة. ولكل من قبائل الشنافر بلدة تمضي عليها سلطته وهلمّ جرّا.

الحالة السياسية في الفترة:

وتوسط القرن الثاني عشر وقد فرغ الناس من دفن الدولة الكثيرية الأولى وأخذوا ينظرون إلى ما قد سد الأفق من غيوم الفوضى والاستبداد والظلم، والجور واندفاع القوى المتسيطرة وراء أغراضها اندفاعاً لا يردعه رادع ولا يزعه وازع.

وكان التيار السياسي في مستهل ذلك القرن غير متجه إلى وجهة معينة، وكانت الفوضى السياسية قد بلغت النهاية؛ فأصبح القطر الحضرمي يموج صاخباً من عيث العسكر بالمدن. والقبائل في الضواحي و تلا عبهم بالأمن تلاعباً لم يبق ولم يذر.

(وكان هؤلاء العسكر من يافع الذين جُلبوا من الجبل لتعزيز الدولة الكثيرية الأولى وتعضيد عرشها قد أخذوا هم بأنفسهم يتغلبون على الحكم كما ذكرنا سابقاً ويستأثرون به ويزحزحون الدولة الوطنية عن نفوذها ومراكزها حتى قبضوا على البلاد وأخذوا بناصيتها وأصبح لهم الحول والطول بداخلية حضرموت وسواحلها).

ولو أن هؤلاء المتغلبين يقصدون تأسيس دولة يافعية قوية الشكيمة تملك البلاد وتحكم العباد وتطمح إلى إقامة سلطان عام يسوّس القطر عدلاً أو جوراً لما قلنا باضطراب الاتجاه السياسي إذ ذاك ولما رأينا عواصف الفتن والمحن تعصف بأهالي ذلك القرن من دون غاية مبررة اللهم إلا المطامع السافلة والأغراض الشخصية التي تنم عن روح شريرة سارية في المتسلحين لا تتمشى مع مصلحة النظام العام.

الفتن والفوضى:

وكان أديم القرنين الثاني عشر والثالث عشر بحضرموت كله مصبوغاً بالنجيع القاني من جراء الفتن الداخلية التي لم تزل نيرانها تلتهب بين القبائل المتسلحة طوراً وبينها وبين الدويلات طوراً وبين هذه مع بعضها أخرى.

ولو لم يمن الباري سبحانه بأولئك المناصب من السادة[1] والمشايخ الذين كرّسوا أوقاتهم للإصلاح بين المتحاربين، وبأولئك الدعاة من العلماء الذين بحّت أصواتهم، ونفذ مدادهم من النداء بالنصائح الناجعة. والرسائل النافعة التي ترسل تباعاً إلى رؤساء القبائل والدويلات _ ولولا ذلك لما علم أحد إلى أي مدى ينتهي الويل والثبور بهذه البقاع، وإلى أي شأو يصل التآكل والتناطح بأولئك المسلحين المنكودي

(١) السادة جمع سيد وهو لقب يطلق في جنوب الجزيرة العربية على أبناء الرسول عليه الصلاة والسلام، والمشايخ جمع شيخ ويلقب به أبناء البيوتات المشهورة بالعلم والفضل والصلاح.

الحظوظ. ولما أن كانت القبائل المسلحة في ذلك العصر على جانب لا بأس به من حسن الظن بأولئك الأعلام، فإنه يقع لدعوتهم إياهم تأثير يكبح من جماح أهوائهم ما تسمح به الظروف.

ومن يطلّع على بعض ما كتبه أولئك السادة في إصلاح القبائل ودعوتهم إلى الخير يعلم مبلغ الجهود العنيفة التي قام بها أولئك الأعلام رحمهم الله في سبيل النفع العام في درء المفاسد عن القطر العزيز والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

السادة العلويين ومساعيهم:

للقرن الثالث عشر ظاهرة ممتازة بين القرون الأخيرة في تاريخ حضرموت إذ في طيّات سنواته بلغت النعرة العلوية في السياسة أسمى مدارجها، فسقطت بذلك دويلات. وقامت على أنقاضها أخريات فتيّة لا يزال بعضها إلى الآن وهو الانقلاب السياسي الذي لم تعهد حضرموت في تاريخها الحديث مثله.

وفي هذا القرن الأحمر المخضبة أعوامه وشهوره بحمرة الدماء الأرجوانية انتشر بفضاء حضرموت رائحة الفتيل ورددت جبالها صدى صرخات البنادق ورجّات المدافع، وامتلأت بقاعها بأشلاء القتلى الذين ذهبت أرواح بعضهم ضحية القلمة، وبعضهم ضحية الأنانية، والبعض الآخر ضحية آمال سامية تجيش في صدورهم وقد اختطفتهم المنية دون تحققيها.

وإنما أخرج السادة العلويين من عزلتهم إلى المعترك السياسي، وحملهم على نبذ تقاليدهم القائلة بوجوب ابتعادهم عن التداخل في شئون السلطات وتنازعها – هو ضجيج الوطن وعجيجه من عظيم ما يقاسي من الاضطرابات والفتن، وما يكابده قاطنوه من الضيم والقهر ومن انعدام القوة الحاكمة التي تخضع لها البلاد سواء اتصفت بالعدل أو الجور.

ومن يطالع تصانيفهم وأشعارهم ومكاتباتهم يدرك مبلغ حرصهم على إيجاد الوالي العدل وتغزلهم فيه وأسفهم لفقده وبذلهم نفوسهم ونفيسهم في إقامته، ولا يستطيع أحد أن يقيم دليلاً واحداً على أنهم دعوا مرة واحدة إلى أنفسهم أو رموا إلى تأسيس دولة علوية، مع سهولة ذلك عليهم وانقياد الأمر إليهم. لو أرادوا. لأنهم كانوا في عصر أصبحت فيه نظرة العامة والخاصة إليهم نظرة إجلال وإكبار، وظلّت أنوار علومهم وإصلاحاتهم تنير السبل وترشد الضال، وتحل المشاكل، وتجعل لهم في القلوب مكانة لا تدانى ومنصباً لا يسامى.

وذلك لأن مهام الملك ومشاغل الولاية وأبّهة السلطان ليست هي في اعتبارهم بالمهيع الذي تتطلبه تقاليدهم وموروثاتهم، ولا هي بالمنهج الذي خطه لهم أهلوهم وأصولهم، وليست هي الضالة المنشودة ولا الغاية المقصودة التي يحيون الليالي ويصومون الهواجر ويعمرون الأسحار من أجل الحصول عليها. فهم إنما ينظرون إليها نظر المذّكر المتفرج على أعمال الرواية التمثيلية وأبطالها. وهم إنما يقولون فيها ما قاله سيدنا الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم السلطان عبدالله بن عمر ((إن الولاية على الناس لا نرضى بها حتى لخادمنا الذي يجرّ لنا الماء ولا نوليها عيالنا)) وقال بعض الحميينين منهم:

من أراد الهم والغم الكبير فليكن للناس سلطان أو وزير

أما قيام الحبيب طاهر بن حسين العلوي فإنه لم يكن لتأسيس دولة علوية ولا لتأييد غرض سياسي. ولم يكن إلا دعوة مؤقتة لنصرة الشريعة ودحض الباطل ومكافحة الفوضى كما فقط سيأتي.

ونحن لا نبخل عل قارئنا حماه الله بذكر أنموذج من تلك الارتباكات والمصائب التي أوقعت الوطن في مآزق حرجة تحيط بها البلايا من كل ناحية، وتتقفاها سيول زواخر من الهنات الشاينة التي لا تبيح الآداب إذاعتها.

قضية التابوت:

الذي يظهر أن نفسيات السراة والزعماء من السادة وغيرهم من أهل ذلك القرن قاسية متصلبة لا تعرف المرونة، ولا تجنح إلى المجاملة. وربما تغلّب على القوم التعسّف الأناني، والتعصب الأعمى الذي تنكره العقول، وتمجه الأذواق، وتقف الطباع السليمة حسرى دون شأوه.

وقضية التابوت يُستنتج منها ما ذكرناه، ويُعلم منها أيضاً مبلغ التخبط السياسي الذي تعانيه حضرموت في ذلك العهد وإليك ما قالوه عنها. قالوا: -

((وفي سنة ١١٦١هـ كانت واقعة التابوت الذي أرسله الشيخ العمودي لضريح الحداد، وهو شبيه التابوت الذي على قبر المحضار)) فاختلف رأي السادة فبعضهم رضي ذلك كالحبيب أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم ومنهم من لم يرض بذلك كالسادة آل العيدروس، وكذلك اختلف رأي القبائل على هذا حتى وقعت الحرب على وضعه. وأصابت رصاصة رأس السيد صالح بن علي بن أحمد ونفذوا به إلى عينات حيث قضى نحبه. وبقي التابوت موضوعاً في بعض الديار بأمر من يافع أشهرهم أحمد غرامة البعسي وصمم الحبيب أحمد بن علي على وضعه على الضريح فجاء الرتبة من يافع ووضع بحضورهم. قيل على رضى من آل همام ممزوج بخداع.

و بعد وضعه قام السادة آل العيدروس وعظم عليهم الأمر واستنجدوا بالشنافر وساروا إلى أحيائهم. فصار بعد ذلك ما صار من حريق التوابيت كلها التي على القبور. ثم تراجع الناس و اجتمع الرأي على إرجاع التوابيت فأعيدت على حالها وأصلحن بأعواد هندية مصهرة.))

سلطات تريم:

وانفرد بني لبعوس بتريم. وكان آل غرامة منهم مسيطرين على كبد البلاد وسوقها وبوابتها الجنوبية، ولهم شوكة لا باس بها وهيبة سارية على بعض القبائل

المجاورة لهم. وبينهم وبين ابن همام صاحب حصن الرناد ما بين أهالي حارتي السوق والخليف من الأحن والعداء. وبين كل من هذين وبين ابن عبد القادر صاحب النويدرة عداوة وبغضاء كذلك.

وكانوا جميعاً يتغايرون فيما بينهم على رعاياهم تغاير التيوس في زرايبها. ويحاول كل منهم أن يظهر لدى فتيان البلاد وفتياتها بمظهر القوة والصولة. فكان لذلك أسوأ تأثير في سير الحياة الاقتصادية والاجتماعية بهذه الأطراف.ومتى نجم العداء بين المتسيطرين صوبّوا سهام انتقامهم إلى الرعايا المساكين، فكان كل واحد من هذه الاقانيم الثلاثة يصب جام غضبه على رعايا الآخر، فبلغ إرهاق الأهالي مبلغاً غاثت منه النفوس وضاقت منه الحواصل، ولما أن كانت طوائف السلطة بتريم ثلاثاً فقد تعددت الجمعة بها مع قربها من بعضها بسبب الفتن بين الطوائف، ففي الحوطة (السوق) بالجامع، وبالنويدرة بمسجد الزاهر، وبالخليف بمسجد الوعل، وذلك لتعذر وصول الناس إلى الجامع وقد و قع هذا سنة ١٢٤١هـ.

وقبيل ظهور الدولة الكثيرية الثانية كان رؤساء السلطات اليافعية بتريم هم: صالح حسين وعبد القادر بالنويدرة. وعبد القوي بن عبدالله غرامة بالحوطة والنقيب ابن عبد الحبيب بن لحمان بالخليف.

عبدالله عوض غرامة:

الشيخ عبدالله بن عوض بن أحمد غرامة هو أمثل من اقتعد أريكة الحكم بتريم وأقواهم شوكة وأبعدهم صيتاً، وكانت قبائل آل تميم المجاورة بضواحي تريم تهابه وترتكن إليه في كثير من مهامها. والرجل على صرامته وفظاظته كان واسع الصدر عظيم الاحتمال لما قد يجابهه به بعض الصادعين بالحق من العلويين. وله معهم وقائع وقضايا تدل على حلمه وعقله تتناقلها الألسنة آثرنا عدم إثباتها هنا لعدم علمنا بمبلغها من الصحة. وستأتي ترجمته في الجزء الثالث إن شاء الله.

هجرة الناس من تريم :

واشتدت الضائقة على الناس بتريم وقُتل ظلماً السيد سالم بن أبي بكر عيديد[1] العلوي صاحب تخميس قصائد القوافي التي تقرأ عادة في ليالي رمضان بمساجد حضرموت فكان لقتله تأثير سيء في الأوساط العامة، ورجّح الناس الهجرة عن تريم إلى الضواحي. فهاجر عدد خطير من بيوتات تريم الراقية وعائلاتها كالسادة آل خرد وآل شهاب الدين وآل بلفقيه وآل الكاف وآل المشهور وغيرهم وهاجر من كبار الشخصيات البارزة جماعة انتقلوا بعائلاتهم إلى الضواحي فحصل بهم فيها نفع عظيم الشأن قلبوا بها حياتها الاجتماعية رأساً على عقب، ووجدوا بها متسعاً لبث آرائهم وإصلاحاتهم. وميداناً رحباً لمناورات ثورتهم ضد الفوضى والاستبداد.

علوي المشهور[2] :

وأول من خرج مهاجراً من تريم السيد العظيم الحال علوي بن محمد المشهور العلوي وكان من العارفين بالله ومن أهل الأحوال اللدنية. وله قدم راسخ في الصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان يشدد النكير على أهل الباطل جهاراً، وكذا على رجال الجاه والعلم من السادة العلويين. وندر أن يعترض عليه أحد. فكان علماء وقته كالحبيب علي بن شيخ بن محمد بن شهاب الدين والحبيب

(١) وذلك سنة ١٢٢٦هـ في محرم.

(٢) الذي ذكره السيد العلامة أحمد بن علي الجنيد في شرحه لأرجوزة السيد عبد الله بن جعفر مدهر – إن السيد علوي المشهور خرج من تريم في الفتنة التي جرت بها بين السيد محمد بن عبدالرحمن العيدروس صاحب ثبي ويافع. قال أنه هاجر إلى ((اللسك)) في مسجد الشيخ أحمد با عيسى أخذ مدة حتى انتهت الفتنة وتوفي بعد ما رجع، ثم ذكر أن وفاته سنة ١٢٠٨هـ.

أحمد ين حسين الحداد والحبيب حامد بن عمر والحبيب حسين بن عبدالله بن سهل العلويين يقابلون إغلاظه عليهم بالصمت.

وكان لا يستدل إلا من القرآن لا من الأخبار والآثار. ويؤول القرآن بتأويل مطابق. وقد بلغت به الحدة يوماً أن قام في مجمع حافل ضم العلماء المذكورين آنفاً وغيرهم فصلى عليهم أربع تكبيرات ولم يعترض عليهم أحد منهم. وقال: وددت لو اعترض علي أحد فأقابله بدليل من القرآن في أربع آيات. وقد صليت على قلوبهم لأنها ميتة، وكان أهل البلد يرمونه بالجنون، وكان يجمع حفاظ القرآن في البلد ويجعل لهم ضيافة في السنة مرتين أو ثلاث.

الحسين بن طاهر:

السيد الحبيب الحسين بن طاهر بن محمد بن هاشم العلوي هو من أوائل السابقين إلى الهجرة فراراً من الظلم فكانت هجرته سنة ١٢٠٨هـ قبل أن يستفحل الطغيان ويعم البلاد، وقبل أن يمتد محيط العدوان المؤلم الذي لا يطاق. قال نجله الإمام الحبيب عبدالله بن الحسين بن طاهر: هاجر بنا الوالد من تريم قبل أن تبدو للعيان كل القبائح الفاضحة بها. وقد عظم علينا أمر الهجرة وشق علينا الخروج إلى الضواحي ولكن من لنا بمراجعة الوالد وهو رجل عظيم الهيبة جداً لا يستطيع أحد أن يراجعه. فقد كان رجال السطوة والسلطة يهابونه، وربما صدفوا عنه في الطريق هيبة منه. ولكنا بعد مضي عشر سنوات من هجرة الوالد بنا عرفنا صحة حدسه وبعد نظره، فقد عظمت المحنة وسادت الفتنة. وأخذت العائلات تهجر تريم الواحدة تلو الأخرى.

قال: - وكان الوالد الحسين ير مي إلى الحِلال ببيت جبير قريباً من ضريح سيدنا محمد بن علوي، ولكنه رأى بالبقعة التي اختارها آثار عمران فانصرف عنها تورعاً قائلاً لعلها قد ملكت. واستبدل بها ((المسيلة)) وكان موضع الدار التي ابتناها بها

وما حولها وصراً لآل الهيج التميميين فرأى رجل صالح منهم أن القمر سقط من السماء إلى ذلك الوصر، فلما امتلك الوالد الموضع قال: هذه رؤيا صدقت.

قال: وكان أهالي تلك البقاع على جانب عظيم من الجهل والغفلة وكان الأكثر منهم قاطعاً للصلاة، وهناك جماعة من السادة العلويين قد اندمجت عوائدهم وتقاليدهم في عوائد القوم وتقاليدهم. فبذلنا جهودنا نحن والوالد والأخ طاهر في تلطيف طباع الأهالي وإرشادهم حتى نجحنا في الدعوة وحصل التأثير النافع.

قلت وكانت وفاة سيدي الحسين بالمسيلة سنة ١٢٢٠هـ ودفن بتريم.

عبدالله بن أبي بكر عيديد:

ومن فحول الرجال الذين غادروا تريم فراراً من الظلم الحبيب عبدالله بن أبي بكر عيديد أخو سالم الشهيد. كان إماماً من أئمة عصره عِلماً وتقوى وهمّة وحجى، وشهامة ونشاطاً، وكان من أكبر دعائم الإصلاح ودعاته. وقد اختاره رجال الإصلاح لوزارة عمر بن عبدالله بن مقيص كما سيأتي وذلك لرجاحة عقله وبعد نظره. وهو ثالث العبادلة السبعة المتعاصرين بحضرموت والذين لهم اليد الطولى في نشر العلم والإصلاح والفضيلة. وهم السادة عبدالله بن حسين بن طاهر وعبدالله بن عمر بن يحيى وعبدالله بن أبي بكر عيديد وعبدالله بن حسين بلفقيه وعبدالله بن علي بن شهاب الدين وعبدالله بن محمد باسودان وعبدالله بن سعيد بن سُمَير.

وللحبيب عبدالله بن أبي بكر عيديد مزية عظيمة في نشر فن التجويد بحضرموت بين العموم يُشكر عليها، وله شعر جيد مستكمل الشروط سترى منه شيئاً عند ذكر دولة بن مقيص.

وقد حكى عن نفسه اضطرابه وتردده في شأن الهجرة من تريم. فقال: ضقت ذرعاً من حوادث البلاد وما بها من الفتن والمحن. وزاد قتل أخي سالم طين التكثيف بلّة وبقيت متردداً بين المكث في تريم وبين الهجرة عنها، وقد ضاق

الصدر جداً من هذا التردد والاضطراب لأن الهجرة لم تكن لدينا بالأمر الهين. فكتبت إلى الحبيب عبدالله بن الحسين بن طاهر أشكوا إليه أوهامي واضطرابي فأشار علي بأن أتناول كتاباً ما مما تصله يدي من كتبي التي في الرفوف ثم أفتحه بدون تزّو قال: فلعل وأن تجد فيه ما ينشرح به صدرك. فمددت يدي فإذا بي تناولت كتاب مقامات الحريري وفتحته فإذا أنا أقرأ قوله:

لا تـــــركنن إلى وطـــــن ... فيـــــه تضـــــام وتمتـــــهن
وارحـــل عـــن الـــدار الـــتي ... تعلـــى الوهـــاد علـــى الفـــتن
واهـــرب إلى كِـــن يقـــي ... ولـــو أنـــه حضـــنٌ حضـــن
وجـــب الـــبلاد فأيهـــا ... أرضـــاك فـــاختره وطـــن

فجد عزمي حينئذٍ على الهجرة وانتقلنا إلى بلدة السويري.

دويلة آل عمر بن جعفر

في أوائل القرن الثالث عشر نجمت بأعلى حضرموت محاولة عنيفة لإحياء دولة آل كثير من سلالة عمر بن جعفر، وهرع إلى نصرتها جماعة من السادة آل العطاس وآل البار وآل الحبشي العلويين. ولم يقصّر الحبيب العلامة أحمد بن عمر بن سميط في نشر الدعاية لهذه الدولة التي علّق الناس عليها آمالاً كباراً في إصلاح مستقبل حضرموت. ولكنه القضاء الحاتم ينظر ساخراً إلى تلك الآمال الخائبة، ويبتسم في أكمامه هازئاً بتلك الجهود الضائعة.

وإليك أسماء سلاطين هذه الدويلة الكثيرية متصلة الأرقام بمن قبلها.

٣٨- السلطان جعفر بن علي

السلطان جعفر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق جاء إلى حضرموت من هجرته الطويلة بجاوه والهند سنة ١٢١٨هـ.

ثم أقام أولاً بهينن وشرع يكاتب الشنافر ونهد وأعيان السادة العلوية، ويبث الدعاة لأحياء دولة آل كثير، وزحزحة يافع عن البلاد.

وأشار عليه بعضهم بشراء عبيد يجندهم للقتال، فاقتنى منهم عدداً غير قليل ثم هجم على شبام وبها يافع فاستولى عليها بعد دحرهم عنها.

ظهور أصحاب البشوت الوهابيين:

ووصل إلى حضرموت لأول مرة أصحاب البشوت وهم آل بن قملا بدو من وهابي نجد جفاة الأخلاق غلاظ الطباع وصلوا إلى شبام ولم يتجاوزوها لأن السلطان جعفر لم يمكنهم من المرور إلى أسفل حضرموت، بل ردهم من شبام فعادوا من حيث أتوا. ثم هاجموا حضرموت مرتين أخريين كما سيأتي.

غزوات السلطان جعفر:

وأرسل السلطان جعفر جيوشه غرباً وشرقاً. فاستولى في الغرب على وادي عمد بأسره وبعض دوعن وحورة والكسر ودخل إلى عمد في موكب فخم وإطلاق رصاص وأراجيز سارة منها قول بعضهم زاملاً:

حيا بسلطان العضيد الموزعة ... من حجر بن دغّار لمان الحناك
حيا بدولة بن عمر بن جعفر ... كم لي ونا تمناك يا نجم السماك

أما في الشرق فاستولى على المواضع الشرقية من سيؤن. وقد استعصت عليه سيؤن وبها يافع فحصرها ودام الحصر عليها نحو سنة فلم يقدر على دخولها فارتحل عنها بعد أن أشاع أنه صالح أهلها وأنه طرح فيها رتباً!

واتجه نحو تريم واستولى على بعض نقط منها وأقام بحصن فلوقة محاصراً تريم ومحارباً لغرامة بعد أن وقع الصلح بين السلطان المذكور وبين ابن همام وابن عبد القادر وذلك سنة ١٢٢٢هـ.

السلطان جعفر ومنصب عينات:

واصطدم السلطان جعفر بمنصب عينات السيد الحبيب أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم وقامت الحرب بينهما. وأرسل الحبيب في طلب جنود من جبل يافع فجاءوا. وامتد أجل الحرب حتى رفع كابوسها عنهم رجال الإصلاح ودبّ الوهن وضعفت همم العساكر من جنده، وأخذ التكاسل والتمرد منهم مأخذاً عظيماً الأمر الذي سبب للسلطان جعفر أسفاً عظيماً أثَّر عليه في صحته، فمرض ومات بالمحيضرة من ضواحي تريم سنة ١٢٢٣هـ.

٣٩- السلطان عمر بن علي

السلطان عمر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر تولى السلطنة بشبام سنة ١٢٢٣هـ بعد أخيه جعفر. والسلطنة في دور الطفولة. وقد نفرت الأقوام المحاصرة لتريم وتشتت شملها، وانحصرت السلطنة في شبام فقط لأن المواضع الأخرى التي كان السلطان جعفر قد استولى عليها انفصلت عن السلطنة.

ولم تطل مدة السلطان عمر، وتوفي بشبام في السنة نفسها، ولذا لم يتمكن من معالجة الأمور وتقوية السلطنة.

٤٠- السلطان بدر بن علي

هو بدر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر. تولى بعد أخيه السلطان عمر ومات بعد أسابيع من ولايته.

٤١- السلطان علي بن بدر

السلطان علي بن بدر بن علي بن عمر بن جعفر ولي السلطنة بعد أبيه.

عودة آل البشوت:

وفي أيامه جاءت أقوام آل البشوت للمرة الثانية وهم آل بن قملا ((تتار الجزيرة العربية)) فقد اكتسحوا القطر الحضرمي بجيش عرمرم من قبائل الدرعية وعاثوا

فساداً في الكسر وهينن وحورة واضطر القبائل من نهد ويافع والشنافر إلى محالفتهم واستباح هؤلاء الدرعيون حضرموت بأسرها وسفكوا الدماء، وجاءوا إلى مسيلة آل شيخ، وحطّوا في الصحراء الواقعة جنوبها وحصروها ورموا ديارها بالبنادق. فأجابهم السادة آل طاهر وآل يحيى بإطلاق الرصاص أيضاً وكان الإمام طاهر بن الحسين يوزِّع البارود على الديار بالفنجان لقلته عندهم. ولكنهم أرسلوا إلى المحاصرين رجلاً من آل باحبة من أتباع السادة المشار إليهم بعد أن ألبسوه لباس أصحاب البشوت حاملاً علماً أبيضاً فأتى إليهم يسألهم عن مرادهم ويهوّل عليهم قوة هذا الحصن (المسيلة) وامتلاؤه بالذخيرة والمؤن، وانتهى الأمر بالمحالفة ورحيل القوم.

ثم دخلوا تريم وكسَّروا قببها وحرقوا كتبها وغرموا أهلها من النقود والأقوات ما لا يقدرون عليه، وحبسوا مناصب الجهة ومنعوا الرواتب والأذكار والتذكير مدة وجودهم وهي نحو أربعين يوماً. ثم انحسروا راجعين إلى أراضيهم وذلك سنة ١٢٢٤هـ.

٤٢- السلطان عمر بن جعفر

السلطان عمر بن جعفر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله هو آخر سلاطين آل عمر بن جعفر تولى شبام بعد ابن عمه علي بن بدر. وهو على سوء تدبيره وضعف إرادته قد امتد زمن دولته إلى سنة ١٢٤٠هـ غير أنها ولاية مكتوف مغلوب على أمرها.

الحالة في شبام:

وقد أصبحت مدينة شبام مرتعاً لأفخاذ الشنافرة يتحكّمون في أهلها بما شاءت لهم أطماعهم وأهواءهم. ولكل فرد منهم حكمه. ولكل فرد سيطرته من دون معقّب ولا وازع.

وتفاقم الأمر واصطخبت أمواج الظلم والطغيان، واضطر كل فرد من سكان شبام أن يجعل له ربيعاً (مجيراً) أو خفيرا يموّنه ويسكِّنه في بيته كأحد أفراد عائلته؛ ولم يقف الأمر عند هذا الحد، إذ لم يغني الربعاء ولا الخفراء شيئاً بل صاروا هم أنفسهم أيضاً يرهقون مخفوريهم بالطلبات الباهظة ويدسون إليهم من القبائل من يتهددهم ويرعبهم حتى يزيدوا في التمسك بخفارتهم ويجيبوا طلباتهم فيقتسموا المغنم مع شركائهم في (المنصف).

السيد ابن سميط:

وعظم الخطب، وضج الناس ولم يعد في الطاقة احتمال هذه الكوارث وطفق الحبيب أحمد بن عمر بن سميط العلوي يصرخ بملء فيه رافعاً عقيرته بالإنكار والنعي على الظلمة ظلمهم. ولكن أنّى يسمع له قول والسفهاء قد استمرأوا هذا المرعى الوخيم، والسلطان وعقلاء القوم يستثقلون ظل هذا الحبيب ويختفون منه إذا أقبل عليهم واعظاً أو منكراً.

الهجرة:

وأشار ابن سميط بوجوب الهجرة فشرع تجار البلد يرحلون عنها إلى حوط السادة العلوية كالحزم عند السادة آل العيدروس، وحوطة السادة آل أحمد بن زين الحبشي وغيرهما. ولم تمض بضعة أيام حتى خلت البلاد من تجارها. وظهر الخراب والتعطيل جليّاً، واضطر بقية الأهالي إلى الاستعداد للهجرة.

السلطان يعقد مجلساً:

وفت ذلك في عضد السلطان ومن حوله من عقلاء الشنافر فعقدوا مجلساً قر قرارهم فيه على أن يرسل السلطان على أولئك المهاجرين عبدالله بن محمد بن مرعي بن طالب يستمليهم إلى العودة ويبشرهم بحسن المستقبل ويطلب منهم نقوداً للسلطان ليستعين بها على إصلاح الحالة.

وذهب الرسول لمهمته وطاف على المهاجرين واحداً واحداً ولكنه لم يظفر منهم بطائل بل عاد بخفي حنين.

الحلف الثلاثي:

وولّدت الظروف العصيبة حلفاً ثلاثياً بين السلطان عمر بن جعفر وآل علي جابر اليافعيين وآل عبد العزيز على إصلاح الحالة وحماية البلاد من المظالم وجعل الأمر أثلاثاً بين المتحالفين. وتكفل ابن علي جابر بإخراج الفخائذ من البلاد قسراً إن لم يخرجوا منها اختياراً.

وأخذت المفاوضات بين الحلفاء وبين المتغلبين تعمل عملها، والسلطان يحاول إقناع هؤلاء بالخروج عن شبام بهدوء وسكون ولكنهم أصرّوا على البقاء بها حتى هجم ابن علي جابر برجاله على الديار. وأخرج القوم عنها. وتنفس الناس الصعداء، وأقام الحلفاء معالم العدل والإنصاف، وبثّوا في البلاد روح الطمأنينة والأمان. وبلغت هذه البشرى مسامع أولائك الملتجئين إلى حوط السادة، وعندما تأكدوا صحتها أخذوا يعودون إلى مقرهم زرافات ووحدانا حتى رجعت المياه إلى مجاريها.

انتهاء دولة آل عمر بن جعفر:

كان آل علي جابر حينما شاركوا في ولاية شبام وضعوا لها رتباً (خفراء) يحمونها من اعتداء المعتدين. ولم يقصّر هؤلاء الرتب في القيام بواجبهم. وحيث أن للشنافر دالة على البلاد، واعتياداً على العبث فيها فقد وقع من بعض صغارهم جرم استوجب الانتقام من رجال الرتب الذين ألجأهم الحال إلى قتل الشنفري - الأمر الذي أهاج قبائل الشنافر وأثار حفائظهم، فلم يسعهم إلا ترتيب التدابير اللازمة وقرروا محو دولة آل عمر بن جعفر التي هي في الحقيقة في نظرهم دولة آل علي جابر. فأقبلوا جميعاً إلى حصن العقاد، وخاطبوا صاحبه عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر في

أن يحيي دولة آل كثير، وأنهم له مسعدون وناصرون، واستفزت الأريحية ابن عيسى مبدر فخف إلى شبام واستولى عليها كما يأتي. وبذلك انتهت دولة آل عمر بن جعفر.

خروج المكرمي :

خرج حسن وهبة المكرمي في النصف الأخير من القرن الثاني عشر وهو من البحرين من جهة عمان – خرج إلى حضرموت وحط على شبام حرسها الله ومعه جيش كبير من نواحي اليمن وطال حصره لشبام واضطربت حضرموت لقدومه وظل الناس في خوف شديد وحارت العقول في شانه. وكان الإمام محمد بن زين بن سميط العلوي يهدئ الناس ويقوّي عزائمهم ويعدهم بالفرج والنصر، وكان يشجع الجند حماة البلاد ويثبِّتهم. وقد كاتب المكرمي وأحسن له الخطاب، وقال له فيه: إن الأولى لك أن تنصرف عن البلدة ما زلت مجللاً مكرماً وإلا فما يدريك ماذا يكون بعد. فرد عليه المكرمي رداً جميلاً. وكان السيد المشار إليه كهفاً وملجأ ومنشطاً للجند الوطني حتى قال بعضهم: لولا الحبيب محمد لاختذلنا.

وكان يقول لهم اثبتوا فالأمر هين دون ما تتوهمون. ولم تطل إقامةالمكرمي تحت شبام بل رحل عنها مكسوراً بعد أن هلك من رجاله العدد الكثير واضطر إلى المصالحة بعد أربعين يوماً.

والرجل أباضي ومعه من الجند نحو الأربعة آلاف، فكان يتظاهر بنصر الشريعة الغرّاء ويدَّعي أنه إنما جاء لمحو سلطة الطاغوت. وكان ذلك في عصر الإمامين العلويين محمد بن زين بن سميط وسقاف بن محمد الصافي. ولما أظهر المكرمي من العدل ونصرة الشريعة كتب الإمام سقاف إلى الإمام محمد بن زين يطلب منه الدعاء للمكرمي والدعاية له، فأجابه إن يك هو على حق فإننا نكتفي في الوقت الحاضر بدعاء المنابر له. يشير إلى قولهم: وأصلح من في صلاحه صلاح المسلمين الخ..

ولكن المكرمي لم يلبث أن أظهر ما هو منطو عليه من الدعوة الأباضية واندفعت جنوده في نهب الأموال وانتهاك الحوط وقطع السبل وإهلاك الحرث. فانقلبت الدعاية ضده ونفرت القلوب منه.

ويقال أن المكرمي كان صاحب سحر وشعوذة وطلاسم: وانه لما حط رحاله تحت شبام وسكن في بعض بيوت السحيل وحار في أمرها اعتزل الناس في موضع وحده وجعل ينصب أعلاماً معه ويتمتم بتمايم ويسطر طلسمات لم تغن عنه شيء.

بدء الجهود العلوية

وما ذكرناه من التلاعب السياسي والفوضى الاجتماعية وما سنذكره، إنما هو جزء من كل وقليل من كثير. ويكفي بعض هذا لأن يحد بالسادة العلوية إلى الجهاد في سبيل إقامة دولة عامة تقضي على تلك الفتن السائدة في القطر وتريح أهلها منها.

ولم يك هذا بالأمر الهيّن على قوم عزَّل من السلاح لا يملكون سوى نفوذهم الروحي وهممهم الصادقة وهي التي تأتي بالعجائب، وتقرب المستحيلات.

الإمام طاهر بن الحسين:

وطال الأمد على السادة العلوية وهم يتلمسون المظان الكافلة بالنجاح في إقامة دولة صالحة بالقطر الحضرمي. ثم قادهم التفكير بعد اليأس من إصلاح دويلات القطر وتوحيد كلمتها إلى مبايعة الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر بن محمد بن هاشم العلوي فاجتمعت كلمة أعيان السادة ورؤساء القبائل من تميم وآل كثير وغيرهم على توليته إماماً. وأن يحمل كل فرد منهم السلاح للنضال عن الحق ونصرة الشريعة. وقامت الحركة على قدم وساق ونشطت الهمم، وتسلّح الإمام

طاهر نفسه ولُقب بناصر الدين. وكان يخطب الناس في الجمعة متقلداً سيفه وحاملاً بندقيته.

ولم يبق للناس حديث إلا في هذه النهضة فمن محبذ ومن مفند. وزحفوا على تريم وحصروها طويلاً لإبعاد الفوضى عنها. وكان يمشي معه من متسلحي السادة العلوية دون غيرهم ثلاثمائة متسلح وقد ليم على حمل السلاح ونبذ مبدأ الفقيه المقدم من كسر السيف وخلع السلاح. فكان يقول: لو حضر الفقيه زماننا هذا لأمر بتجنيد النساء فضلاً عن الرجال.

ميلاد الإمام طاهر ونشأته:

ولد سيدنا الإمام طاهر بن الحسين العلوي بتريم في ٤ شعبان سنة ١١٨٤هـ ونشأ بها نشأة دينية نزيهة بعيدة عن الكدورات والسفاسف وربى في حجر أبيه الحسين. وربما سافر أبوه فتقوم بكفالته عمته أخت أبيه السيدة العريقة في العلم أم كلثوم. وهي التي يقال عنها أنها تجمعت لديها كل شروط القضاء غير الذكورة.

وحفظ الإمام طاهر في طفولته القرآن حفظاً جيداً فكان يقرأه بتجويد تام ولا يكاد يغلط فيه، وكانت عمته أم كلثوم تراقبه وأخاه عبدالله مراقبة شديدة وتحرسهما نهاية الحراسة عن مخالطة الأغيار والأضداد بل وعن الاتصال بهم. فكانت تحتم عليهما إذا ذهبا إلى الكاتب أن لا يذهبا إلا من طريق معيّن ويعودا به نفسه. وأذكت عليهم العيون والأرصاد فألزمت أناساً أن يوافوها بأخبارهما خارج الدار. وكان دخول السوق ممنوعاً عنهما بتاتاً. فترعرع الإمام بتريم طالباً للعلم، متردداً على فضلائها مكبّاً على تحصيل العلوم والمعارف حتى عدا شاباً مهذباً يستضاء بعلمه، ويُقتدى بفضائله ويلتجأ على آرائه.

وفي حدود سنة ١٢٠٨هـ وكان سنه إذ ذاك ٢٤ سنة نقله وسائر العائلة والده الحسين من تريم إلى مسيلة آل شيخ كما مرّ حيث توفي في سنة ١٢٢٠هـ وبزغت

شمسا الإمام طاهر وأخيه عبدالله وأصبحا إمامين يشار إليهما في العلم والفضل والصلاح.

علمه وفضله :

وهنا لا يسعنا إلا أن ننقل شيئاً مما كتبه عنه معاصره الشيخ العلّامة عبدالله بن أحمد باسودان في كتابه شرح خطبة الحبيب طاهر لأنه لم يكتب ما كتبه إلا عن خبرة صادقة ومشاهدة عيان. قال: كان سيدي طاهر آية في الذكاء والفهم جيد الحفظ وافر العقل حسن التصرف في علوم الأثر والرسم كامل الإتّباع لجده المختار وسلفه الأبرار يستمد في علومه ومعارفه من بحره التيّار.

واعلم أن هذا الإمام لم يعن بالتصنيف، ولم يرد من مناهل الجمع والتأليف إلا بعد أن حقق في فنون العلوم الشرعية وزاحم عليها، وشارك في تحريرها رواتها وناقليها حتى صار منطوياً في عدادها دارة عليه بأمدادها مصحوباً عليه بالأعمال الزكية متبعاً فيها الآثار النبوية حتى صارت علومه وأعماله وأقواله وأفعاله متناوبة في التأثر والتأثير ولسان الحال والمقال منه يتعاوران في التعبير إلى آخر ما قال.

قال: وأما إذا ذكرت الاستقامة فهو جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب كما قيل في القائم على الصراط المستقيم أي أنه ذو استقامة لا ينصرف عنها بالكرامة، ولا يلتفت إلى الملامة. فمن شاهد أحوال هذا الإمام علم أن الوصف لازم له لزوم الطوق للحمام.

وكان ملازماً للوسط في جميع أموره معرضاً عما لا يعنيه من أحوال نفسه وغيره مبالغاً في الأخذ بالاقتصاد في الملبس والمطعم على الوجه الأتم. وكان متسربلاً بثوب العفاف حتى يرى أنه من الأغنياء حين يؤثر أهل الفقر والإجحاف.

قال: والحاصل أن هذا السيد الإمام قد تحلّى في ظاهره وباطنه بحلية التقوى وتمسك منها بالعروة الوثقى وصبر على تحقيقها والاتصاف بمعناها صبر المريض

على الدواء كما كان عليه سلفه الخواص سادات الطريقة الصوفية أرباب الخصوصية والاختصاص.

وأما زهده في الدنيا وعزف نفسه عن زينتها وعدم الرغبة فيها وفي جاهها وعزها وسياستها التي تهدف بغرورها للهلاك كل غمر سفيه، فقد جمع ذلك وجعله تحت عقبه وداس عليه. وبالجملة فإنه بما جمعه من مكارم الأخلاق ومحاسن الأوصاف وما أشرق عليه من أنوارها بلا أفول ولا انمحاق صار بحيث يقال أنه أمة وحده وأنه السواد الأعظم والجماعة والحجة والإجمال. انتهى كلام باسودان.

ما كتبه عنه صاحب الشجرة:

كتب جامع شجرة السادة العلوية السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور عند كتابة اسم الحبيب طاهر ما يأتي:- هو أمير المؤمنين الإمام العظيم والحبر الفخيم الداعي إلى الله في سره وإعلانه والمناضل عن الدين بلسانه ويراعه وسنانه، الباذل حاله وماله في إقامة الشريعة، المتمسك من الجد والعزم والتقوى بأقوى ذريعة. العلم العامل النحرير الذي لم يوجد في وقته ولا بعده نظير، فضله مذكور وصيته مشهور. ذا نسك وعبادة، وخوف وزهاده، وكان يبكي من خشية الله الدم بعد الدموع، نشا بتريم وتخرّج بمشايخ عصره وانتفع به كثيرون.

شيوخه ومن أخذ عنهم:

قال صاحب عقد اليواقيت: وسيدنا الحبيب طاهر رضي الله عنه أخذ أخذاً تاماً عن الحبيب أحمد بن حسن الحداد، وولديه عمر وعلوي، ولبس الخرقة منهم. وأخذ عن الحبيب حامد بن عمر، وعن ولده الحبيب عبدالرحمن بن حامد ولبس الخرقة منهما وأخذ أخذاً تاماً، ولبس الخرقة عن الحبيبين العارفين الأجلين عمر وعلوي ابني الحبيب سقاف بن محمد بن عمر بن طه السقاف قرأ عليهما وتردد إليهما وأكثر عن الحبيب عمر وانقطع إليه وتحكم له.

وأخذ أخذاً تاماً عن الإمام الحبيب عبدالرحمن بن علوي مولى البطيحاء تفقه به وقرأ عليه. وأخذ عن السيد عبدالرحمن وعبدالله بافرج. وعن السيدين الجليلين عبدالله وعمر ابني محمد بن سهل ولبس منهما. وكل هؤلاء السبعة أخذوا ولبسوا الخرقة عن الحبيب حسن بن عبدالله الحداد، بل لبس الخرقة الحبيب طاهر من يد الحبيب حسن بلا واسطة، ولبسهما من الحبيب جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، ومن الحبيب عمر بن زين بن سميط. وهما عن سيدنا الحبيب أحمد بن زين الحبشي. واخذ أيضاً عن السيد الفريد فقيه الزمان الشيخ الإمام عبدالله بن أحمد بن عمر الهندوان وهو أخذ ولبس عن والده وعن الحبيب عبدالله الحداد.

وأخذ الحبيب طاهر أخذا تاماً ولبس عن الحبيب عيدروس بن عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه. وعن الحبيب العلامة سقاف بن محمد بن عيدروس الجفري، ولبس من السيد الجليل عيدروس بن عبدالرحمن البار، ومن السيد العارف أحمد بن علي بن أحمد البحر القديمي اليمني، ولبس من الشيخ منصور بن يوسف البديري عن السيد الإمام مشيّخ بن علوي باعبود ولبس من السيد زين العابدين بن علوي جمل الليل المدني. ومن الشيخ الكبير محمد بن عبدالرحمن الكزبري. وهما عن الشيخ حسن بن إبراهيم الكردي، وهو عن أبيه، وهو عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي.

ولسيدنا الحبيب طاهر اجتماعات بالسيد الإمام محمد بن عبدالرحمن الزواوي. والشيخين محمد صالح الرئس، وعمر بن عبد الكريم العطار، والشيخ محمد بن حاتم. وشيخنا وحيد الوقت والزمان عبدالله بن أحمد باسودان. وكل منهم ألبسه ولبس منه وانتفع بهم وانتفعوا به.

مصنفاته:

للإمام طاهر كمية نافعة جداً من التآليف الممتعة من يطالعها يحس في نفسه بزيادة من الخير. ويعرف قدر الرجل وتأثير نفثاته في تلقيح الأفكار. فمن مصنفاته: الخطبة

الشهيرة وكفاية الخايض في علم الفرايض. وإتحاف النبيل بشرح حديث جبريل. ووصيته للحبيب عمر بن زين الحبشي، ومثلها وصايا كثيرة لمريديه كلها نافع. والمقالة الواضحة في جواب السؤال عن الفاتحة ورسالة في تحريم المشط بالتمر الممزوج بالورد كما هي العادة في زمنه. وديوان نظم. وأجوبة كثيرة عن مسائل شرعية. والمسلك القريب لكل سالك منيب. ودعاء أسماء الله الحسنى إلى غير ذلك.

إصلاحاته:

لم يزل هذا الإمام منذ تبوأ ((المسيلة)) مسكناً له شغوفاً بالإصلاح بين المتخاصمين، ساعياً في إطفاء الفتن. ناشراً أعلام الحق حاملاً معوله لهدم الباطل فكم من فتنة درأها، وبدعة أماتها، وهذه مكاتباته نبراس يضئ لنا شيئاً من مجهوداته العظيمة التي كان يبذلها بسخاء وطيبة خاطر، فليطلبها من أرادها. غير أننا لا نضن على قارئنا بأنموذج منها يرتاح به الخاطر، ويزداد به المطالع خبرة بماجريات ذلك الجيل.

بين الكسادي وابن بريْك:

نشات ناشئة فتنة بين الكسادي صاحب المكلا وبين ابن بريك صاحب الشحر واستفحل الشر بينهما، وتضرر الناس. وتعرقل سير القوافل، فتدخل المترجم له بين الطرفين وأرسل مندوبه إليهما يحمل لكل منهما كتاباً نثبت هنا من كتابه لهما ما يلزم. فوصل المندوب ودفع لكل منهما كتابه ثم جرى على الخطة التي قررها الإمام حتى انحلت المشكلة وحصل الصلح.

كتابه للكسادي:

من طاهر بن حسين إلى الصدر الرئيس المقدام النقيب عبد الرب بن النقيب صلاح الكسادي...وأخبار الجهة كما تبلغكم، والزمان مع عدم الشوكة والسلطان. ثم أنه بلغنا ما صار بينكم وبين ابن بريك من الأحوال بأسباب لا توجب هذه الأمور ورجونا خمودها وجمودها لعدم السبب المقتضي لذلك. فتمادى الأمر وتطاول الحال. وأفضى إلى

جمع أقوام وتحمّل أثقال. يهلك تحتها الراعي والرعية وتكبر بها الفتنة، وتعظم البلية وتطول بها القضية. وليس الحاصل على ذلك إلا حظوظ ردية وعدم تدبير بالكلية. ولو سددتم الأمور من أولها وحسمتم مادة الفتنة من أصلها لارتفع الخرق والتأم الفتق. وأنتم تعلمون ما يترتب على ذلك من الفساد وما يؤول إليه من هتك البلاد والعباد، وقد عرفتم ذلك بما سبق من الفتن وما مر عليكم في سابق الزمن. فإن الفتنة ما تحتها طائل، وإنما هي كما قال القائل: تهلِك المال والرجال. والعاقل يدير الأحوال. والحليم يسعى في إخماد الفتن. ولا يحرك منها ما سكن وإذا بدا دخانها، واشتد غليانها، شمّر لإطفائها، وبذل جهده في تحصيل دوائها، ولا يصغي لأقوال العذال، ولا إغراء السفهاء والأنذال، بل يعلم ويتحقق أن العز والفخر في احتمال الأذى والمحن، ودفع السيئة بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، ولا يصلح الراعي إلا بحال الرعية. وأين الصلاح من هذه الآية. لقد هلك العباد والبلاد، وانتشر الشر وزاد.والسبب عدم النظر في أوائل الأمور. فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. والمطلوب بهذا كله بذل النصيحة وأنكم تقبلون ما يعرض عليكم مما فيه يحصل السكون وينسد باب الفتنة كيف يكون.

وهذا المحب الصادق الأود الشيخ سعيد بن محمد رجل مبارك يحب الإصلاح والسعي في أمور الخير ونيته صالحه فيكم، وهو محب لكم ومود في جنابكم إن شاء الله يكون على يديه سد هذا الباب. وأنتم منكم المساعدة بالموافقة والمطابقة، وارموا بالحمية والعصبية، واسلكوا السبيل المرضية، والشفقة بالرعية، تنالوا بذلك عز الدنيا والآخرة. وكل رتبة فاخرة)).

كتابه لابن بريك:

((من طاهر بن حسين إلى النقيب ناجي بن علي بن بريك الصدر المحترم.. ثم أنه بلغنا ما وقع عندكم من الحركة والحادث الباعث بينكم وبين الكسادي

ووجبت علينا النصيحة، وبذل ما تقضيه المحبة والمودة الصحيحة. فاعلم يا محبنا أن الفتنة آخرها قتال. وهلاك المال والرجال، وبتقدير الظفر والكرامة فليس فيها سلامة. بل هي شوم وملامة. وحسرة وندامة. في الدنيا ويوم القيامة. وقد رأيتم ما اقتضته الفتنة السابقة. وما أدّت إليه من الأحوال الشاقة. وما حصل بها من الضرر الكثير، ومن هلاك البلاد والعباد، وتقطّع أسباب المعاش والمعاد. وباقية آثارها إلى الآن كما هو مشاهد بالعيان. والإنسان على نفسه بصيرة. والعاقل طبيب نفسه. وقد قيل: لا يقوم الملك إلا بالجند ولا الجند إلا بالبلاد ولا البلاد إلا بالرعية ولا رعية إلا بحسن السياسة.

وأنتم تعلمون ما تقضي إليه هذه الأحوال من الفساد والتخريب الذي يعي كل طبيب)) إلى أن قال بعد إطناب طويل في النصيحة:

ثم إن محبنا الشيخ سعيد بن محمد بن سليمان الزبيدي رجل صافي الطوية، صالح النية، لا يريد إلا الخير والإصلاح، واصل إليكم لسد هذا الباب وإصلاح ما وقع من الخراب. فليكن منكم الإنصات والقبول والموافقة والمطابقة إلى ما منه الخير يؤول. فما في هذا الشأن غالب ولا مغلوب، ولا طالب ولا مطلوب، ولكن كله عيوب وذنوب، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. والفضل لمن ترك هذه الأشياء ورفضها. والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها. ورفعة المقدار والثناء، والذكر عند الأخيار وأهل البصائر والأبصار. إنما هو لمن عفى وأصلح، وآثر ما هو أنجح وأرجح. يحصل له بذلك العز والوقار. والمهابة عند الأخيار والأشرار. والنعيم المقيم في الدنيا ودار القرار.

وهذا منا أداء النصيحة الواجبة التي يقتضيها الدين وما بيننا من المعرفة والمودة. ونرجو أن تكون لديكم مسموعة. وعلى الرأس مرفوعة.فإن من يدلّك

على رشدك. وما يعلو به قدرك ومجدك، وينهاك عن أسباب الشقاق، ودنيء الأخلاق، هو محبك حقيقة وإن كان أبعد بعيد، ومن يغريك بالفساد. ويفتح لك أبواب النكاد. هو عدوك حقيقة وإن كان أقرب قريب. وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم والسلام.

حرر ١١ ربيع الثاني سنة ١٢٣١هـ.

بين آل مرساف وآل عبد الشيخ:

آل عبد الشيخ وآل مرساف بطنان من تميم، وهما متجاوران في الموقع، ولكل منهما كما لبقية قبائل آل تميم منطقة نفوذ لا تتعداها. تشمل هذه المناطق نخيلاً ومزارع لمتمولين شتّى، وقد جرى العرف على أن لكل قبيلة حق الحماية للأموال التي تشملها منطقتها وتسمى الحماية في عرفهم (شراحه) والمنطقة النفوذ (شايم) وليس للملّاك حق قط في تحويل الشراحة إلى من يريدون.

وقد نجمت فتنة بين هاتين القبيلتين بسبب شايم شراحة لطائفة كادت تنقرض يقال لها آل حمتوش. واجتمع رأي المتمولين في تحويل شراحة هذه الطائفة لآل مرساف. فاعترض ابن عبد الشيخ بحجة أن حمتوش ربيعة وأنه لا يرضى بانتزاع شايمة منه. وطال النزاع حتى التحم القتال بين الفريقين.

فكتب الإمام طاهر إلى آل عبد الشيخ بباعطير كتاباً يشدد عليهم فيه الإنكار ويخبرهم بأن صاحب المال له الحق في ماله. وقد أجابوه بجواب يدل على تعقل كبير وأدب غزير وكظم لمشاعرهم الثائرة يحاولون أن يقنعوا الحبيب طاهر بأن حمتوش تحت رباعتهم وأن انتزاع الشايم منهم يعد خرقاً لرباعتهم، ودوساً لشرفهم يكسبهم عاراً ومذلة بين القبائل. فهم يلتمسون من الحبيب طاهر أن يقدّر ذلك. وأن ينظر آ إلى الطرفين بعين واحدة...

فأجابهم بما لفظه بعد الديباجة:

وبعد فقد وصلنا إلينا كتابكم. ونحن كما ذكرتم نرى الجميع بعين واحدة. ولكن كل من يحب المكارم، ويسعى في خدمة المسلمين. ونصرة الضعفاء والمساكين فهو محبنا وصديقنا كائناً من كان وكل من يسارع إلى الدنايا ويميل إلى سفاسف الأمور. وضر الضعفاء والمساكين فهو عدونا وبغيضنا كائناً من كان. ومن أوثق عرى الإيمان بغض العاصي وحب المطيع.

وذكرتم ابن حمتوش ربيعكم فلا بأس. رباعكم تام. فمن غصبه أو نهبه أو ضربه أو قتله أو ظلمه بأي وجه كان، وجب عليكم القيام لنصرته والمطالبة بحقه من غير ملام ولا حرام.وأما إن كنتم ربعتوه ليتسلط على السادة والمساكين بالضرب والغصب والسب والشتم وإهلاك أموالهم فهذا رباع ما سبقكم إليه أحد من قبائل حضرموت لا يافعي ولا شنفري.

وأنتم أولاد سالم بن عمر، وأبوكم مقدم، ورئيس قبيلة. وله السهم الأوفر في المكارم، والمسارعة إلى الخير، وأفنى وقته كله في الإصلاح، وخدمة أهل البيت والمساكين، ورفع كل باطل منكور. وأنتم لا يليق بكم ولا يحسن منكم إلا اقتفاء آثاره والسير بسيرته. فهذا الذي نحبه لكم ونرضاه إلى أن قال :

استمعوا النصيحة فإني لكم من الناصحين. وأحب لكم ما أحبه لنفسي من الخير. وما أطلت الكلام إلا لأن والدكم كان يستشيرنا ويصغي لكلامنا فمن حق المودة أن نبين لكم ما فيه صلاحكم. ولكم بذلك الذكر الجميل. فإن أنتم ممتثلون لرأينا وقابلون لنصحنا. ووقع كلامنا في بالكم فصِلوا إلينا ونحن نعرّفكم ما يصلح ويخرجكم من الحرج والضيق. وإن أنتم عندكم خلاف فلكل شيء غاية. والله ولي التوفيق والسلام.

طاهر بن حسين بن طاهر

وكأن الفتنة قد تفاقم أمرها واستطار شررها فتدخل في إصلاحها المقدّم ابن يماني رئيس آل تميم فلم ينجح. ورأى أن يعتزل القوم غاضباً ويقف وقفة المتفرِّج. ففاجأه مكتوب من الحبيب طاهر استهله بقله:

الحمد لله ناصر من نصره. إن ينصركم الله فلا غالب لكم كما في الآية المشتهرة والصلاة والسلام على سيدنا محمد حتف الطغاة البغاة العصاة الفجرة وعلى آله وصحبه الكرام البررة. وعلى المحبين الصادقين الرؤساء الصدور الأخوال المقدم أحمد بن عبدالله بن يماني والمقدم عبدالله بن عوض بن عمر بن قرموص لا زالا بنصرة الحق قائمين. ولخذلان أهل الباطل ملازمين آمين.

الموجب من أجل قضية آل باعطير وآل مرساف. قد صار عندكم العلم التام بها والاطلاع الكامل عليها. وقد دخلتم في قضيتهم وسعيتم في إصلاحها، ونبذوا كلامكم وراء ظهورهم. وهذا الأمر إن وقع فيه السكوت والتهاون تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، وانتقام عام من اللطيف الخبير. قال تعالى: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقال تعالى: وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان. إلى آخر ما كتبه.

والكتاب مطوّل وحاصله الحث على إصلاح القضية ولو بالقوة على التحريض على القيام على الباغي.

وجاء الكتاب من المقدم يطلب من الحبيب طاهر أن يكتب لجميع آل تميم ويجمعهم في قسم بلدة المقدم ليصبح بهم آل باعطير. فأجابه الحبيب بما نصه:

إلى الجناب المكرم الرئيس المقدم الصدر عبدالله بن أحمد بن يماني حفظه الله. بعد السلام. وصل كتابكم الذي لنا وللجماعة. وكتبنا لهم وحثثناهم وحرّضناهم وهم واصلون إليك. الخال عوض مشغول بزواج أخيه. قد وصل منه كتاب اليوم

ذكر أنه باينفذ إليكم يوم السبت. ولعل آل تميم يتقدمون. أجبناه بأن آل تميم ما يسيرون إلا بمسيرك وأنت تقودهم وإن شاء الله الجمعة يصلون إليكم. وأنتم صلبوا الكلام، وقوِّموا المقام، واصدقوا وانصحوا، وبالجد والصبر تُنال الآمال، وتصلح الأحوال، وإن نفع الأنام أفضل من الصيام والقيام، وكل يقيمه الله في مقام. والسلام عليكم ورحمة الله وعلى من لديكم كافة.

طاهر بن حسين بن طاهر

وفعلاً اجتمع القوم وشددوا على المتحاربين. وقبِل ابن عبد الشيخ حُكم المقدم بشرط أن له أن ينافذه لدى رئيس قبيلة باجري من الشنافر.

وكتب الحبيب طاهر كتاباً إلى الرئيس بدر بن علي باجري يبيّن له أصل القضية ويستحثه على فصل الحكم بالحق والعدل.

هذه قطرة من بحر طام بعيد القاعة بعيد الجوانب من جهوده الإصلاحية، وعلى هذا فقس ما سواها.

مبايعة الناس له :

وفي سنة ١٢٢٠هـ التهبت نيران الفتن واندلع لسانها المهيب في القطر كله، وأصبح كل من أفراد الأمة خائفاً على نفسه وعلى نفيسه من المال والعرض. وفي ذلك العصر الرهيب أقبل ذوو البشوت آل ابن قملا_ كما ذكرنا في دولة آل عمر بن جعفر _ فعاثوا في الأرض فساداً وكانوا ضغثاً على أبالة. فازدادت الحالة حراجة وتسلسلت الكوارث يتلو بعضها بعضاً.

فاضطرم الإمام طاهر إلى دعوة أولاده ورجال عشيرته وبلدته إلى حمل السلاح والدفاع عن أنفسهم وأموالهم وحرمهم المعرَّضة للخطر، ثم ما لبث مبدأ حمل

السلاح أن انتشر بين كثير من السادة العلوية وعضدهم في الدفاع ونصرة الشريعة جماعة من قبائل القطر.

وجاءت فكرة الثورة على الحالة السوداء التي يكابدها وادي الأحقاف. وقام أعيان السادة وعقلاء العشائر ينددون بها. ويفكرون في القضاء عليها بأيديهم، ويوالون الاجتماعات، ويتداولون الآراء في ذلك. حتى قرَّ رأيهم على مبايعة الحبيب طاهر على إحياء الشريعة المطهرة، والقتال في سبيل ذلك تحت رايته.

أول اتفاق بينه وبين السادة:

في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٥هـ وزِّعت رقاع الدعوة على أعيان السادة العلويين المجاورين فاجتمعوا بمسيلة آل شيخ وبعد الأخذ والرد طيلة اليوم وقَّع الحاضرون على وثيقة الاتفاقية الآتية بنصها وفصها وتوقيعات رجالها كما ترى وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. وحسبنا الله ونعم الوكيل. الحمد لله وبه الثقة والاعتصام، وعليه التكلان. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم نعم النصير والمستعان. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله نجوم الاقتداء وأئمة الاهتداء في كل اوان. وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

(أما بعد) فهذا ما حضر عليه السادة الذين تيسر اجتماعهم واجتمع عليه رأيهم واتفقت عليه مشورتهم. وهم الحاضرون الآن السيد عبدالله بن علوي العيدروس،والسيد محمد بن عبدالله بن يحيى، والسيد عبدالله بن الحسين بن محمد بن شهاب الدين، والسيد أحمد بن علي بن شهاب الدين، وعمر بن أبي بكر بن يحيى، وأحمد بن أبي بكر عيديد وعبدالله بن أبي بكر بن سالم عيديد كلاً منهم عن أنفسهم وعمن رضي من إخوانه وأصحابه وقبيلته ووضع قلمه من سائر العلويين على أنهم يقومون بالحق بينهم على ما قال الله ورسوله وعليهم في جميع الأشياء باللطف

والإحسان من غير عنف واستكبار، وأن الإشارة في ما يتعلق بهم وينوبهم من أمر دينهم ودنياهم وسائر أحوالهم للسيد الشريف طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي على قانون الشرع الشريف واتباع الحق بحسب اجتهاده ونظره وعرفه شرعاً وسياسة. وله المشاورة لمن شاء. ومن أشار عليه بأمر أو استعان في حال به فعليه الامتثال. وإن نابتهم نائبة أو أحدهم من بعضهم البعض أو من غيرهم فكلمتهم واحدة ويدهم واحدة في دفعها بحسب الاتفاق والإمكان وما يليق وما يحسن منهم. اتفق المذكورون. أسوة بسيد المرسلين. وقدوة بالسلف الصالحين. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

أقر بذلك علوي بن محمد بن عبدالرحمن العيدروس. أقر بذلك عبدالله بن محمد بن شهاب أقر بذلك عبدالله بن أبي بكر بن سالم عيديد. أقر بذلك أحمد بن علي بن شيخ بن شهاب. أقر بذلك عمر بن أبي بكر بن يحيى. حضر على ذلك سهل بن عبدالله بن سهل. رضي بما ذكر محمد بن عبدالله بن يحيى. حضر ذلك علي بن أحمد العيدروس. حضر ذلك أحمدبن أبي بكر عيديد. أقر بذلك أحمد بن علوي بافرج. حضر ذلك حسن بن علوي بن عمر العيدروس. حضر ذلك حسين بن مصطفى بن حسين العيدروس. حضر ذلك عبدالله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى. حضر ذلك عبدالله بن حسين بن محمد بن شهاب. حضر ذلك عيدروس بن عبدالرحمن بن علي بن شهاب. أقروا بما ذكر حسين وعبدالله وعمر بن أبي بكر بن حسين عيديد. حضر ذلك حسين بن حسن بن أحمد العيدروس. حضر ذلك جعفر بن زين العيدروس.

الاجتماع الثاني والعهد:

وبعد الاجتماع الأول بأسابيع وقع اجتماع ثان وتقرر فيه التوقيع على ما يأتي بحروفه وتوقيعات رجاله-:

الحمد لله في آخر محرم سنة ١٢٢٦هـ اتفق وحضر السادة الأشراف الآتي ذكرهم من السادة العلويين وكل منهم وضع محضره بيده عنه وعن كل من ينوب عنهم واجتمع رأيهم وانضم شملهم على ما أمر الله بالاجتماع عليه بلسان رسوله صلوات الله وسلامه عليه من التعاون على البر والتقوى. وإعلاء كلمة الله لهم وعليهم وما اختلفوا فيه فمردود إلى الله ورسوله وذوي الأمر منهم وهو من ارتضاه السيد القائم طاهر بن الحسين بن طاهر عند اجتماعهم إليه وأنهم متبعون لما قاله، ومرتضون بمن أقامه، وأن يدهم واحدة لتأييد الحق متتابعون فيه بأحوالهم وأموالهم. ممتثلون لمن أقامه السيد طاهر. أعطوا الله بذلك من أنفسهم عهوده الأكيدة. ومواثيقه الشديدة وهم كما ترى في وجه السطور.

صيغة العهد:

يقول كل واحد منهم: علي عهد الله وعهد رسوله بأني تابع لما قال الله ورسوله وما شملته الوثيقة. وأن أبانا طاهر بن حسين تابعين لما قاله وصرفه واختياره لنا.

حضر ذلك السيد الشريف عبد القادر بن جعفر الحبشي. حضر ذلك ورضي به علوي بن عمر بن سالم الجفري. حضر ذلك السيد علي بن عمر بن أحمد العيدروس. حضر على ما شمله المسطور الشريف علي بن محسن بن عمر العيدروس عفى الله عنه.حضر ذلك السيد حسن بن عبدالله بن علوي الحبشي. حضر على ذلك جعفر بن هاشم بن علي بن أحمد بن جعفر الحبشي. حضر ذلك السيد الشريف محمد بن أحمد بن عمر العيدروس. حضر على ذلك السيد عبدالله بن أحمد بن حسين الحبشي عفى الله عنه. حضر السيد أحمد بن سالم الحبشي. حضر على ذلك السيد حسين بن شيخ بن أحمد العيدروس عفى الله عنه. حضر على ذلك محسن بن علوي بن أحمد بن عيدروس الحامد. حضر على ذلك يحيى بن أحمد بن جعفر. حضر على ذلك السيد الشريف عمر بن شيخ بن عمر بن أحمد العيدروس. حضر على ذلك جعفر بن أحمد بن جعفر الحبشي. حضر على ذلك السيد علوي بن أحمد بن

عبدالله العيدروس. حضر على ذلك حسين بن أحمد بن عمر العيدروس. حضر على ما شمله المسطور العبد الفقير صالح بن أحمد بن جعفر عفى الله عنه. حضر على ذلك علي بن حسين بن عمر بن أحمدالعيدروس. حضر على ذلك عبدالله بن أحمد بن جعفر الحبشي.حضر على ذلك عمر بن حسين مرزق على كافة آل مرزق. حضر على ذلك محمد بن علي بن عبدالرحمن بن شيخ بن شهاب. حضر ذلك محمد بن عبدالرحمن الكاف. حضر على ذلك إبراهيم بن زين بن يحيى. حضر على ذلك الفقير إلى الله محمد بن عبدالرحمن البيتي.

بينه وبين آل تميم:

واجتمع بنو تميم بمسيلة آل شيخ، وتكلم فيهم الإمام. ثم قام الحبيب عبدالله بن علوي العيدروس فتكلم عن وجوب النهضة والثورة ضد الباطل وتداول الكلام جماعة من تميم. ثم قر رأيهم على الاتفاقية الآتية بحروفها:

بسم الله الر حمن الرحيم ((وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون)). الحمد لله الذي أمر بالجمعية والاتفاق فقال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. وزجر عن التنازع والافتراق فقال ولا تنازعوا فتفشلوا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى الله بغاية الإرفاق وعلى آله وصحبه والتابعين لهم على الوفاق. أما بعد فقد حصل الاجتماع والاتفاق بين السادة العلويين بواسطة القائم على طرفهم والنائب عنهم برضاهم الفقير طاهر بن الحسين بن طاهر وبين المحبين الموفقين آل تميم وهم من آل قصير الحتيش بن عمر وعبدالله بن عوض وعلي بن سعيد وأخيه أحمد وولده مبارك وعوض بالحتيش وعلي بن محمد وسعيد وعلي وناصر بن محمد بن سعيد بن علي وعمر بن عثمان وعمر بن أحمد بن غيدان. ومن آل شملان طالب بن عوض وعمر بن عوض وعمر بن عثمان وعوض بن سالم وأحمد علي وعوض دحنان. ومن القرامصة عوض بن عمر وحصر بن

عوض وعبد الحبيب وسالم بن عبدالله علاو وفتح أخيه وعوض أخيه وعوض بن علي وناصر بن ناصر وسالم أخيه وناصر وسالم وعلي أبناء محمد بن علي وسعيد الحمومي وعلي وسعيد أبناء عوض بن علي ومحمد بن أحمد بن هدنة وولده دريس ومحمد بن سالم آل عيسى وسعيد بن أحمد الهيج وسالم علي بن أحمد. ومن آل أحمد بن زيدان علي بن عمر وولده وعوض بن سعيد وأحمد بن مبارك وسالم وعمر أبناء محمد بن علي وسالم بن محمد بن عبوده وسالم بن عوض وسالم بن عبدالله . ومن آل حفي سالم بن عمر بلحفي وأحمد بن علي بن عمر وناصر بن سعيد وعبدالله بن سعيد وعبدالله بن سعيد بن عميران وعبود بن عوض. ووقعت البيعة الأكيدة من المذكورين ومن سيضع قلمه غير المذكورين والعهد الوثيق للسيد طاهر على أنهم نصرته وأعوانه وتبعته فيما قال الله ورسوله وعلى إعلاء كلمة الله وتنفيذ أحكام الشريعة وأنهم مطيعونه ممتثلونه فيما أمر ونهى مما يوافق حكم الله ورسوله يوالون من والى ويعادون من عادى ولا يدخلون في أمر ولا يخرجون منه إلا برأيه ومشورته ورضاه وأن كل ما بينهم من قتل وجرح وفرث ودعوى ومشاجرة في عاداتهم وقبيلتهم قبل التاريخ في كل ذلك صلح وأمان وهدنة سنتين مبتداها من حال التاريخ لا يكون فيها كلام ولا ينفتح فيها خبر وأن كل حادث يحدث بعد التاريخ قتلاً أو جرحاً أو مشاجرة أو شتماً أو غير ذلك من شريف أو قبيلي أو غيرهم فمرجعه ومرده إلى الشريعة وحكم الله ورسوله وأن كل أمر يتوجه من السيد طاهر إلى أحد كائناً من كان فلم يمتثل ولم يفعل فيد الجميع عليه واحدة وأصحابه وغيرهم حتى يفيء إلى أمر الله وينقاد لأحكام الله. وقعت المبايعة من المذكورين على ما ذكر ويد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً. وبيعة المذكورين عن أنفسهم وعمن لم يحضر من أصحابهم وذلك غرة محرم سنة ١٢٢٦هـ ست وعشرين ومائتين وألف.

حضر ذلك الفقير إلى الله عبدالله بن حسين بن محمد بن شهاب الدين. حضر عمر بن أبي بكر بن يحيى حضر ذلك عبدالله بن علوي العيدروس. حضر ذلك عمر بن طه بن محمد بن طه. حضر ذلك طالب بن عوض بن شملان ومن ذكر أعلا من أصحابه آل شملان. حضر ذلك عبدالله بن عوض بالحتيش ومن ذكر أعلا من أصحابه آل قصير. حضر ذلك سالم بن عمر بالحفي ومن ذكر أعلا من أصحابه آل بالحفي. حضر علي بن عمر بلكيك وأصحابه المذكورين أعلا الخط. حضر ذلك عوض بن عمر وجميع أصحابه المذكورين أعلا المسطور. حضر أحمد بن ناصر ومحمد بن سالم ومن ذكر من الفلاهمة أعلا. حضر ذلك علي بن عبود بن سعيد. حضر ذلك عوض بن علي بن يماني بن فلوقة. حضر ذلك سالم بن علي بن أحمد. حضر ذلك يماني بن عوض بن يماني. حضر ذلك عمر بن محمد فلوقه. حضر سعيد بن أحمد بن يماني بن حبراس. حضر عبدالله بن حفيظ. حضر ذلك عبود بن علي. حضر على ذلك شائف بن محمد بن عبدالله بابك عفى الله عنه. حضر ريس بن محمد بلهندي وأخوه ناصر عنهم وأصحابهم. حضر على ذلك عوض بن عبدالله بن مرساف. حضر ذلك أحمد بن محمد بن عبدالله المكنى الغاوي بن مرساف. حضر ذلك علي بن سالم بن فلوقة. حضر ذلك أحمد بن عوض فلوقة. حضر على ذلك سالم بن عمر بن عبد الشيخ وأصناه أحمد وعيسى وولده عبد الشيخ بن سالم. حضر ذلك أحمد بن ناصر بن عيسى. حضر على ذلك امبارك بن عبود بن عيسى. حضر عبود بن سعيد مرساف. حضر ذلك علي بن أحمد بن علي وولده عمر. حضر ذلك سالم بن سعيد بن عبد الشيخ. حضر على ذلك عوض بن عبود مرساف. حضر ذلك يعقوب بن مبارك بن علي . حضر عبدالله بن أحمد يماني.

حاشية تحت المعاهدة:

الحمد لله وحده أما بعد وقع الاتفاق بين آل تميم بمحضر من سيضع محضره وهم ابن قرموص وابن فلهوم وابن زيدان وابن شملان وآل الحتيش. اتفق كافة

المذكورين وتبادوا وتشاوروا على صلح وأمان وهدنة في كل ما بينهم من دم و مال وغير ذلك حسبما في باطن المسطور ومدة الصلح سنتين كاملة تلي السنتين. المذكورة باطناً فيكون أولها غرة محرم سنة ١٢٢٨هـ ثمان وعشرين ومائتين وألف والله الرقيب والحميل عليهم في الوفاء بذلك ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً. جرى ما ذكر بالرضى والاختيار والله خير الشاهدين. حضر ذلك وكتبه طاهر بن الحسين. حضر ذلك عبدالله بن حسين بن شهاب. حضر عبدالله بن أحمد بن يماني. حضر علي بن أحمد بن مرساف. حضر عمر بن عوض بن شملان. حضر ذلك عوض بن عمر بن قرموص. حضر ذلك سعيد بن أحمد الهيج. شهد على ذلك ريس بن محمد بن علي. حضر ذلك الحتيش بن عمر بالحتيش بالقصير. حضر ذلك علي بن عمر بلكيك.

بينه وبين آل كثير:

توجه السيد عبدالله بن علوي العيدروس إلى السرير وشبام نائباً عن الإمام طاهر فعقد الاتفاقية الآتية ننشرها برمتها وتوقيعاتها:

بسم الله الرحمن الرحيم والله على ما نقول وكيل الحمد لله بتاريخ آخر عاشور أول شهور عام ١٢٢٦هـ ست وعشرين ومائتين وألف اتفق السيد الشريف عبدالله بن علوي بن عبدالله العيدروس نائباً عن السيد ناصر الدين طاهر بن الحسين بن طاهر والسلطان علي بن بدر بن محسن قائماً عن السلطان عمر بن جعفر بن علي ومن حضر بحضوره من آل كثير الآتي ذكرهم كلاً عن نفسه وقامت العروة الوثيقة بينهم على المتابعة والكفاية. السيد عمن بايعه والمذكورون عنهم وعن أصحابهم الطالب من الفريقين بيعة المطلوب على الباغي ومخالف الحق بما طلبه من الرجال بما يحتاجونه من النفقة والزانة عدة ومدة أن البادي حدري وعلوي وليس للمبطل تبعه ولا مساعدة من الجانبين. بدا السلطان علي بن بدر بن محسن. بدا حسن بن سالم على آل مسفر. بدا

علي بن عوض وجعفر بن بدر عن آل محمد بن عمر وآل كده. بدا بدر بن علي محمد وبدر بن جعفر بن سعيد على آل سعيد لؤي. بدا بدر بن علي بن سعيد وصالح بن عوض بن عامر وعامر بن سعيد بن جعفر على آل عبد العزيز كل على ربعه. وبدا مبارك بن بدر على آل مرعي. بدا جعفر بن عون وزيمه بن سالمين وبدر بن عوض الصغير على آل عون. بدا محمد بن عيسى على آل عمر بن بدر. بدا عوض بن سعيد بن جعفر بن جعفر بن طالب وعبود بن عامر بن عمر بن طالب وسعيد بن عامر بن سعيد على آل يماني. ومرعي بن عمر بن حيدرة على آل حيدرة. بدا عمر بن حمود وعبود بن جعفر الوعل وعوض بن عمر العاس على آل فلهوم. بدا محمد بن جعفر بن مهري وسعيد بن ريس ومبارك بن عبود وعبود بن عوض على آل مهري. بدا عزان بن عمر وفرج بن علي على آل عبدات. بدا سالمين بن علي وفرج بن سالمين على آل سند. بدا حمود بن بدر وعبد العزيز بن عبود على آل سيف. بدا صالح محمد بن الشيخ على عن آل الشيخ على ما خلا على حسين.

أعطوا المذكورين عروة الله وعهده كما ذكر. كتب ذلك وحضر مبادى من ذكر محمد بن أحمد بن جعفر الحبشي. حضر ما شمله هذا المشروح على المذكورين الفقير إلى ربه علي بن عمر بن أحمد العيدروس. حضر ما شمله المسطور العبد الفقير صالح بن أحمد بن جعفر الحبشي. حضر ذلك جعفر بن أحمد بن جعفر الحبشي.

آل تميم أيضاً:

حدثت بجوار المسيلة حادثة بين بعض رجال آل تميم وبعض أرباب الأطيان من غيرهم ولم يتحمل التميمي الحكم الصادر في هذه الحادثة لأنه حكم خارج عن العرف المألوف بين آل تميم والمتمولين. وتفاقم الأمر، وتباطأ أعيان التميميين في القيام على صاحبهم وإلزامه بالحكم بحسب المعاهدة السابقة بينهم وبين الإمام طاهر.

فعظم الأمر على الإمام وأخذ يحتج عليهم ويوسِّط لهم السفراء وبدأت النفرة تدب بينه وبينهم لو لا أن كبار الأحلام تداركوا القضية وأزاحوا سوء التفاهم عن الطرفين. فوقع الاجتماع ((بمسيلة آل شيخ)) وكتبت بينهم هذه الاتفاقية بحروفها:

بسم الله الرحمن الرحيم إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

الحمد لله الذي حث على المعاونة على البر والتقوى وزجر عن متابعة الشيطان ومطاوعة الهوى والصلاة والسلام على سيدنا محمد البالغ في نصح الأمة إلى الغاية القصوى وعلى آله وصحبه المقتفين سبيله في السر والنجوى. أما بعد فقد وقع الاتفاق بين السيد طاهر وبين آل تميم بعد أن وقع منهم التقصير فيما التزموه وبايعوا عليه وحصل منهم الاعتراف والندم والتزموا الآن بأنهم أتباع وأعوان ونصرة السيد طاهر يأتمرون بأمره، وينزجرون عما زجر وارتضوه ناظراً لهم في أمورهم العامة من كل ما يجمع شملهم ويصلح دينهم ودنياهم وأرضهم ويعلي كلمتهم ويرفع اسمهم يقودهم إلى كل مليح ويذودهم عن كل قبيح وكلمته نافذة وأمره مطاع ثم أن أكبر جريمة وأعظم عظيمة يعلمهم الآن متواطئين عليها حصر الشراحة والبقار في أناس معروفين منهم لا تنتقل إلى سواهم فنهاهم عن ذلك وزجرهم وأمرهم أن ينتهوا عن ذلك وأن يكونوا أهل الأموال أولياء أموالهم في شراحة وبقار وغير ذلك يفتون من شاءوا ويشرحون من شاءوا كل قبيلة في محلها فأجابوه إلى ذلك برضاهم عالمين أن في ذلك الخير والبركة والسلامة من كل هلكة والتزم الشرح بقبول الفتوى والباقون بالدخول عليهم طوعاً أو كرهاً واتفقوا على أن مرد جميع الوقائع والمنازعات إلى ما قال الله ورسوله غير أن جميع المشاجرات والخصومات صغيرها وكبيرها الواقعة بين آل تميم بعضهم البعض وغير آل تميم

لا ترفع إلى السيد طاهر ولا يشوشون عليه بها بل ترفع إلى المنصوب من تحته وهم المنفذون والممضون لأحكام الله إن كان المحكوم عليه من غيرهم. من طلب منه التنفيذ منهم فلينفذ كائناً من كان لا لأحد منهم نسيب ولا ربيع. وإن كان المحكوم عليه منهم فالمنفذ في كل قبيلة رؤساؤها وعقالها الآتي ذكرهم من قدر بنفسه على تنفيذ الحكم أمضاه ومن عجز استعان ببقية آل تميم ولزمتهم إعانته. وعلى أن جميع مؤنهم وزانتهم في سائر حروبهم مع يافع وغيرهم من عند أنفسهم إلا إن وصلت نبذة غريبة أو نابت نائبة وتوجهت المعونة على أهل الجهة فيخرج من كل جهة القدر اللائق بمشورة السيد طاهر ليس لأحد تقديم ولا تأخير إلا بأمره وإن طلب الزكاة وأراد أن يتولاها أو رأى لها مصرفاً لائقاً فيسلمها إليه سائر أهل الجهة هذا ما صار الاتفاق عليه بين السيد طاهر وآل تميم. وأما ما بين السادة وآل تميم فالكل مزمومون بما قال الله ورسوله وإن وصلهم عدو إلى جهتهم فيدهم عليه واحدة وكل من طلب منهم السادة أو آل تميم فيختص بطلبه وإن استعان السادة بهم في نائبة تخصهم فعليهم المعونة وعلى السادة المؤونة تراضى المذكورون على جميع ما ذكر وأعطوا عليه العهود الوثيقة والأيمان الأكيدة والمتحملون والمتكلفون للسيد طاهر بالوفاء لما في السطور: الحتيش بن عمر، وعوض بن عمر بن قرموص، وعمر بن عوض بن شملان، وعلي بن عمر بلكيك وسعيد بن أحمد الهيج، والله الرقيب والحسيب. حضر على نفسه عوض بن عمر بن قرموص. حضر على نفسه حصر بن عوض بن عيسى بن قرموص. حضر على نفسه سالم بن عبدالله علاو بن قرموص. حضر على نفسه عبد الحبيب بن أحمد بن قرموص. حضر على نفسه عمر بن عوض بن شملان، حضر عبدالله بن أحمد بن شملان. حضر علي بن سعيد بن شملان. حضر ذلك الحتيش بن عمر

بلحتيش بالقصير. حضر ذلك محمد بن عمربلحتيش. حضر ذلك سعيد بن أحمد الهيج عن نفسه وآل الهيج. حضر محمد بن عبدالله بن قرموص. حضر ذلك أحمد بن عمر بن زيدان. حضر ذلك علي بن عمر بلكيك. حضر ذلك عوض بن سعيد بلكيك عنه وعن أصحابه. حضر ذلك ناصر بن أحمد بن قرموص. حضر ذلك يماني بن عمر بلجود.

بينه وبين آل جابر :

وأقبل إليه رجال آل جابر طائعين، راغبين. فأخذ منهم البيعة . وزبرت بينهم هذه الوثيقة بنصها: الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أما بعد: فقد حصلت المبايعة والمعاهدة للسيد طاهر بن الحسين من آل عمر بن عيسى وآل عبدالله بن عيسى آل جابر وآل تبيع من سيضع محضره منهم بايع المذكورون السيد طاهر المذكور على السمع والطاعة فيما قال الله ورسوله وعلى أنهم تبعته ونصرته وجنده على إقامة الشريعة وتنفيذ أحكام الله يوالون من والى ويعادون من عادى وعلى أن كل ما بينهم من بعضهم البعض أو بينهم وبين غيرهم من قتل وجرح ومشاجرة فيه سنتين هدنة وأمان لا يفتح فيه كلام وكل حادث يحدث بعد المبايعة والمعاهدة مرده ومرجعه إلى ما قال الله ورسوله وعلى أن من صار منه غيار في شراحة فالفتوى عليه جائزة وبالجملة فكل ما صارت المبايعة من آل تميم عليه فهو فيه مثله جرى ما ذكر كما ذكر منتصف شهر ربيع الأول من سنة ١٢٢٦هـ ست وعشرين ومائتين وألف والله خير الشاهدين والله الرقيب.

نهاية الحركة :

لم تلبث هذه الحركة أن ذبلت أغصانها وخمدت نيرانها، وكان تكاسل بعض الأفراد وتهاونهم وتباطؤهم في العمل بل وخيانة البعض منهم هي العوامل الوحيدة في هدم قواعد النهضة من أساسها، وخنقها وهي لا تزال في المهد.

والحركة هذه وإن تك مشادة على أساس متين من النيات الصالحة. إلا أن ذلك لا يغنيها فتيلاً. ما دامت أعمالها غير جارية على المجرى الطبيعي الملائم لروح ذلك العصر. فزعماء الحركة رجال أئمة صالحون. قد سما بهم نسكهم وتقاهم وورعهم عن المستوى العام. وحجبهم عن سبر كثير من طبائع العامة وأخلاقها وجشعها وتكالبها على الحطام.فحسب أولائك الأعلام أن مجرد العهود كاف في كبح جماح الأهواء، وحمل المتسلحين على القتال تبرعاً واحتساباً، في حين أن عامة هؤلاء لا يعرفون لنصرة الشريعة معنى غير الاستفاضة بأنها ستغل أيديهم عما تعودته من الامتداد في ظلم المسكين والتسيطر عليه.

وإنما عاهد زعماؤهم على ما عاهدوا عليه، إما تأثراً وقتياً من موعظة واعظ، أو خجلاً من لومة عالم، وإلا فهم يعلمون أنهم لا يقدرون على هذا الأمر ولا يستطيعون كبح جماح أنفسهم فضلاً عن أفراد قومهم.

وقد ورد على الإمام طاهر مرة بعض سوّاح اليمن وجعل ينظر معجباً بالإمام وحركاته. ورآه وقد دخل عليه بعض زعماء العشائر، ورأى الإمام يجله ويحتفي به، فلما انصرف الزعيم أقبل السائح على الإمام يسأله عن سبب إجلاله للرجل ثم صارت بينهم المحاورة الآتية:

الإمام – هذا زعيم قومه.

السائح – كم يا ترى عدد من يطيعه من قومه؟

الإمام – كم أنت تظن.

السائح – على الأقل ألفي مقاتل.

الإمام متبسماً – مثل هذا قد لا تطيعه خادمة منزله فلا يستطيع إجبارها. وإنما نعامله هذه المعاملة رجاء أن يعضد دعايتنا بين نظرائه ولو بلسانه.

هذا ويلوح لي أن المال وهو العنصر الأكبر الذي عليه المدار في سير الحركات لم يُنظر إليه بالعين التي يستحقها. ولم يعط مركزه الطبيعي فيها. فانفرط عقد النهضة انفراطاً لم تستطع تلك العقول الكبيرة أن تمسكه. وقد صدق شوقي حيث قال:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم ... لم يبن ملك على جهل وإقلال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا ... رأياً لرأي ومثقالاً لمثقال

وربما أخذ الأسف بخناق الباحث المدقق عند ما يهم بالبحث في حياة الإمام طاهر فلا يجد لكتاب ذلك العصر كثيراً ولا قليلاً من تفاصيل تلك الحركة ووجودها وخمودها غير هذه النتف التي لا تروي للباحث غليلاً ولا تشفي له عليلاً.

آخر عهوده:

يظهر أن الإمام طاهر حينما رأى ما رأى من تباطؤ المبايعين وتخاذلهم، وشاهد من فساد الأحوال ما ينوء بالمشروع ويسبب له الفشل ترجح لديه أن يخلع نفسه من هذه المبايعة ويتزحزح عن موقفه بلطف وحكمة. ويظهر أن القوم كل ما رأوا من أنفسهم تقصيراً فيما بايعوا عليه، وتفريطاً فيما ندبوا إليه آنسوا من الإمام شيئاً من الامتعاض آبوا إلى الرشد وأقبلوا إليه نادمين تائبين. ولما أن تكرر مثل هذا الحال رأى الإمام أن يتخلص من مسئوليتهم بدون عنف فأقام لهم رجالاً آخرين يعالجون قضاياهم، وينظرون في شئونهم وأراحهم وأراح نفسه مما كان يعانيه ويكابده. وإليك هذا العهد الأخير بحروفه:

بسم الله الرحمن الرحيم إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً الحمد لله الذي جعل التحابب والتوادد والتعاضد والمناصرة على البر والتقوى سبب خير الدنيا والآخرة وأقوى وسيلة إلى نيل الدرجات الفاخرة كما جعل الاختلاف والتفرق والمنافرة والتقاطع والتدابر والمهاجرة ينشأ عنها كل حادثة فاقرة ويتولد عنها كل علة باطنة وظاهرة والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تركنا على الشريعة الغراء

الزاهرة. وبيّن لنا أحكامها بالحجج الواضحة الباهرة وعلى آله وصحبه المحيين منها كل سنة داثرة : أما بعد: فهذا ما عهده الفقير طاهر بن الحسين إلى إخوانه من السادة الموالين والمحبين الموافقين التميميين الحتيش بن عمر وكافة من تبعه وكافة آل شملان وكافة القرامصة وكافة آل زيدان وكافة الفلاهمة زادهم الله من التوفيق وأخذ بنواصيهم إلى أقوم طريق. أعلموا وفقكم الله بأن خاطري طيب عليكم وراض عنكم وأنتم في حل من كل تقصير وأنا أطلب منكم طيب الخاطر والرضا والإحلال ثم إن الذي أوصيكم به وأحثكم عليه تقوى الله تعالى فإن خيرات الدنيا والآخرة بها منوطة ورحمة الله ورأفته على القائمين بها مبسوطة وهي الائتمار بما به أمر والانزجار عما عنه زجر فمن سلك سبيلها فاز وغنم ومن حاد عنها هلك وندم فتماسكوا وتعاونوا على سلوك هذه السبيل ولا تميلوا عنها فيا خسارة من عنها يميل واعلموا أن رأسها وعمادها الصلاة إذ هي عماد الدين وعلامة فارقة بين الصالحين والطالحين بل بين المؤمنين والمنافقين فمروا بها نساءكم وأولادكم وصغاركم وكباركم وأهل محالكم وقوموا عليها فيها المقام التام إذ هي أعظم شعائر الإسلام فلا دين لمن لا صلاة له وازجروا تاركها بأشد الزجر وشددوا عليه في هذا الأمر وأحثكم على التعلم والتعليم وعمارة الوقت بالمدارس والعناية بطلب العلم في كل حين فطلب العلم فريضة والعبادة بدونه ميتة أو مريضة خصوصاً أنتم أيها الإخوان من السادة احملوا أولادكم وصغاركم على الطلب وفرِّغوهم له فإنه نعم الأدب وهو دين أهلكم الماضين وحلية سلفكم السابقين واللاحقين وأوصيكم أيها القبائل بمحبة أهل البيت وإكرامهم وإجلالهم والقيام بحقوقهم وبذل الوسع في محبتهم ومودتهم المفروضة على كل إنسان بنص القرآن وأنهم بضعة الرسول وسلالة البتول الحذر من أهانتهم والاستخفاف بهم فإن ذلك يسخط الرحمن ويسرع بهلاك الأديان والأبدان وكذلك بقية المجاورين

قوموا بحقوقهم واجبروا خواطرهم واحتملوا زلاتهم وأوصيكم وأحرضكم وأحثكم على التوادد فيما بينكم وتصفية القلوب من الأحقاد والضغائن وجمع كلمتكم على نصرة المظلوم وردع كل جاهل غشوم والقيام بحماية الجهة والذب عنها والسعي في صيانتها وأمانها ورد كل حادثة جلّت أو قلّت إلى ما قال الله ورسوله وأنفذوا حكم الله على القوي والضعيف فبذلك تنحسم مواد الشرور فإن خير الدنيا والآخرة على حكم الله يدور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا وقد جعلت الحتيش بن عمر، وعمر بن عوض، وعبدالله وعلي ابني عوض بن عيسى وسالم عبدالله علاو، ومحمد عبدالله ، وسعيد بن أحمد الهيج، وعلي بن عمر بلكيك، وريس هند، وناصر بن محمد، وأحمد بن ناصر، كل واحد من هؤلاء قائماً وحاكماً على قبيلته وأهل محلته يكفّهم عن الإثم والعدوان ويحملهم على الحق في كل شأن. والوالد عبدالله بن علوي والأصناء علوي بن عبدالرحمن وسالم بن أبي بكر وأحمد بن علي محلي ومقامي في كل حادثة ومعضلة في الجهة يجمع هؤلاء الرؤساء من القبائل مع هؤلاء الأعيان من السادة وما رأوه صالحاً ولائقاً يصرفونه وينفذونه وعلى الباقين الامتثال والاستماع لما أشاروا إليه.

هذا ما عهدناه إليكم ونحبه ونرضاه لكم وفيه فوزكم ونجاحكم وصلاح دينكم ودنياكم فمن امتثل الوصية وقبلها بقوة ونية فاز بكل أمنية في أموره الدينية والدنيوية ومن أبى واستكبر وتمادى وأصر فقد خان الله ورسوله ونقض العهد والذمة وتعرض لسخط الله وعقابه آجلاً أو عاجلاً وحسبه الله والله يقول الحق ويهدي السبيل. انتهى.

عمله اليومي:

يقوم الإمام طاهر من النوم سحراً ويشتغل بالصلاة والدعاء ومراقبة الباري إلى الفجر. ثم يستمر في أوراده الدينية فلا يُنْقِص منها شيئاً عما حرره في كتابه المسلك القريب صباحاً ومساء بل يزيد من التلاوة والتهجد ما لم يذكره هناك.

ويتناول فطوره إن لم يكن صائماً عند الإشراق من فنجان أو فنجانين من القهوة الممزوجة بالسكر والزنجبيل وقطعة من خبز البر. ثم يخرج بعد صلاة الإشراق فيطوف على مزارعه ومغارس نخله ويحادث المزارعين والحرّاث بما يناسب. ثم يعود على منزله ويأتي إليه الواردون من كل الطبقات فيقابل كلاً منهم بما يلائم حاله.

ومن عمله كل يوم خياطة كوفية واحدة وربما زاد عليها وكتابة قرطاس واحد من قطع النصف وربما زاد عليه. وكان يقول لا أخشى الفقر وفي يدي الكتابة والخياطة وكان قوته الخاص من عمل يده.

وتجتمع العائلة صغاراً وكباراً ضحوة النهار على قهوة تطبخ بينهم فيحضر هو آخرها ويتحدث معهم حتى ينتهوا من احتسائها. ثم ينهض لصلاة الضحى ويُقَدَّم له طعام الغداء فيتناوله غالباً بمعية أخيه عبدالله إذا لم يكن هناك ضيوف.

ويذهب إلى المسجد الذي ابتناه أبوه شمالي دارهم فيصلي الظهر وكذا يفعل في جميع الصلوات المكتوبة.

وفي العشية يتفرّغ للتدريس والإرشاد وهدي العباد لصلاح المعاش والمعاد. نفع الله به.

وفاته:

توفي الإمام طاهر بن الحسين وله من العمر سبع وخمسون سنة قضاها في محاولة تأييد الشرع الشريف بهذه الأقطار، وإعلاء كلمته. فلم يزل رحمه الله مجاهداً في سبيل ذلك لساناً وسناناً وروحاً وبدناً حتى أدركته المنية سنة ١٢٤١هـ ودفن بمسيلة آل شيخ رحمه الله ونفع به.

اتصال العلويين بمحمد علي باشا:

وانطلق السادة العلويون فكاتبوا محمد علي باشا وكان قد نال خديوية مصر، فاستنجدوا به راجين منه أن يمدهم بجيش يدوخ البلاد ويقيم لها والياً عدلاً. ولكن محمد علي لم تسمح له ظروفه بإنالتهم البغية على أنه لم يقصِّر في مكاتبة بعض رؤساء

القبائل بحضرموت مفاوضاً إياهم في هذه القضية. وأصدر فرماناً للمقدم علي بن عمر بن قرموص بإشارة من السادة العلويين ليكون والياً مؤقتاً لأنه ذو بصيرة وعشيرة. وأخيراً خابت الآمال من هذا الباب الذي طرقوه.

اتصالهم بإمام اليمن:

وحسبوا أن إمام اليمن سيسعفهم بما تطمح إليه أمانيهم من إصلاح حضرموت وتخليصها مما هي فيه من البلايا والرزايا. ففاوضوه مكاتبة وسفارة فلم يجدوا لديه إسعافاً ولا رغبة فيما فاوضوه فيه. وقد جاء في أثناء مكاتبة من الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر لأخيه الأكبر طاهر بن الحسين ما يشير إلى ذلك. قال:-

((.... والقبائل طلعوا يوماً إلى تحت البلاد وظل حرب مدة ذلك اليوم، ولا أحد به شيء. ويظهر من الحالة أنهم إلى زيادة.

والإخوان نظموا رأياً وذلك بأن يكون من تحت إمام صنعاء لأنه قريب المنال. وحضرموت عمدة دولتهم فقد ضاع ملكهم من حين أضاعوا حضرموت. وتأتيه سهلة من غير تعب لا عليه ولا على أهل الجهة. الله يختار ما هو الخير. وأنتم خذوا الأمر بالأسهل. دع المقادير تجري في أعنتها. ولا تضع وقتك من غير طائل. والسعي في صلاح المسلمين واجب وأي واجب ولكن

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه ... وليس عليه أن يساعده الدهر

فإن رأيتم كلام الرجل ليس له جدوى ولا ثمرة فاقطعه رأساً ولا تشغل به قلبك ولا لسانك البتّة...))

الحالة في شرق حضرموت

منصب عينات و ابن يماني:

للحبيب السيد أحمد بن سالم بن أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم منصب عينات عزة نفس وإباء، ولا يقعقع له بشنان ولا يهدد بسنان، ولا يغمز له جانب، ولا يداس له حمى، فهو أشم الأنف أبي النفس نزاعا إلى الحروب ميالا إلى القتال، وقد أمضى أكثر أيامه في الحروب لا يكاد يخلص من حرب إلا يتورط في أخرى، وهو مع هذا كان عابدا ناسكا عظيم المجاهدة والعبادة يقوم الليل ويصوم الأشهر الحرم ويحب العلم وأهله و يجلّهم كثيرا.

وفي أوائل العقد الرابع من القرن الثالث عشر نشبت الحرب الضروس بينه وبين المقدم عبدالله بن أحمد بن يماني من جراء الحصون المسماة بالغرفة واللواتي خارج بلدة قسم،واستمرت هذه الحرب نحو سبع سنوات تضرر الناس منها أي ضرر، وجند كل منهما جنودا من المقاتلة عادت عليهما وعلى غيرهما بالخسارة والدمار.

كيف كان سير الفتنة والحروب:

وفي أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٧هـ أقبل جماعة من أتباع المنصب من جبل يافع يسوقون أغناما إليه تجيء له كل عام، وبصحبتهم أشخاص من السادة القاطنين بحبان، ولما أن وصلوا عينات توجه بعض الأتباع إلى تريم لقضاء غرض لهم فلقوا تحت ديار باعطير نفرا من آل يماني الذين أسرعوا فأطلقوا الرصاص على الأتباع المساكين فقتلوا واحداً منهم وجرحوا واحداً، ووصل الخبر إلى المنصب فلم يعمل شيئا في حينه، وعظم الأمر على السادة الذين جاءوا من حبان فكمن منهم اثنان خارج عينات حوالي خفرة حتى مر بهم بعض آل عثمان من أصحاب المقدم فقتلوه وذلك في ١٩ محرم سنة

١٢٣٨هـ ثم اتجه أولئك السادة إلى تريم ومنها إلى شبام رأسا وهناك وجدوا قافلة متوجهه إلى بلادهم فصحبوها.

انتقام آل عثمان و ابن يماني:

وتحزب آل عثمان وابن يماني وصمموا على قتل ابن المنصب أحمد بن سالم وكان ابنه هذا يتعود الجلوس كل ليلة بعد المغرب على مصطبة لدار أبيه في حارة النخر هو وجماعة من أصحابه، ففي ليلة الأحد لثمان عشرين خلت من المحرم سنة ١٢٣٨هـ بعد المغرب وصل رجل من آل يماني ووقف أمام المصطبة وعليها السيدان أبو بكر بن أحمد بن سالم وعمر بن صالح وأطلق عليهما الرصاص فسقط السيد عمر بن صالح شهيدا رحمه الله.

استنجاد المنصب بيافع:

وكتب المنصب إعلاما ليافع تريم واستنجادا بهم فهرع منهم جماعة من مواليد الجبل ومواليد حضرموت نحو ثلاثين شخصا وأقاموا بعينات، وبعث المنصب أيضا ولديه أبا بكر وسالما إلى الشحر والمكلا يستنجدان بمن فيها من يافع، وكأنهما لم ينجحا في مهمتهما لان القوم بالثغرين ظهر عليهم شيء من التردد والتكاسل، وكثرت بينهم وبين المنصب المكاتبات من غير طائل، وأقبلت يافع سيؤن نحو ثلاثين شخصا من أعيانهم وعقلائهم، وصارت يافع تريم تغزو غزوات صغيرة وتهاجم قسم وضواحيها وتقتل وتنهب.

وذهب المنصب إلى تريم وجمع يافع بها ووحد كلمتهم، ثم نفذ ابن عبدالقادر إلى ريدة الصيعر فجلب منهم مائة شخص، ومر بسيؤن وجلب منهم رجالا وذلك في محرم سنة ١٢٣٩هـ.

مهاجمة ابن يماني لعينات:

وجمع بن يماني أقواماً من أهل الباطنة ورجالا من المناهيل نحو المائتين وهجم بهم على عينات، وفي هذه الهجمة الأولى قتل مملوك لسالم غرامة اليافعي وهجم ثانيا فأصيب الحسين من أولاد غرامة أيضا.

ثم عمل ابن يماني تدابير حربية ناجحة فهجم على عينات من جنبها النجدي، وجعل ليافع كمينا حتى إذا خرجوا لرد الهجوم وأمعنوا في البعد عن البلاد خرج عليهم الكمين وركب أكتافهم فقتل منهم رجل من آل الشيخ علي وقطع رأسه، وقتل رجل آخر من الجهاورة ومملوك لحسين بن عامر وغير هؤلاء أيضا.

يافع تغزو شرقا:

ووالت يافع غزوها شرقي عينات فغنمت من المناهيل أغناما كثيرة عددها ثلاثة آلاف نسمة، وقتلت أربعة أشخاص وسلبت سلاحهم وذلك حوالي حصن (العر) على طريق قبر هود، وبعد ذلك جعلوا منهم كمينا تحت قسم حوالي بير الكبش.

المنصب يجلب جندا:

توجه المنصب إلى سيؤن وشبام وغاب من عينات نحو شهرين ثم عاد ومعه مائتا مقاتل من يافع آل الضبي و الموسطة فمروا بتريم وأقاموا بها أربعة أيام ثم شخصوا إلى عينات وقرروا الحملة على (قسم) غير أن عبدالله عوض غرامة لم يرض بذلك وصدهم عن هذا الرأي.

دخول أحمد بن عبدالشيخ في الفتنة:

وكان آل عبد الشيخ سكان باعطير في أول الأمر محايدين ثم انحازوا إلى جانب ابن يماني، والسبب في ذلك أن صاحب باعطير كان صليحا ليافع وصادف أن أبق عبد من عبيد يافع سيؤن ووقع في باعطير فأخذه آل عبد الشيخ و أرسلوه إلى (قسم) وعز ذلك على يافع واتفقوا على أن يلزموهم بقيمة العبد، وقد نال أحمد بن عمر بن عبد الشيخ نصف الخسارة، فما رضي أن يدفع وذهب إلى ابن يماني وحالفه واستجلب منه رجالا شحن بهم كوتا (طابية) له وجعل فيه من المؤونة ما يكفي مدة طويلة، وفي الكوت نفسه بير محفورة أقبلت يافع وحصروا الكوت ثلاثة أيام، وفي

اليوم الرابع انسل الرجل ومن معه من الكوت وتركوه فارغا، وأحست يافع بذلك فاستولوا عليه ثم خربوه ودفنوا بئره وذلك في رجب سنة ١٢٣٩هـ.

الاستيلاء على غرفة المقطع:

وهجمت يافع على غرفة المقطع التي بالعرض الشرقي على طريق هود فوق النقرة واستولوا عليها ولم يجدوا بها أحداً من رتب ابن يماني سوى شخصين نجيا بأنفسهما، ولم يظهر من صاحب قسم أقل حركة أو مبالاة لأنه كان إذ ذاك خلوا من الجند ما عدا رتب قسم، وبعد أن استولت يافع على المقطع قرروا بناء أربع طوابي على مسقى المقطع ثم شحنوها بالرجال والمؤن وعاد الكثيرون من يافع إلى بلادهم.

وقعة البضيع:

ولكن المقدم ابن يماني انتهز فرصة عودة يافع أوطانهم، فأنفذ جماعة من قومه إلى المناهيل وبعث معهم ثلاثمائة ريال فاستجلب منهم نحو مائة مقاتل وأضاف إليهم رجالا من تميم.

ثم بعد استكمال عددهم أعد كمينا مهما (بالبضيع) و أوعز إلى رجال من جنده يناوشون يافع القتال فخرج جماعة من يافع لقتالهم فتقهقر المناوشون إلى البضيع حيث الكمين، وتبعهم اليوافع ولم يشعروا إلا بالكمين وقد حف بهم وفعل فيهم الأفاعيل وانذعروا وقتل منهم خمسة عشر شخصا، وكثيرون من الجرحى، وانتزعت الأسلحة من القتلى والجرحى، فممن قتل من المرافدة محمد حسين بو طلع وثلاثة من العبيد وثمانية من يافع الجبل وواحد يقال له بامزيود من بني لبعوس، وجوهر عبد ناجي، وقطعت رؤوس بعض القتلى وأخذت إلى (قسم) وكانت هذه الوقعة يوم الجمعة ٢٣ شعبان سنة ١٢٣٩هـ.

عودة الغرفة والطوابي إلى المقدم:

واستفحل شأن المقدم لا سيما بعد رجوع الكثيرين من يافع إلى بلدانهم وقدوم المناهيل إلى المقدم، وقد كتبت يافع إلى أصحابهم بسيؤن وتريم يطلبون النجدة

ويستحثونهم على الإسراع لأن الاكوات (الطوابي) وغرفة المقطع أصبحن مشرفات على السقوط في يد المقدم، ولكن أولئك لم يحصل منهم غير التواني والتردد.

وضاق رجال الأكوات ذرعا ولم يبق فيهم رمق للصبر فخرجوا منها كلهم لخمس خلون من رمضان ١٢٣٩هـ وبقيت الغرفة حافظة نفسها على مضض وحصرها المقدم حصرا شديدا، وأخيرا صارت المفاوضة بين المقدم وحامية الغرفة على أن يخرجوا بدون أسلحة غير عمر أحمد السبيلي فله أن ينجو بسلاحه لأنه هو الواسطة في المفاوضات، فخرجوا بعد أن أجارهم بوجهه أحد آل عثمان وكان عددهم ١٣ شخصا منهم ثلاثة من لبعوس وتسعة من سيؤن ومن الغرباء الذين جلبهم المنصب من يافع.

دويلة آل عيسى بن بدر

وتنطق عيسى م بدر بقلب الباء والنون من (بن) ميما ساكنة. تأسست بشبام سنة ١٢٣٩هـ على انقاض دويلة آل عمر بن جعفر كما مر وأول سلاطينها هو:-

٤٣- السلطان عمر بن جعفر بن عيسى م بدر

هو السلطان عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر بوطويرق صاحب (العقاد) قدم من جاوة سنة ١٢٣٠هـ وجعل ينظر من كثب إلى ماجريات شبام وفوضاها ولما أن أقبل عليه الشنافر وأجمعوا على توليته سلطانا أظهر الارتياح لذلك غير أنه صارحهم بطلب العهد و الميثاق على بذل مجهودهم في سبيل تعزيزه هذه الدولة، فلم يكن منهم إلا الموافقة على ما طلب.

أرزاق المحاربين :

وقد دفع من ماله الخاص عطايا المحاربين من الشنافرة، قيل أنه دفع أول قسط ألف فرانصة مقدما حين الاتفاق، ودفع ثاني قسط ألفا أيضا أثناء حصار شبام ودفع الألف الثالثة بعد الاستيلاء على شبام.

آل الضبي ومساعدتهم:

ولم يغفل عمر بن جعفر بن عيسى م بدر أن يخطب وداد آل الضبي اليوافع فقد أوعز إلى من يجس نبضهم شفاها بسيؤن بخصوص الرغبة في مساعدته على حرب شبام وانتزاعها من أحضان الحلفاء فإذا القوم من أشد الناس رغبة في ذلك فكان يكتب إليهم ويجيبونه بالإيجاب، ثم ما عتمت الاتفاقية أن أبرمت و أرسل آل الضبي رجالهم ومعونتهم المادية إلى العقاد.

الإنذار بالحرب:

وأرسل ابن عيسى م بدر إلى الحلفاء ينذرهم بالحرب إذا هم لم يرفعوا الرتب عن شبام ويتخلوا عن دولة آل عمر بن جعفر، فما كان من هؤلاء إلا الإعراض والاستخفاف بهذا الإنذار المجحف.

حصر شبام:

ولم يلبث المتجمهرون أن تجمعوا حول شبام وبالغوا في حصارها فلم يمكنوا أحداً مهما كانت مكانته في الوجاهة والنفوذ من الدخول إلى البلاد أو الخروج منها.

ولم يتأثم المحاصرون أيضا من إتلاف ما وصلت إليه أيديهم من الثمار والزروع المغروسة تحت المدينة، ولم يتأثموا قط من أن يمدوا أيديهم إلى الأضرار والإفساد والتخريب الذي لا يجيزه العرف ولا توافق عليه الآداب.

دخول البلاد:

واستمر حصار شبام شهرين و القوم متيقظون لأدنى مار، وأقل عابر، وضعف الجانب الشمالي من شبام عن المقاومة فسقط في حجور المحاصرين، ودخل السلطان عمر بن جعفر بن عيسى م بدر شبام من هذا الجانب واستولى على جزء منها نحو النصف فترك حرا للداخلين والخارجين وبقي النصف الآخر محصورا.

تسليم السلطان:

وطالت المضايقة على السلطان عمر بن جعفر بن علي وأصحابه، فلم يستطيعوا أن يتحملوا أكثر مما تحملوا فجمع السلطان أصحابه واستشارهم في الأمر وأجمع رأيهم على الخروج من البلاد وتركها لابن عيسى م بدر وذلك سنة ١٢٣٩هـ.

توفي السلطان عمر بن جعفر بن عيسى م بدر بشبام سنة ١٢٤٣هـ.

٤٤- السلطان منصور بن عمر

منصور بن عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق ولد حوالي سنة ١٢٢٥هـ بجزيرة مادورا إحدى جزر اندنوسيا وتولى سلطنة شبام وهو صغير بعد وفاة أبيه وذلك تحت وصاية عمه عبدالله بن جعفر الذي اعتزل الولاية عند ما أنس الرشد في ابن أخيه، ونما منصور فتى عبقريا جبارا مغرما بالسلطة والقسوة، ولوعا بالقهر والسطوة، ميالا إلى الحرب والبطش فابتدأ ولايته بشراء العبيد المقاتلين حتى جمع نيفا وستين عبدا.

تذكرة الحبيب حسن بن صالح الجفري:

وانهالت على السلطان منصور بن عمر الرسائل العلوية من كل صوب وكلها يحتوي على الإرشادات المعاشية والمعادية، والنصائح الدينية والدنيوية، وقد اخترنا في هذا المختصر أن نقتصر للقارئ من تلك الرسائل على تذكرة الحبيب العلامة حسن بن صالح الجفري العلوي نفع الله به ننقلها بمثابة أنموذج لاختصارها وأهمية موضوعها قال:

تذكرة من الفقير إلى ربه الحسن بن صالح البحر الجفري للسلطان الموفق إن شاء الله منصور بن عمر بن جعفر، أن ترحم من ولاك الله عليهم وتشفق بهم وتصطبر وتحتسب وتثق بوعد مولاك الصادق أن يرزقك من حيث لا تحتسب وتسير مع سيرهم معاملة من الله وابتغاء ثوابه العظيم وقد أضرت بهم الحاجات

ووصلتهم المكربات من فوات أموالهم وانقطاع سبيلهم وأسبابهم، فأنت إن صبرت واحتسبت فانا بشيرك بنيل ما تبتغيه، ودفع ما تختشيه، فعسى تقبل هذه النصيحة بهمة علية، ونفس أبية، فما وعدناك إلا بوعد من لا يخلف الميعاد وهو المستعان فإن الأجر بعد الصبر قال تعالى ((إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)) وفقك الله بهدي الرسول وبلغك كل مأمول وسول انتهى.

يافع الموسطة :

اخذ منصور بن عمر يتحكك بيافع الموسطة ويناصبهم العداء حتى تضايقوا من أذاه مضايقة حملتهم على شن الغارة على (شبام) ففي سنة ١٢٤٩هـ هجمت يافع الموسطة على البلاد وذعر الأهالي من طلق الرصاص بغتة، ولم يشعر الناس إلا بالحملات على الديار ومساكن الأهالي وكسر كثير من أبواب الديار وخلع بعضها وتواثب عبيد منصور بن عمر إلى منازل البلدة فاحتلوا بعضها واحتلت يافع البعض الآخر ومنصور في الحصن متقلدا بندقيته يصدر الأوامر لعبيده ويحرضهم وربما أطلق هو بنفسه الرصاص من مشاويف[1] الحصن.

لطف منصوربن عمر :

حكى لي بعض المعمرين من العبيد وقد رآه في ذلك الموقف العصيب قال: كنت إذ ذاك طفلا تربيت في منزله فدخلت عليه يوم الحملة وبيدي رسالة أعطانيها بعض من في المحضرة السفلى لأبلغها للسلطان، فكأني أراه الآن وهو مكب على المشواف يصوب بندقيته للخارج، وبعد أن فرغ من مهمته التفت نحوي وتناول مني الرسالة وهو ملتحف بصبيغة سوداء في يوم شات ولا أنس

(١) المشواف : هو كوة صغيرة أو ثقب نافذ في الجدار يوضع فيه عنق البندقية ويطلق منه الرصاص

لطفه في ذلك اليوم الهايل إذ ابتسم في وجهي وقال لي وهو ممسك بطرف أذني أبوك خير الله؟ قلت نعم، قال كن أسدا مثله.

واستولت الموسطة على نصف البلاد وتطاولت إلى النصف الآخر ولكن الصلح وقع بين الطرفين على إيقاف الحرب وأن يبقى نصف شبام بيد الموسطة في مقابل دراهم معلومة تدفع أيضا لمنصور. ويبقى النصف الأخر بيده وهدأ الناس بعد ذلك وعم السلم.

منصور والشنافر:

لم تكن العلاقات بين منصور والشنافر في ذلك الوقت حسنة، فإن منصورا يرى نفسه غنيا عنهم بعبيده وقوته، وهم يرون فيه أنانية وعجرفة لا تطاقان ولا تحتملها نفوسهم وإباؤهم.

أما وقد أتيح لمنصور أن يكون مركزه بين صخرتين قويتين يافع والشنافر – فقد رأى أن يستثمر هذا المركز فيضرب هذا بذاك أو على الأقل يستعين بزيد على بكر مرة ويستعين ببكر على زيد مرة أخرى بحسب ما تمليه عليه الظروف.

قتل حمود بن عبدالعزيز:

حمود بن سعيد بن عبدالعزيز من أعيان الشنافرة، وله مكانة عظيمة ليس في قارة آل عبدالعزيز وحدها بل في السليل بأجمعه، بيد أنه كان قوي الإعجاب بنفسه وعشيرته، ملابسا لإرهاق العزل من الناس وظلمهم، وقد أصبح أهالي شبام قاطبة يهابونه، ويصانعونه ويجاملونه مخافة ظلمه، واتقاء لشره، حتى قيل أن جماعة منهم اشتركوا في ذبح كبش ولما أن وجدوا لحمه جيدا أهدى كل منهم نصيبه منه خفية لحمود حتى ورد إليه أكثر لحم الكبش.

ومر منصور يوما في المسجد الجامع بشبام فلمح حمودا يخاطب رجلا من الأهالي وسمعه وهو يقول للرجل بلهجة تهديد ((لا بأس أنت تحس بها والله لا

نفعك هذا)) مشيرا إلى منصور وعاد منصور إلى قصره فأمر بعض عبيده أن يتعرضوا لحمود عند انصرافه من شبام ويقتلوه وانصرف حمود راكبا مطيته فتصدى له العبيد خارج البلد وصاحوا به (أن استعد) فأحس بالشر وبدأ يجاوبهم فلم يمهلوه بل أطلقوا عليه الرصاص فخر قتيلا.

دويلة ابن مقيص

لنترك السلطان منصور بن عمر مشغولا بعداء الشنافر ويافع منهمكا في حروبه ومهاجمته ونلتفت إلى الجانب الأوسط من حضرموت فنجد السادة العلويين لم يزالوا دائبين في بذل مساعيهم ومجهوداتهم المتوالية في إقامة والٍ عدل يريح الناس مما هم فيه من الفتن التي لا حد لها ولا نهاية.

والشيخ المقدم عمر بن عبدالله بن مقيص الأحمدي اليافعي رجل ذو نية صالحة وميل للصلاح والخير وذو شجاعة وعزم، ولديه عصبة لا بأس بها رأى العلويون ومن نحا نحوهم من المجاهدين لتخليص الوطن من ويلاته أن الرجل يملك شيئا من الجدارة بأن يتصدى لهذا الأمر الجلل بمساعدة أهل الإصلاح من الأمة الذين ألجأهم ما يلجئ الغريق إلى التشبث بما هو أو هن من بيت العنكبوت.

وسرعان ما كانت المفاوضة معه فضرب صدر نفسه انتدابا بالقيام بهذه السلطنة المتوقعة وقطع العهود على نفسه بأن يؤسس بعشيرته دولة عادلة تؤيد الشرع الأغر وتعمل بما يشير به عليه أعيان السادة وعلماؤهم على أن يمدوه بالمال ويعضدوه بنفوذهم، فاستبشرت النفوس، ونهض أمثال الإمام أحمد بن عمر بن سميط والإمام عبدالله بن حسين بن طاهر، والإمام الحسن بن صالح البحر الجفري، وغيرهم من الأئمة الأعلام فعضدوا الرجل وأمدوه بما يلزم وقدموا له الآراء السديدة، وجمعوا له الأموال الكافية، وابتاعوا له مدفعا يتهدد به المعارضين،

واشتروا له حصن مطهر من آل مطهر اليافعيين ليجعله قاعدة حربية لملكه، وكان مقيما ببيت جبير.

ماذا يقول ابن سميط :

واليك مكتوبا عثرنا عليه كتبه بيده الحبيب أحمد بن عمر بن سميط العلوي إلى السادة العلويين بالجهة الشرقية، ننقله هنا بنصه تبركا وإفادة للقراء بمثال من تلك المساعي الطاهرة قال:-

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الثقة يخص سادتي الحبائب الأجلاء الأعلام الحبيب عبدالله بن الحسين بن طاهر والحبيب عبدالله بن أبي بكر عيديد وكافة السادة من آل أبي علوي حفظهم الله و أدام النفع بهم لنا ولسائر المسلمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نعلمكم أنه وصل خط للفقير من السلطان عمر بن عبدالله بن علي بن مقيص الأحمدي وعرف بالشأن الذي تصدى للقيام به فالله يبارك له ولنا ولجميع المسلمين في ذلك ويسخر له على ذلك أعوانا وبطائن من أهل العلم والفضل والصلاح، إذا نسى ذكروه وإن ذكر أعانوه، ويشرح صدره لقبول نصحهم وإرشادهم، في عافية للجميع، وإن رأيتم يا سادتي أن ترشدوه وتعولوا عليه في أن يقيم علمة خاصة لتعليم مهمات الدين التي يلزم لكل تعلمها ولو بالرحلة ولو إلى الصين ويحمل الكل من جهال طبقات الناس على دخولها من شريف وقبيلي وحراف وساني وسائل سواء كانوا ذكورا أو إناثا ويكون ذلك تلقينا من غير حضور قلم ولا دواة لما فيهما من المضرة لبعض الناس ممن يقل خوفه من الله كما تفيدون ذلك ويجعل لذلك ما يرغب أهل الفاقة والحاجة في دخولها للتعلم كما لا يخفاكم أن ذلك من أهم المهمات ومن أقوى داعي لحصول النفحات ورسوخها في الجهة المشار إلى ذلك بحديث إن لربكم في أيام دهركم

نفحات ألا فتعرضوا لها، وهذا إن شاء الله من التعرض ولا ترون علينا فالحاضر يرى ما لا يرى الغائب.

ومن عجب إهداء تمر لخيبر وتعليم زيد بعض علم الفرائض

والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

من المستمد أحمد بن عمر بن زين بن سميط

عفى الله عنه

وقد أمعنا النظر في حواشي هذا المكتوب المبارك فلم نجد لها تاريخا لعل الكاتب وهو صاحبه نفسه سهى عن ذلك.

ثم كتبوا المعاهدات بينهم وبينه وزبروا الوثائق، وجعلوا وزيره ومستشاره السيد العلامة عبدالله بن أبي بكر عيديد العلوي يستنير برأيه ويستضيء بإرشاداته.

وقامت هذه الدولة الفتية بقرية بيت جبير في ربيع الثاني سنة ١٢٤٣هـ و لعلها كانت أقصر دويلات العالم عمرا إذ لم تمض عليها سنتان إلا وقد قوضت أطنابها ودخلت في خبر كان، وحاول القوم جهدهم أن يدفعوا بسلطانها إلى الأمام ويحملوه على الفتح والغزو ولكن مجهوداتهم ذهبت سدى لما حل بقلب المقدم من التردد والاضطراب، وبقلوب قبيلته من التمرد والخور، وفي ذلك يقول الحبيب عبدالله بن أبي بكر عيديد من قصيدة طويلة كلها تأسف وتحرق إلى أن قال :

ولما رأيت لهاة الهياج حبتك فحلا وأنت خصي
تبرقع فإنك مثل النسا ء وصغ لك عقدين من بصبص
لقد هانها الله من دولة تربت على الدجر والحنبص

إلى أن قال بعد كلام قاذع لاذع ينبغي تركه هنا:

فخلوا البنادق لأربابها وشلوا بديل البنادق عصي
وقولوا عسى الله ينصف لنا ويرجم أعدائنا بالحصي

رشفة من شعر عيديد:

وبهذه المناسبة نذكر ما كنا وعدنا به عند ذكر الهجرة من تريم بأننا سنعرض على القارئ لونا من شعر السيد عبدالله بن أبي بكر عيديد العلوي ثالث العبادلة ووفاء بذلك ننقل اليك ما قاله في المهجر (جاوه) عند سفره منها إلى حضرموت، وهي أبيات تعطيك صورة صادقة عن العواطف التي تتجاذب الحضرمي بجاوة بين المهجر ووطنه.

قال:

رحيل المرء من ذي الأرض أولى ... فهل من سامع للنصح أم لا
تلاف العمر قبل تلاف نفس ... وقبل تصير تحت الرمل رملا
فلا أن مت ترضاها مقرا ... ولا إن عشت ترضاها محلا
ومن عاداتها الإنسان ينسى ... بها وطنا وأولادا وأهلا
محبته الذين دعوه بعلا ... تنسيه الذين رعوه طفلا
مقيم لا يمل العيش فيها ... ولو أن جال في عقباه ملا
يروق النفس رونقها فتصغي ... ويأبى العقل ذلك لو تولا
كأن بمائها نفثات سحر ... تصيره على الآذان قفلا
وتجعله على الأقدام قيدا ... وفي الأيدي إلى الأعناق غلا
فلا هو يستطيع لذاك فكا ... ولا هو يستطيع لذلك حلا
نغطي من معايبها عيوبا ... مداهنة لسادتنا الأجلا

إلى أن قال :

فجد العزم وارحل كم خليل ... له خل ففارقه وخلى
تجد بالدار يا مغرور دارا ... وبالخل الذي تهواه خلا
فلو فكرت فيما بعد فيها ... لما في سوحها طولت حبلا
فذي الدنيا متى ما تم شغل ... بدا من بعده سبعون شغلا
متى أدركت فيها نيل عز ... فقد أدركت في التحقيق ذلا

إلى أن قال :

فســـــافرنا بعـــــين الله تجـــــري ... ســـفينتنا بنـــا خببـــا وهشـــلا
جرت تطوي ســجل البحــر طيــا ... كما يطوي الــذي كتــب الســجلا
وتقطـــــع في سباســـــبة لحـــــتى ... يكون القطــع في ذا البعــد وصــلا
وتـــرقص إذ تظـــن الـــريح نغمـــا ... وضرب المــوج في الجنــبين طــبلا
فيجريهـــــا بعـــــون الله ريـــــح ... إلى بـــر حـــوى شـــرفا وفضـــلا
تركنـــــا أرض نبـــــت سندســـــي ... لأرض نبتـــــها أعلـــــى وأغـــــلا
بهـــا الارواح في مرعـــى خصـــيب ... وإن كانت علــى الأجســاد محــلا
رضـــيناها ولـــو ألقـــت علينـــا ... ترابـــا صـــار للعيـــنين كحـــلا
فنمســـحه علـــى الأبـــدان طيبـــا ... وننشـــره علـــى الجـــلاس فـــلا

العودة إلى منصور

أفلت دويلة ابن مقيص والناظرون إليها ينشدون قول التهامي:

يا كوكبا ما كان أقصر عمـــره ... وكذا تكون كواكب الأســـحار

وبعد أن يئسوا وعادوا فولوا وجوههم مرة ثانية شطر منصور بن عمر وإذا هو لا يزال منهمكا في إيقاد نيران الفتن وارتكاب المناهج العمياء في سلوكه السياسي المذبذب.

تخريب الموزع :

وتجمعت الشنافر وقد هاجت هياجا شديدا لقتل حمود بن عبدالعزيز وغطرسة منصور بن عمر عليهم ومحاولة إذلالهم، ولم تلبث الحرب أن اندلع لهيبها بينهم وبينه فقطعت السبل وروعت الأهالي وحصرت شبام، وأقبلت الشنافر على الموزع الذي هو خارج البلاد وعليه مدار الري في المغارس حولها فحطموه وتركوه خرابا لا يفيد شيئا من صد مياه السيول وضبطها.

فاستغاث السلطان منصور بن عمر وتداخل المصلحون وجلهم من كبار العلويين ودعا الحبيب حسن بن صالح الجفري عقلاء الشنافر إلى منزله بذي أصبح ووعظهم وألح عليهم في إطفاء الفتنة التي عم ضررها، وطال أمدها، ولم تقتصر ويلاتها على منصور وعبيده بل تناولت الأبرياء ومن لا حول لهم ولا طول.

وارتفع الحصار عن شبام وتنفس الناس الصعداء واستمر الأمن في السبل ولم يصل إلينا شيء من شروط هذا الصلح أو الهدنة التي أراحت البلاد والعباد.

الشنافر وتريس :

وشاءت الأقدار بعد ذلك أن تجمع بين منصور والشنافر، وذلك أنه كان بين هؤلاء ويافع عداء مستمر، ولم يفتأ القتال بينهما ينجم من حين لآخر.

وفي ٢٠ شعبان سنة ١٢٥٠هـ هجم الشنافر على تريس واستولوا على الجانب الشرقي منها وكان بها ابن النقيب السعيد اليافعي، فأدركت يافع من جميع النواحي المجاورة وحصرت الهاجمين حتى أذعنوا، وطلبوا الخروج فخرجوا و التقوا مع يافع شرقي البلد بمحل يسمى الصليب وحصل قتال عنيف بين الطرفين وقعت فيه الهزيمة على الشنافر وسلبت يافع قتلاهم، وقتل من رجال يافع عبدالله بن صالح الجهوري، وجرح عبد الحبيب بن بريك بن النقيب و أصابته رصاصة في رقبته فقطعها الحكيم وسلم.

وبعد هذه الواقعة بلغ غيظ الشنافر من يافع أقصاه حتى دفعهم ذلك إلى التودد والاتجاه نحو السلطان منصور بن عمر، وطفقوا يثيرون حميته ويوغرون صدره على يافع علاوة على ما قد كان عنده من الحقد مما لا يقبل مزيدا.

البطش بيافع :

ولم يزل منصور بن عمر يناصب يافع العداء مرة ويسالمهم أخرى حتى سولت له نفسه الخيانة فيهم فبطش بهم في نفس شبام بطشة قوية قتل فيها من رجالهم وعيونهم

عددا غير قليل وطرد بقيتهم من البلاد وذلك في آخر ليلة من رمضان سنة ١٢٦٠هـ وطفق الرجل يملأ ماضغيه فخرا بهذا الصنيع، ويكاتب أعيان القطر وسادته مبشرا ومتحدثا بهذه الهنة التي ظل يعتبرها من سوابغ النعم وعظائم المنن، ولكنه لم يقابله من أولئك الأعيان و السادة أحد إلا بالإعراض و الفتور، ولم يأته ولا جواب واحد ما عدى نصيحة طويله من الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي كتبها له إرشادا ننقل منها ما يأتي:-

((..... ثم إن هذا المراد لا يتم إلا بمجالسة العلماء والأخذ بما أشاروا به في هذا المرمى فأسمع ما أشير به عليك تحمد وبكل خير تسعد وذلك سبعة أمور اجعلها همك ووجه إليها عزمك.

الأول : مجانبة الجليس السوء الخاص والعام فالخاص هو الزوجة والخادم والوكيل والوزير، والعام هم المعلم و الأنيس والمشير، فبصلاح هؤلاء صلاحك وفلاحك ونجاحك وبفسادهم هلاكك وفسادك وكسادك قال الله تعالى (و المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) الآية وقال تعالى (والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) الآية وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فالينظر احدكم من يخالل ويصاحب وفي حديث آخر المرء على دين زوجته. فاجعل جلساءك الخاصة و العامة أهل الصلاح والدين، وجانب أهل الجهل والفاسدين.

والثاني : اجتهد أن يكون أكلك ولباسك أحل مما تجد واحذر من استعمال الحرام في ذلك فبالحلال يتنور قلبك ويزيد فهمك، ويرضى ربك وتعرف حقائق الأمور على ما هي عليه ويقوى جنانك على الأعداء ويزيد رعبهم منك.

الثالث: كمال الجد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلادك وإحياء السنن وإماتة البدع، وحث أهل العلم على ذلك، واطلب تنبيههم لكم على ذلك واشكرهم عليه وعلى المبادرة إليه.

الرابع : رد جميع القضايا والمنازعات إلى الشريعة المطهرة والحكم بالمعتمد في المذهب وترك التساهل في ذلك وترك طلب شيء من الدنيا من الخصمين أو أحدهما وزجر من بذل ذلك لكم و إهانته ورده إليه وإشاعة ذمه بين الناس فبذلك يرضى الملك العلام وتنفذ الأحكام، ويتم لكم النظام، وتكونون من الناصرين لدين الله فتظفرون بنصره إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وبضد ما ذكر تفسد الأمور، وينقلب الشرع باطلا موجبا للشرور ويسقط قدركم وهيبتكم من النفوس وتكونون يلبسون الحق بالباطل، وتتشبهون بكل لئيم جاهل.

الخامس : جميع جنودكم ومن تقلمونه في الفتن احترسوا منهم فلا تمكنوهم من أمر ولا تفشوا إليهم خبرا ولا سرا، وإذا احتجتم إليهم فاستعملوهم في الحرب فقط والحذر أن تجعلوا لهم على أنفسكم قانونا أو امتيازا قط إلا إذا فعل منهم أحد مكرمة، وأتى بمصلحة فجازوه عليها جزاء يرغبه هو وأمثاله في فعل مثلها.

السادس : المبادرة إلى قلع أصل كل فساد الساعي في ظلم العباد وأذى البلاد، فبادروا إليه فالوقت هذا مساعدكم عليه فإن شاء الله تتمكنون منه في أقرب وقت فإذا تمكنتم منه فذكوه ولا تبقوا منه شيئا كما فعل والدكم رحمة الله عليه حتى رأيتم منه ما رأيتم.

السابع : لا بد وأن يكون في خاطركم شيء من ميل بعض الرعية إلى يافع أيام مشاركتهم لكم وموادتهم إليهم فالحذر الحذر أن تعاقبوا أحدا على ذلك بل اغفروه واصفحوا عنه ولا تؤاخذوا به إذ الحامل لهم مع المشاركة توهمات حملتهم على ذلك الميل والمودة فاعذروهم، وقد قال الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ادرؤوا الحدود بالشبهات.

هذا ما حضر الآن فاعملوا به تظفروا بفوائده وتعودوا بعوائده والدعاء لكم مبذول والسلام

١٠ شوال سنة ١٢٦٠هـ

عبدالله بن عمر بن يحيى

حصن السعيدية :

وهو حصن ذو موقع هام بقرب الجبل غربي شبام يحتله الشنافر من آل عبدالعزيز، فكان منصور بن عمر طالما أضمر الاستيلاء عليه حتى سنحت له الفرصة فاستحث عبيده على الهجوم عليه ودفعهم إلى ذلك بالترغيب والترهيب حتى حملوا على من فيه من الرتب (الحامية) فأخرجوهم منه قسرا ولم يلبثوا أن احتلوه سنة ١٢٦٠هـ.

ومنذ ذلك الحين والحصن يذهب ويجيء بين السلطان منصور ومجاوريه من الشنافرة ويافع حتى ٢٨ جمادي الأولى سنة ١٢٧١هـ عندما سرت من القطن طائفة من يافع دليلها مبارك بن العريان بن عبدالعزيز، ومحمد بن سعيد بن سعيد وهجمت على الحصن المشار إليه فأخرجوا من فيه من الشنافرة واحتلته يافع احتلالا نهائيا وشحنوه بالذخائر والمال والرجال.

دار معمر :

وأسرف السلطان منصور بن عمر إسرافا كبيرا في التحكك بيافع والاسترسال في السفه حتى عثر عثرته الشهيرة التي أكسبته عارا وشنارا لا تمحوها السنون، وحولت عنه قلوب محبيه وأصدقائه، وقطعت عليه خط الرجعة إلى حظيرة السلم والسلامة، تلك هي فعلته بدار معمر، وذلك أن المنصور بن عمر أمر عبيده فسروا ليلا إلى القطن وأخذوا يحفرون تحت دار معمر على حين غفلة من أهله حتى تمكنوا من موازاة وسط الدار فوضعوا هناك دبة عظيمة من البارود في جوفها فتيلة يمتد أحد طرفيها خارج الدبة حيث أشعلوا فيه النار وانطلقوا هاربين.

ولم تمض بضع دقائق حتى أكلت النار الفتيلة ووصلت إلى البارود فانفجر انفجارا هائلا تدهور منه الدار من أساسه على من فيه فلم ينج منهم احد، وكان من سكانه أيضا عقيلتان من حرم الجمعدار عمر بن عوض القعيطي قيل أنهما عمتاه هلكن فيمن هلك.

هذه الكارثة المحزنة أحدثت أسوا أثر في الأوساط الحضرمية لاسيما الدوائر العلوية، وأسقطت هيبة منصور بن عمر من النفوس بدلا من أن تنميها وضعضعت من مركزه بدلا أن تعززه وتقويه

نزول القعيطي إلى الميدان :

وبرز عمر بن عوض القعيطي من عزلته يومئذ وكان محايدا وإنما حمله على الدخول في الحرب ما نال حرمه من الانتهاك وما رآه من طغيان منصور بن عمر على عامة المحاربين و المحايدين.

ولم يكن للقعيطي إذ ذاك موقع بحضرموت يمكنه أن يجعله قاعدة حربية له، فكتب مع ثقة عنده إلى آل الضبي بسيؤن يستميلهم إليه ويطلب منهم مثوى تأوي إليه قواته وقواده فلم ينجح الرسول في مهمته.

واتصل بالسادة آل عبدالله بن علوي العيدروس فابتاع منهم حوطتهم بالقطن وأشخص إليها نجله محمد بن عمر ومملوكه الماس عمر، وأصبحت منذ ذلك الحين مركزا للدولة القعيطية بحضرموت، وجهزوا الحملة نحو شبام وعقد محمد بن عمر اتفاقية بينه وبين آل عبدالعزيز وكلاهما موتور لمنصور بن عمر، وحط القعيطي بجيشه في القارة وحصرت شبام وخرب الموزع للمرة الثانية.

قوم القبلة وحصر شبام :

وأرسل الأمير محمد عمر القعيطي في تجنيد جيش من القبلة (من الغرب) فوصلت الجنود إلى حضرموت أواخر سنة ١٢٦٤هـ وحطوا تحت شبام ودليلهم ابن عبدالعزيز فاستولوا على ضواحي شبام وعلى المسلف والحوابر والظاهرة وخبايات، ولم يبق مع ابن عيسى م بدر غير بزرق والسعيدية والعقاد وخمير وديار آل زيمة وآل سند، وعسكر ت الجنود بالنقرة وكربت نخيل تلك البقاع وقطعت حطبه، وأقامت

منه عروشا للجند، وجعلوا للجيش ثلاث محطات على عدد القواد، وهم ثلاثة: قطيان الكربي والجريبي وطالب بن حسين.

وفي بعض ليالي المحرم سنة ١٢٦٥هـ هجمت يافع ومن معهم على سحيل آل مهري وثم تقهقروا عنه واحتلوا كوتا واحدا لآل مهري تحت السحيل وابتنوا بجهة الغرب منه كوتا آخر شمالي بير خريبة، وبذلك قطعوا الطريق القديم المؤدي إلى شبام وصار الناس يسيرون إليها بسفح الجبل الغربي ومع ذلك فالرصاص لا يزال ينال الممر المذكور من الكوتين واشتد الحصار على شبام وذعر الناس وبلغ بهم الخوف والضائقة أقصاهما، وما برحت خيل القوم تغير حوالي ظويلم وبحيره وانقطع طريق جعيمة لتردد الخيل عليها من فرط قبوسة.

نجدة الدولة آل عبدالله :

واستغاث السلطان منصور بن عمر بدولة آل عبدالله الحديثة العهد فأنجدته، وكان القعيطي لا يزال إلى ذلك الحين وهو سلم لهذه الدولة وكان يود أن لو بقيت كذلك أي مسالمة له غير متدخلة في شيء مما يكون بينه وبين منصور ابن عمر، ولكن النعرة القومية الملتهبة جذوتها إذ ذاك بين يافع والشنافر لم تدع للتعقل والرزانة موضعا، فلم يسع القعيطي حينئذ وقد بدأته الدولة بالعداء إلا أن يصمد لها وجها لوجه وهو في غاية الغيظ والحنق.

وجهة نظر العلويين في ذلك :

بظهر أن السادة العلويين قد غاظتهم كثيرا حادثة دار معمر فانصرفت قلوبهم بتاتا عن منصور بن عمر وحولوا آمالهم إلى عقد حلف متين بين القعيطي وابن عبدالله، وبذلوا جهودا عظيمة لتحقيق هذا المشروع الذي يعد في حكم المستحيل نظرا لعصبية الطرفين القومية، واجتمع رجال من ذوي الشخصيات البارزة في العلويين ببلدة ذي أصبح بدار الحبيب العلامة الحسن بن صالح الجفري العلوي

وتناولوا المشروع أخذا وردا وكلهم ساخط من تصرفات السلطان منصور بن عمر متحمس ضده، ناقم على دولة آل عبدالله نجدته والقيام معه.

وأنشدت هناك قصيدة قالها الحبيب محسن بن علوي السقاف في السلطان منصور حينما أتاه مرة مع رجال من المصلحين ليراجعوه في قضية إصلاحية فلم يشأ هذا أن يقابلهم ومطلع تلك القصيدة :

أيـــا مـــن تعـــاظم في نفســـه ... وعنـــا تـــولى ومنـــا شـــرد

إلى أن قال :-

وأضـــحى عـــن النصـــح في معـــزل ... وطينتـــه عجنـــت بالحســـد
وظلـــم العبـــاد لـــه شـــيمة ... خصوصـــا رعيتـــه في البلـــد
وقـــد بطـــر الحـــق مســـتكبرا ... ولم يرعـــوي أن نهـــاه أحـــد
ولم يســـتمع قـــول أهـــل الحجـــا ... إذا مـــا دعـــوه لطـــرق الرشـــد
وقـــد غـــره بالإلـــه الغـــرور ... فـــزاد بـــذلك الغـــرور أود

إلى أن قال :-

ســـتقهر ثم إلى القهقـــرى ... تصـــير وأمـــرك يـــا ذا فســـد
وتعـــزل عمـــا وليـــت ولا ... ترى النصـــر يومـــا بحـــول الصـــمد

إلى آخر ما قال : وتم رأي القوم على السعي في التوفيق بين القعيطي ودولة آل عبدالله، وأن يكتبوا أولا في المجمع كتابا للجمعدار عوض بن عمر على لسان الحبيب الحسن بن صالح، ويرون رأيه فيما يقترحونه عليه فكتبوا إليه كتابا مطولا نقتطف منه ما يأتي :-

((والسلطان منصور بن عمر خطيئته خاسرة على دار ابن معمر وقد ألقى فيه ما ألقاه فهو في ذلك على غاية الإساءة والظلم، والآن الرجاء من الكريم المنان أن يكون اجتماع الكلمة أنتم والسلطان غالب بن محسن على رد أموال يافع وإعطاء كل ذي حق حقه وتكون واحدة في إعلاء دين الله وشريعة رسوله)).

إلى أن قال :

((وهذه نصيحتنا لك يا محب يا محبوب فالله يوفقك لها ويتقبلها منك ومنا فتقع الموافقة والمعاهدة بينكم وبين السلطان غالب وقد قام الكلام بينه وبين ابن يماني إلى آخر ما قال)).

وقد أجابهم الجمعدار جوابا مجملا تكسوه المجاملة والاعتذار بلطف، وتيار العداء في ذلك الحين قوي جارف منحدر من الطرفين فلم تستطع الجهود العلوية أن تصل إلى شيء من غايتها، وحاول أولئك السادة أن يحولوا على الأقل بين اتحاد الدولة مع منصور بن عمر فقصرت بهم مساعيهم عن ذلك على أن مشروع التوفيق بين الدولة والقعيطي لم يمت بل ظل سائرا يظهر مرة ويخبوا أخرى حتى جاء أوانه كما سيأتي.

قدوم جيوش آل عبدالله :

وأقبل الأمير عبود بن سالم لفك الحصار عن شبام ومعه جنود كثيرة مؤلفة من قبائل شتى من الحموم والعوامر وآل باجري و آل تميم ونحوهم مع من لحق بهم من آل كثير، ومروا في زحفهم بذي أصبح وتناول الجيش كله غداءه ضيفا على الحبيب الحسن بن صالح البحر العلوي، واختلى الحبيب حسن بالأمير عبود وصرح له برأيه ورأي كبار العلويين في أن الدولة في غنى عن أن تجلب لها عدوا جديدا قاهراً وهو القعيطي، وأن منصورا ليس من أولئك الذين يرجى خير من قربهم ونصرتهم، وإن من صالح الدولة بل وصالح القطر بأسره الاتفاق مع القعيطي على إصلاح البلاد وإقامة العدل و توطيد الأمن وليس من الصالح قط توسيع دوائر الفتن وبذل المجهود في إضرار العباد والبلاد فوعده الأمير عبود خيرا.

وتحرك الجيش من ذي أصبح بعد الظهر قاصدا محطات المحاصرين، ولما انتهى إلى حصن قسبل اجتمع رؤساء القبائل وقرروا الحملة والهجوم على الأقوام المحاصرة رغما عن عدم رضى الأمير عبود بذلك إشفاقا منه على الجيش، وعمدت القبائل نحو النقر والأمير يزجرهم معترضا على حصانه فلم يسمع له زجر ولا أمر، وقد استبدوا أيضا فكتبوا لحامية البلاد بوقت الهجوم لكي يتخذ هجوم الجميع في وقت واحد.

وعند الأصيل كانت الحملة من الجهتين، الحامية هجمت من الجهة الغربية بينما الأمير عبود وقبائله هجموا من الجهة الشرقية فارتاع المحاصرون وذعروا واضطربوا ولم تقم لهم قائمة ففروا عن محطاتهم وتركوا العروش بمن فيها من مرضى وجرحى وأثاث، وأسرع بعض المهاجمين فأشعل النار في العروش وكثر النهب والقتل، وأصبح كوت آل مهري الذي احتلته يافع والكوت الآخر الذي ابتنوه بجانبه منعزلين ومحصورين بأقوام الدولة وأرادت يافع الوصول إلى حامية الكوتين بزاد وذخيرة فبصر بهم رجال الدولة ولم يمكنوهم من ذلك.

وفي اليوم الثاني زحف رجال من جيش الدولة على الكوتين فهجم عبيد آل عيسى م بدر على الكوت الصغير الذي بنته يافع وفيه أربعة من الحامية فقتل أحدهم وسلم الثلاثة انفسهم، وهجم آل كثير على الكوت الكبير وضيقوا عليه كثيرا وفيه تسعة أشخاص فطلبوا الخروج في وجه أحد رؤساء آل كثير

فخرج بهم سالمين بن عبدالله في خفارته بأسلابهم وكل ما يلزمهم وارتفع الحصار تماما عن شبام وحارت أقوام القبلة ولم يدروا ماذا يفعلوا، فأوعزوا إلى بعض الرجال بدون علم يافع أن يفاوض الدولة في شأنهم، والمتقدم في ذلك هو قطيان الكربي فجعلت لهم الدولة شيئا غير قليل من النقد مقابل رحيلهم وعودتهم إلى بلادهم.

مغبة نجدة الدولة لمنصور:-

وبهذه النجدة اندفعت التيارات العصبية تجرف ما أمامها، وأبحر صريح يافعي من حضرموت إلى الدكن يستصرخ بالقعيطي لإنقاذ قومه من الطغيان الشنفري، وبهذا وما تسلسل عنه من مصادمات مع القعيطي ترى أن مغبة نجدة الدولة لمنصور كانت وخيمة، وإنها دفعت في صداقته وعداوة القعيطي ثمنا باهظا أوقف تيار انتصاراتها الأولى وجعل لها من منصور وتبعاته شغلا شاغلا كانت له نتائجه الوخيمة فيما بعد.

اتحاد الدولة مع منصور:

وبعد أن أنجدت الدولة منصورا بشبام أخذت تتفاوض معه على الاتحاد وجعلها دولة واحدة، وكان في أثناء حصار شبام وقوة صيال أقوام القبلة على ضواحيها استطاع منصور بن عمر أن ينسل إلى سيؤن ليوقع أمام رجال دولة آل عبدالله على ما قررته المفاوضة من الاتفاقية التي مؤداها أن يكون منصور بن عمر كفرد من أفراد آل عبدالله، وأن يرفع يده عن الرعايا وعن مطالبتهم بأي شيء من المال، وأن تدفع له الدولة يوميا سبعة ريال فرانصة، وتم الأمر على ذلك ووقع الطرفان على الاتفاقية واستمرت الدولة في دفع اليومية له بضعة أسابيع حتى حصلت هنات من منصور تخالف الاتفاقية فقطعت.

قدوم يافع للانتقام:

قلنا أن السادة العلويين قد أحسوا بالشر الناشئ من اتحاد الدولة مع منصور واصطدامها مع القعيطي فحاولوا عبثا أن يمنعوا هذا القضاء الحاتم بنفوذهم ونصحهم وأقلامهم، وقد استغل رجال يافع الموتورين من الدولة هذا الاصطدام الذي سمحت به الظروف عفوا فظلوا يحرضون القعيطي على نصرة قومه، ويذكرونه فعائل منصور وفظائعه، وشخص وفد منهم إلى حيدر أباد لمقابلة الجمعدار عمر بن

عوض مصحوبا بكتاب أيضا من الجمعدار محمد بن عمر ونجح الوفد في مهمته وجهزت الإمدادات وتوجه المقدم محمد شهر والمقدم عبدالله صالح داود مفوضين من قبل القعيطي إلى جبل يافع لتجنيد جنود من هناك، ثم أبحرا من الجبل على ظهر باخرة انكليزية يقودان حملة كثيفة، وتجمع لدى القعيطي جيشا يتألف من نحو ألف وخمسمائة مقاتل من يوافع الجبل وحضرموت يتقدمهم علي بن حسن الضباعي وأحد السادة آل الشيخ أبي بكر ومحمد المثنى وعلي الحريبي وصائل بن ناجي وغيرهم من القواد المحنكين وركبوا من الهند في سفائن شراعية في وقت اضطراب البحر وهيجانه فنالهم فيه أذى كثير من الأنواء والأمراض ومات منهم خلق كثيرون ووصلوا إلى المكلا منتصف شهر صفر سنة ١٢٦٥ هـ ومنها توجهوا إلى حضرموت قاصدين القطن ومعهم مدفع واحد وطنبشية وبعد أن ارتاحوا بالقطن من وعثاء السفر اتجهوا نحو شبام ووقفوا عند ديار السلطان عيسى ورموها بالمدفع فدكدك من جدرانها وأثر فيها تأثيرا بليغا وسلم أهلها فأخرجوهم منها على أنهم في الوجه وهم أولاد عيسى ومعهم جماعة من آل كثير الآخرين.

سقوط سيؤن :

وزحف الجيش نحو سيؤن وبقيت الطنبشية الموسطة يحاصرون العقاد ويرمونه بالمدفع حتى استسلم وذلك في الوقت الذي كانت المعركة محتدمة بسيؤن والفتنة قائمة وأخذوا بعد ذلك يستولون على زبون آل كثير التي حوالي العقاد واحدا بعد الآخر حتى استولوا عليها جميعا.

وفي فجر يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٦٥هـ دخلوا سيؤن بدون أن يلاقوا أي معارضة لخلو البلاد من الحامية التي تذكر، وكان سبب ذلك أن نذيرا ورد لحاميتها من جهة الغرب بأن جيوش يافع متوجهة إلى الجانب الشرقي، فخرج الأمير عبدالله بن صالح ومعه حامية سيؤن لصدها حتى وصل إلى القرين من

ضواحي بلدة تريس فبات ومن معه هناك ليلة الاثنين وجيوش يافع توجهت مارة بالمسيال ولم يشعر الأمير عبدالله إلا والصريخ من سيؤن ولم يكن بها من الحامية إلا أشخاص قلائل لا يعتد بهم ففر أكثرهم وسقطت سيؤن في قبضة يافع.

فتنة سيؤن وحصر يافع فيها:

فلما أن علم الأمير عبدالله بذلك كر راجعا إلى سيؤن بمن معه وأرسل صريخا مستعجلا إلى عبيد الدولة بشبام[1] يستنجدهم فوردوا، أما الأمير عبدالله ومن معه فقصدا الحصن الدويل ونواحيه وحصنها، أما حامية شبام فسبقوا إلى الدجن وحصنوه وتمكنوا من تحصين جميع الزبون الخارجية غير مسجد جوهر الشرقي ودار خلع أحمد فقد أمسكتها يافع كما أنها استولت أيضا على السحيل كله إلا حصن الحد وعلى الحوطة كلها غير جثمة، وأقبل عبيد تريم إذ وصلهم الصريخ أيضا فدخلوا إلى سيؤن من السدة الشرقية وهجموا على دار الحداد وقد احتلته يافع فأخرجوهم منه، ولحقت العوامر يرأسهم ربيع بن جحير فدخلوا البلاد من جانبها الجنوبي واحتلوا ديار جثمة ومسجد سعيد، واحتل الأمير علي بن أحمد الموضع المسمى كلابة ومسجد جوهر، بعد ثمانية أيام من دخول يافع وقع حصن الحد في أيديهم أيضا ووصلت النجدات يتلو بعضها بعضا من آل كثير وغيرهم وأحاطت القبائل والدولة بالبلاد واستحر القتل في الطرفين واشتد الحصار على يافع حتى اضطروا إلى اغتصاب ما في أيدي الأهالي من تمر وحبوب وبقر وغنم، وبذل القعيطي أقصى ما في وسعه لإيصال

(١) قيل انه لما ورد الصريخ إلى عبيد الدولة بشبام وكان عددهم مائة وخمسين عبدا أسرعوا إلى النجدة فمنعهم السلطان منصور بن عمر وأغلق سدة البلاد قائلا إذا كانت سيؤن قد سقطت فلا أرضى أن تبقى شبام بلا حامية فتسقط أيضا، وغضب العبيد لذلك وقالوا إن لم تفتح لنا السدة كسرناها وفتحها وخرجوا يتقدمهم فرج بن غالب من عبيد تريم، وهذه الحادثة من الأسباب التي باعدت بين الدولة ومنصور.

المؤن والذخائر إليهم وأوصل كراء الحمل الواحد إلى عشرة ريالات وبقيت الحالة هكذا إلى منتصف جمادي الأولى إذ اشتدت الضائقة كثيرا وكادت الأقوات تنعدم فطلب رجال من يافع الجبل طلبا من الدولة بواسطة مقدمهم صايل بن ناجي أن تسمح لهم بالخروج من البلاد بخفارتها نفسها فرفضت الدولة ذلك.

فشل السادة :

وقام رجال من السادة العلوية منهم الحبيب محسن بن علوي السقاف العلوي ووجماعة معهم من رؤساء القبائل ساعين في هذا الموضوع، وأخيرا قبلت الدولة خروجهم بثلاثة شروط :-

١. وضع ما بأيديهم من منهوبات البلاد.
٢. تقديم رهائن للدولة على الوفاء.
٣. أن يكون الخروج نهارا.

وكان مع يافع الجبل نحو ثلاثين جريحا، فرفض صائل تقديم الرهائن وخروج النهار وفشلت السادة وعاد الحال كما كان عليه.

واقعة جبل المحترقة :

وفي ٢٢ جمادي الأول صمم نحو أربعمائة مقاتل من يافع الجبل على الخروج على متون البنادق فخرجوا نصف الليل الأخير، وكان للدولة أكوات مبنية باللقنة موضع على محاذاة الغييل والمحترقة، وفيها حاميات لا تفارقها ليلا ولا نهارا، وحدث أن وافق تلك الليلة وصول جيوش مجموعة من شبوة ومن الشحابلة وبالليث وبن حيدره ونهد وغيرهم، يبلغ عددهم نحو الثمانمائة مقاتل مرسلة من الأمير عبود بن سالم.

وقد تلقاهم الأمير علي بن أحمد إلى الغرفة فوزعهم، وحول آل حيدرة إلى حاميات الاكوات المشار إليها آنفا، وزحف بالباقين إلى تريس ومن غريب الاتفاق أن وصل آل حيدرة إلى الاكوات قبيل مرور يافع الجبل بها بينما أولئك يتعارفون مع

زملائهم إذ مر هؤلاء على حين غفلة فأحس بهم بعضهم وانذعرت حاميات الاكوات ورمتهم بالرصاص غير أنهم مروا بدون كبير ضرر، وبقي منهم جماعة نحو الثمانين شخصا تخلفوا عن قومهم، فكمن لهم رجال الدولة من العواترة وآل حيدرة وتصدوا لهم فألجئوهم إلى جبل المحترقة فباتوا به محصورين إلى طلوع الفجر وهجم عليهم رجال الدولة وقتلوا منهم أكثرهم وأسروا عشرين وبقي منهم في الجبل أناس خرجوا بعد ذلك ناجين بأنفسهم على فرط قبوسة إلى القارة.

وبعد يومين ظهر منهم شخص بلبسه في وادي (جب) على أناس من آل أحمد بن زين الحبشي وكان هؤلاء السادة قد وجدوا واحدا آخر مستجيرا بمسجد البهاء فأخذوا الاثنين وبلغوهما مأمنهما في القارة.

خروج بقية يافع من سيؤن:

ثم قام الحبيب محسن بن علوي السقاف العلوي والسلطان على بن أحمد وجماعة من رؤساء آل الكثير فأخرجوا بقية القوم من سيؤن.

قوم ذو حسين وحصر شبام:

وفي أواخر رجب سنة ١٢٦٥هـ وصل إلى حضرموت خمسمائة مقاتل من قبيلة ذو حسين ومعهم ثلاثون فارسا يطلبون الانتظام في العسكرية عند القعيطي أو الدولة وقد كتبوا للدولة كتابا عند وصولهم إلى الكسر وأجابتهم بالرفض فساروا إلى القطن وتم أمرهم مع القعيطي وبدأت خيلهم تغير فاتحة شهر شعبان إلى أن وصلت قبوسة وظفروا برجل من آل كدة الكثيرين فقتلوه.

وفي ١٥ شعبان وكان يوم عيد غارت الخيل والرجالة منهم وبعض يافع على خريف (رطب) المسيلة الواقعة جنوبي قبوسة وقطعوه وعلمت بهم القبائل المجاورة من آل كثير فسارعوا لاسترداد الخريف منهم، وقامت المعركة على ساق وقتل جماعة

من الطرفين وتقهقر الهاجمون إلى المسلف بعد أن طرحوا أكثر الخريف، وقتل جعفر بن عبدالله من كدة. واستمرت ذو حسين محاصرة شبام.

نقب السور وتسللهم ثم حصرهم في الداخل :

وفي أواخر شعبان من سنة ١٢٦٥هـ وذو حسين محاصرين شبام أوعز القعيطي لجماعة من آل عبدالعزيز وعبيد يافع وبذل لهم نقودا وافرة بأن يثقبوا سور المدينة ثقبا كافيا لدخول القوم ففعلوا وحفروا في السور الشمالي السدة الشرقية حتى عملوا نقبا واسعا بحسب المرام وأعلموا المحاصرين بذلك ليهجموا كما في الخطة المدبرة، فأقبل القوم وأحس بهم حماة المدينة فأصلوهم نارا حامية ولكنهم هجموا فقبضوا الشويرع وحصروا به وتبودل الرصاص ودبب البارود وقتل كثيرون واستغاث المحصورون فسعى في إخراجهم سالمين بن عبدالله في مقابل نقود بذلها القعيطي بمثابة غرامة.

بين الدولة ومنصور:

بعد أن قطعت الدولة عن منصور ما كانت تدفعه له يوميا وبعد خروج عبيدها المائة وخمسة من شبام لنجدة سيؤن كما تقدم – حصل فتور عظيم في العلاقات بين الطرفين وقد تورط الاثنان في الاشتباك مع القعيطي في الحرب والفتن وتمنت الدولة لو أنها تسحب كل حاشيتها من شبام بتاتا وتقطع علائقها بمنصور ولكن أنى لها ذلك والشر قد أبدى ناجذيه وبروقه تلهب من كل ناحية ولا مناص من فتنة إلا إلى أخرى، والدولة قد كلت ولغبت من مساعدة منصور وسئمت مراوغته وصلفه وما ولده لها من المشاكل لا سيما الحروب التي تعانيها هي في الجهة الشرقية مع آل تميم والمهام العظيمة التي تقابلها والضائقة المالية الآخذة بخناقها كل ذلك يقلق بالها ويرعد فرائصها، فتركت لها حامية صغيرة لمنصور بشبام ولم تساعده بغير ذلك.

واستمر الحال على هذا المنوال – فتن وغارات وخوف مستمر وشرور متقدة حتى سنة ١٢٧٢هـ وقد عاد السلطان غالب بن محسن من الهند إلى حضرموت فطمع منصور في تجديد العلاقات بينه وبين الدولة وعقد اتفاقية جديدة معها.

زيارة منصور إلى تريم :

وفي منتصف شعبان سنة ١٢٧٢هـ سار منصور إلى تريم مرحبا بالسلطان غالب الذي كان ذلك الوقت بتريم هو ورجال دولته، وقدم منصور كتابا إلى السيد الجليل أحمد الجنيد العلوي ينبئه بأنه سينزل ضيفا عليه وكتب أيضا إلى السلطان غالب إعلاما بقدومه، ولما أن وصل منصور قريبا من المدينة خرج رجال الدولة وعساكرها للقائه خارج البلد وضربوا له الخانات وطيالة الدولة الرسمية وأدخلوه إلى المدينة في موكب عظيم وزغردة وإطلاق رصاص إلى أن وصلوا إلى المقبرة العامة فزاروا ضرائح المشاهير من الاولياء، ثم دخلوا البلاد بأراجيزهم وطبولهم إلى دار الحبيب أحمد الجنيد العلوي فتناولوا طعام الغداء، وكذا تناول السلطان منصور طعام عشائه مع حاشيته فيها أيضا ضيفا على السيد المشار إليه، وأما في اليوم التالي فقد كان غداؤة عند السلطان غالب وهكذا أخذ رجال الدولة كبيرهم وصغيرهم يتسابقون إلى دعوته لتناول الطعام في منازلهم.

الغرض من الزيارة :

وأسر السلطان منصور إلى بعض أعيان السادة العلويين بتريم غرضه من الوصول مؤملا منهم أن يسعوا في تجديد العلاقات السالفة بينه وبين دولة آل عبدالله وأن يعقدوا بينهما اتفاقية جديدة متضمنة مصلحة الجامعة الشنفرية ، وكان السلطان منصور يتكلم والأذواق تمج ما يتفوه من العبارات المنمقة وتأكيد الوعود، وذلك لكثرة ما شوهد عنه من الغدر والمكر سواء كان يتقصده اختيارا أو تلجئه إليه

الظروف اضطرارا، ولم يسع أولئك السادة إلا التوسط في القضية غير أنهم وجدوا الدولة خالية بتاتا عن الرغبة في عقد اتفاقية جديدة.

المفاوضة وفشلها :

ولكي يتضح للسلطان منصور بن عمر ما تضمره الدولة جمع أولئك المتوسطون السلطان غالبا والسلطان منصور في مجلس حضره رجال الدولة ووضع الموضوع على بساط البحث بكل صراحة فشكى منصور حراجة الحالة الحاضرة وصرح بأنه يستحيل عليه حفظ شبام من القعيطي إذا لم تساعده الدولة وأنه يرجح أن يتخلى عن شبام للدولة بطيبة خاطر من أن يتولاها القعيطي وأنه أي منصور، يطلب الاتحاد مع آل عبدالله وتوحيد صفوفهم معا وتنظيم جبهاتهم حتى يتمكنوا من دحر هذا العدو اللدود الأجنبي، وأطال منصور من أمثال هذه الإقناعات التي كان السلطان غالب ومن بمعيته يقابلونها ببرود واضح.

وأكد السلطان غالب بأنه هو أعرف الناس بقوة القعيطي وطول أنفاسه وعظم همته، فهو لم يكن كبقية فخائذ يافع الذين عرفنا كيف نلعب عليهم ونزحزحهم عن مواضعهم، والحقيقة المرة أننا نحتاج إلى نقود كثيرة للمقاومة وحفظ ما بأيدينا فأنا – يقول السلطان – أرى أن نضرب على تريم وشبام وسيؤن مبلغا من المال كافيا نجعله أثلاثا متساوية على هذه البلدان الثلاث، وننهض بالدفاع والهجوم فإن القعيطي كما ترون سيشهر علينا حربا شعواء غربا وشرقا، ثم قال : و أسر إليكم همسا أن جمهور السادة وغيرهم من أعيان الرعايا لا يشايعونا قط على عداء القعيطي ولم يزالوا يلومونا على الدخول معه في الحرب.

وأجابه منصور بأنك صادق فيما قلت غير أن شبام ميتة ولا تستطيع أن تتحمل قسطا من المصاريف مهما صغر وقل.

وكان منصور يرمي إلى أن تعاد الاتفاقية السابقة التي تنص على أنه يتسلم يوميا من الدولة سبعة ونصفا من الريالات الفرانصة وأن يبقى في شبام كأحد أفراد آل عبدالله، ولكن السلطان غالبا خيره بين أمور ثلاثة لا غير، إما أن يبقى حاكما في شبام وتنجده الدولة عند الحاجة بشرط أن تتحمل شبام ثلث المصاريف، وإما أن يخرج من شبام ويتولى بلدة تريس بدلا عنها وعلى الدولة أن تقوم بجميع مصاريف الفتن والحروب، وإما أن يتخلى عن شبام وتتولاها الدولة ويقيم هو بسيؤن كأحد أفراد آل عبدالله ويتناول يوميا سبعة فرانصة.

ولما يئس منصور من إجابته إلى ما كان يطلب تظاهر باختيار الثالثة وهو التخلي عن شبام وإرجاء التصديق على الاتفاقية، ثم غادر تريم هو ورجال الدولة معا إلى سيؤن وهو متظاهر بالرضى والغبطة متقد الباطن حنقا وغيضا وعاد منها إلى شبام.

كوت الركز :

وفي ٢٨ جمادي الأولى سنة ١٢٧٣هـ سرت جماعة من يافع ليلا ومعهم مبارك بن العريان بن عبدالعزيز إلى كوت (الركز) وفيه عبيد السلطان منصور ورموه بالمدفع فأثر ذلك في جدران الكوت وحينئذ هجم رجال يافع على الكوت واستولوا عليه ووصل المسعدون من شبام والتحم القتال في الطرفين وأرسل منصور صريخا إلى سيؤن مستنجدا بالدولة فوصلته النجدة يتقدمها الأمير عبود بن سالم.

استئناف المفاوضة :

وبعد هدوء المعركة والعودة إلى شبام استأنف السلطان منصور المفاوضة مع الأمير عبود وعرض عليه أن تبتاع الدولة منه نصف شبام بدراهم هو في حاجة إليها ويبقى نصفها الآخر تحت حكمه، فلم يقبل الأمير عبود ذلك ورفضه باسم الدولة رفضا باتا ثم عاد إلى سيؤن وترك ثلة من العبيد بشبام مع حاميتها.

انحياز منصور للقعيطي :

وفي ليلة ٢٠ جمادي الآخر خرج السلطان منصور إلى فناء حصن السعيدية في لقاء مع جماعة من وجهاء يافع وتم الكلام على أن يبيع نصف البلاد للقعيطي ويتسلم الثمن نقدا ولعل المفاوضة في هذا الشأن قد أخذت مجراها منذ توجه الأمير عبود إلى سيؤن، وعندما نقد القعيطي الثمن كاملا للسلطان منصور دخل به إلى شبام يحمله له بعض اخصائه ثم عاد وجلس هو وجماعة من يافع في فناء الحصن المشار إليه وأرسل عبيد الدولة المرابطين بشبام أن اخرجوا من البلاد حالا بدون مهلة وأخبرهم بالاتفاقية وانقضاء الأمر.

وفي صباح الخميس دخلت يافع إلى شبام في موكب وزجل عظيم وفي صباح الجمعة دخلها الجمعدار عوض بن عمر وحاشيته.

الاتحاد الكاذب :

بعد انحياز منصور إلى جانب الجمعدار عوض بن عمر القعيطي وامتلاك كل منهما ناصفة من شبام عظمت بينهما المودة الزائفة والصداقة الكاذبة وصارا يتفقان يوميا صباحا ومساء ويتعاشران معاشرة الأحباب غير أن كلا منهما يدبر الخطط السرية لإهلاك صديقه ومحوه من هذا العالم، وما كان يخفى على كل منهما ما يضمره أحدهما نحو حبيبه، ومضت الأيام والأسابيع والشهور والتدابير تعمل أعمالها في الباطن دون أن يبدوا منها إلى الخارج إلا الأثر الطفيف الذي لا تنهض به حجة، ولا تقوم عليه تهمة، ونفوس الطرفين تتلهف بشوق إلى احتضان الفرص السانحة لإنجاز العمل الحاسم لبت الموضوع وكان القعيطي لا يكره توسيع مسافة الخلف بين منصور والدولة بسيؤن وإيغار قلب كل منهما على الآخر.

نتائج منطقية :

وفي ذلك اليوم تولدت فكرة غريبة بين العاهلين وهي أن السلطان المرحوم عبدالله بن عمر بن بدر بوطويرق جد دولة آل عبدالله كان قد خلع نفسه من الملك وولى أخاه

بدر بن عمر بإشارة من الشيخ الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم كما تقدم في بابه، وبدر بن عمر هذا هو الذي اعترفت له الحكومة الإمامية بالملك وقد استمر الملك فيه وفي أعقابه من بعده إلى أن اغتصب منهم وبناء على هذا فإن المنصور بن عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر بن عمر هو الوارث الشرعي للملك وهو صاحب الحق في البلاد، وليس لأولاد عبدالله بن عمر أن ينكروا ذلك وإن هم ارتكبوا سبيل العناد في هذا فالحق ينحاز حينئذ إلى القوة وهي التي تعيدهم إلى صوابهم، ثم اتفق رأي العاهلين على أن يكتب منصور للسلطان غالب وقومه مطالبا بحقه فأن أذعنوا وإلا .....

كتاب منصور إلى سيؤن :

ولسنا ندري أصادرة عن جد هذه الفكرة من تلك الأدمغة الكبيرة أم عن هزل أم هي من الألغام الخفية التي يضعها القوم لبعضهم بعضا غير أن الكتاب قد كتب وأرسل بالفعل إلى سيؤن وهذا ما ورد فيه:-

((نعلمكم من شأن سيؤن أن أردتم تسلمون لنا مفاتيحها وتخرجون منها فهو المطلوب لأنها حق لنا ورثناها من جدنا بدر بن عمر وإذا كنتم قد خسرتم شيئا في إخراجكم يافع منها أذكروه لنا ولا بد ما نسلمه لكم وإن ركبكم الهوى ولا رضيتوا- جوابكم علينا إما كذا أو كذا ....))

وقد أرسل هذا الكتاب مع دلال من دلالي شبام ولم يتحصل منصور على جواب لكتابه هذا بل قيل أنهم قالوا للدلال قل لمنصور ليس له عندنا جواب ويقال أنهم سألوا الدلال عمن سلمه الكتاب فقال سلمنيه السلطان منصور بحضرة الجمعدار عوض.

حادثة الشريف :

وفي إحدى شهور سنة ١٢٧٤هـ دعي السلطان منصور إلى القطن لحضور زواج عند بعض سراة يافع فتوجه إليها مع نجله جعفر وصادف أن وصل الشريف

عبدالرحمن إلى العروض بقوم معه من القبلة وكتب إعلاما للدولة بوصوله ثم يعرض عليها تجنيد من معه (قلمه) قائلا انه قدم للجند أقوات شهرين وأنه يعرض مثل هذا على يافع ولا بد له من استخراج دراهم من حضرموت وإذا لم تقبل الدولة هذا العرض فإنه سيجند من معه عند يافع.

هكذا يقول الشريف في كتابه للدولة وأرسل ابنه حسينا إلى القعيطي بمثل ذلك وينذره إذا لم يقبل بأن يدخل في جانب الدولة، وقد ورد الجواب من السلطان غالب بأنه يمكنه قبول الجند بالقوت والذخيرة فقط أما الدراهم فالدولة لا تستطيع أن تتكفل بدفع شيء منها.

وجاء الشريف الحسين بن عبدالرحمن إلى القطن مصادفا حفلات الزواج الذي حضره منصور فكان هذا لا يكره التحريش بين الحسين ويافع جريا على عادته في الكياد للقوم سرا حتى نشب في بعض الليالي شجار عنيف بين الحسين وبينهم وتحدى كل منهم صاحبه (ميثان) فقال الشريف : (مالي عذر أعبر بخيلي ورجلي كبد القطن) وأجابه بعض مشائخ يافع: (إن دخلت القطن أدحق (طأ) على رقبتي هذه) وضرب اليافعي على رقبة نفسه وحينئذ توجه حسين إلى العروض فاخبر والده بذلك.

وفي يوم الأحد لعشر خلون من رجب أغار الشريف حسين وجماعته على القطن وتعرضت له يافع والتحمت الحرب بين الطرفين وسقط الحسين قتيلا في المعركة وعقر فرسه، وسلبت يافع سلاحه وحصلت خسارة جسيمة في الفريقين وممن قتل من جانب يافع مبارك بن العريان بن عبدالعزيز الكثيري، وقد مر له ذكر في غير هذا المكان وقالوا هو رجل ظالم فرج الله على الناس من شره.

المؤامرة ضد منصور وآباء محمد بن عمر :

طالما تشوقت وجوه يافع إلى الفرص السانحة للفتك بمنصور والتغذي به قبل أن يتعشى بهم فرأوا أن وجوده بالقطن أيام الزواج من أصلح السوانح لهذا العمل وهي

فرصة ربما لا يسمح الدهر بمثلها مرة أخرى، فتآمر جماعة منهم وفيهم الماس الحبشي على البطش بمنصور صبيحة ليلة المؤامرة، ولكن الجمعدار محمد بن عمر القعيطي لم يرق لديه هذا الصنيع فتصدى لمعارضته معارضة شديدة، أحبطت المشروع تماما، محتجا بأن منصور ضيفه ونازل تحت أمانه فالشهامة والمروءة تحتمان عليه أن يحميه حتى يخرج من ضيافته، ففشلت هذه المؤامرة وعاد السلطان منصور إلى شبام سالما.

قتل منصور وجماعته :

وفي ليلة الخميس ليومين خليا من شعبان سنة ١٢٧٤ هـ دبرت الخطة الناجعة بشبام لقتل السلطان منصور بن عمر بن عيسى م بدر – فدعي ضحوة الخميس إلى دار الخضراء وقد غصت بوجوه يافع فذهب إليها يصحبه ولد عيسى م بدر وثلاثة من عبيده منهم مقدمهم بخيت، ولما وصل منصور إلى الدار صعد إلى المحضرة فوجدها ملأى بأعيان يافع منهم الشيخ عبد الحبيب بن أبو بكر ابن النقيب فجلس يتحدث معهم، ثم دخل رجل فقال له : أن الجمعدار عوض بن عمر يريد الاتفاق بك في الطابق العلوي فقام ومعه سبعة من يافع ولما دخلوا المحضرة العليا التي كان ينتظرهم فيها الجمعدار عوض جلسوا يتحدثون قليلا، قيل أن بعضهم ناول منصورا كتابا مزوراً فلما قرأه اعتزى ونهض فسبقه أحدهم فضربه بنمشة من ورائه في رقبته وتمكن منصور قبل أن يسقط من نشر جنبيته وطعن بها أبن الدهري طعنة خفيفة ثم سقط قتيلا رحمة الله عليه.

وذهب اثنان من العسكر إلى دار ابن عمه على بن عبدالله بن جعفر فدعوه ليلاقيهم إلى الدهليز (الضيقة) فلما نزل إليهم لم يمهلوه فقتلوه وقتلوا أربعة من عبيد منصور وألقي القبض على غالبية آل عيسى وعبيدهم، وفر الباقون منهم من النساء والصغار إلى الخارج وتحصنوا بسيؤن وأمكنة آل كثير، وخلصت شبام منذ ذلك الحين إلى القعيطي.

بعض صفات السلطان منصور بن عمر :

كان لونه اقرب إلى البياض منه إلى السمرة، وكان معتدل القامة خفيف اللحية جهوري الصوت قوي العارضة، ولد ببلدة فمكاسان من بلدان مادورة إحدى جزر أندنوسيا وهي بجوار جزيرة (جاوه) وأمه من (المادورة) وقد ورث عن أخواله شدة التصلب في الرأي ومعالجة الأمور بالقوة فقط، وهو مع ذلك لطيف المحادثة أنيس المحاضرة حافظة للأشعار العامية السياسية والزوامل التاريخية، سخي بما تحت يده من النقود، لا يعرف التوفير ولا الاقتصاد، ومن أجل هذه الظاهرة تراه كثيرا ما يقع في الأزمات والضائقات المالية حتى يضحي بشيء من سلطانه في سبيل الحصول على النقود.

ما يلبسه من الثياب :

وكان يئتزر بالشياذر الحضرمية الثمينة، ويرتدي أحيانا عليها الجبب النفيسة والموشاة بخيوط الذهب، والتي يصل طولها إلى ركبتيه معتما بالعمائم (المحارم) الهندية متقلدا النمشة المرصع غمدها بالفضة ومتمنطقا بالجنبية الحضرمية المطرز مقبضها بنقوش الذهب.

حكى لي بعض شيوخ المعمرين من العلويين قال : لا زلت أذكر وأنا طفل لم أتجاوز السادسة من العمر، والنساء في جانب الحريم من دارنا يذهبن ويقبلن مشتغلات بتهيئة القهوة والغداء لقدوم السلطان منصور بن عمر الذي ظل اسمه ذلك اليوم ملء أسماعنا ولم أنس ساعة أقبل السلطان مع حاشيته ودخل فناء دارنا وهبط والدي مهرولا مع جماعتنا لملاقاته في الفناء وقد ألبستني يومئذ مربيتي أحسن ثيابي، وأدخلت أنا وأخ لي أسن مني مجلس السلطان وكأني الآن أرى السلطان وهو يسأل أبي عنا فيجيبه : هما ولداي فيبتسم قائلا : ما شاء الله ما شاء الله ثم أخرج من جيبه مطواة ملونة ودعانا إليه وقبل أيدينا ودفع لكل واحد منا ريالا فرانصة.

أما أخلاقه وعقليته فقد مر بك الكثير من تصرفاته التي توضح لك ذلك.

قصيدة ابن النقيب والرد عليها :

للشيخ عبدالله بن النقيب اليافعي قصيدة طنانة كلها من السهل الممتنع والشعر العذب المرقص يشمت فيها بمنصور بن عمر ويذكر قتله وأسبابه عليها جواب من الشيخ الشهير عبدالحق الدموني أحببنا إثباتها هنا لعلاقتها بالموضوع ولما فيها من الإجادة في السبك وحسن الإشارة إلى المقصود.

والقصيدتان إنما قيلتا بالشعر الحميني الدارج لأنه الشعر الذي تستسيغه أفهام العامة وتتقبله أذواقهم وترتسم به أذهانهم وهو لا يكون إلا باللغة العامية دون المراعاة فيه لحركات الإعراب أو التمشي مع قوانين اللغة الفصحى، وأما الوزن فهو عماده الذي عليه يعتمد إلا أنه كثيرا ما يفارق أوزان الخليل والأخفش بل يتكيف بأوزان متنوعة تنسقها نسقا له طبيعة السوانح المنفوثة من نوائح الجوانح.

وربما تعسر على غير الحضرمي أن يتذوق ويستسيغ بعضا من وزن القصائد الحمينية الحضرمية لعدم تعود لسانه على نطق الدارجة.

واليك الآن قصيدة ابن النقيب في مقتل منصور ووزنها هكذا :-

متسفعلن فاعلاتن فاع لن فــع لــن مستفعلن فاعلاتن فاع لن فــع لان

قال ابن النقيب :

يا رب سالك بالاسماء كلهاتنشــرح من الخطايا عسى بالعفو يوم النــور
اغفر ذنــوبي الهــي رب لا تفضــح راجيك تكرم بجودك عندي اللقصور

إلى أن قال وأجاد لولا سماحة الشماتة وغثاثة السباب :

ذا فصــل والبــارح النــوم اشــتعف روح طول الوجاه ما هنيتــه و الســهر منكــور
النــاس نــاموا وانــا بطلــت في المســدح لا هــم دنيــا ولا باطــل علــى مقهــور
الحمــــد لله نــــور القبولــــة يــــذلح لانا بــلا قــوت في الصــفرا ولا محصــور

العز يكفي وسطها إذا نا اتبجح ... من ساحة الحصن لما دارنا المشهور
يسلم عمر بن عوض فوق العدو ديح ... بالحال والمال والمدفع عليه يثور
وحملة الشرق لي خافته يوم أكلح ... في الركز شاف القيامة بعثها ونشور
وصلوه ربعه كما الاظباء سوا ترزح ... وخلوا العبد يدحا في الجبل مكسور
يدعون من فوق طيب يا وليد افتح ... وأهل اللمش في تلاهم هلبوا زمهور
من بعدها ديف المكسور ما رنح ... ولا حسب لي بقلبه عندنا محزور
عينه بقطعات بايذبح وبايقدح ... عايب يدوم الجماعة هاك بالمقصور
نفخوك بالعيب كل فيك يتمدح ... ذا خلع بيدك خلعته فيش من محذور
دثرك وقع لك تفطن من قتل لكسح ... وبن عزيز أيش لقى فيك يا القنتور
ما حد يشارك بحرمة صوبها ينضح ... ما يصلح العقد بين أثنين يالمدمور
في الاولة قد قمرت الناس بالجلح ... والثانية غاب سحرك فر يالمسحور
وقعوا له آساد غاصوا له وهو يسبح ... لقفوه من منزله حوش بهم قنبور
ولو هو الأسبق كلين با يفرح ... وبا يقولون دامت بيده النبور
قم يا رسولي من الدمنة شبام اسرح ... حلو وسطها بني مالك رجال صدور
لي ذللوا صبعها خشوه وتسمح ... من بعد ما كان يطمر في السماء مذعور
بالمعتني فوق مهري مصطلح يجمح ... مر تحت قبل يحذف بالزبد معكور
توك بوادي العجل مرتحت ذي أصبح ... نسم خطامه ومن بعض الحجج مقصور
في حيد قاسم يميح طير ما يبرح ... فوق المسيلة منجد منطلق مشحور
توك وعبرة في الحيوار يتقزح ... من كوت عامر وقبلة لا تجي للسور
واقصد إلى الشعب ذي هوبالرصاص افلح ... نعمته لي غيم الباروت فوق القور
فيه آل سلمة دريك الحرب لي صيح ... وارم المعلم سعيد اشرح له المسطور
قل له يقول السعيدي غيثنا طرح ... فوق المدينة ثمنا نخلها وذبور
ما هو كما غيثكم كل لغب يلفح ... يرعد ويبرق وتاليه ارتكزن عكور
شف من لغب ما لغبنا كان يوم أفسح ... واليافعي دوب وقته يذلح المتزور
حدرا وعلوى شفوا من ذل يتفلقح ... من لا تفكر لنفسه ليت له معقور

ذا وقت كل بعقله من ظمى يترح ... من شاوف الناس يحرم لاضواء محبور

وأجابه المعلم عبد الحق قائلا:

لاحت بروق الظفر في الليل ذي جوح ... وحن رعد الجميلة فوق رؤس القور
من فوق يحجم والمزن تطرح ... فتكت سيوله وروا ذبره المعمور
وجاء مكتب وقال أن لا انت خصم افرح ... يافع طووا لآل عيسى م بدر بالأحصور
ذي سيرهم كان في ظلمة بليل اكشح ... واليوم من بعد تلك الظلمة امست نور
والوعل ذي كان في الأحبار يتبجح ... ما يعرف الدقم خايف دثره المدثور
في الجو رأسه إذا شاف القنص زوح ... غير الاجل في الصحايف يوم له محزور
يوم انقضى العمر من شاهق جبل لوح ... ولعاد عرقه شبا منها ولا ثعزور
من غيرنا هل ورد للدقم ويتسمح ... عسفوا قرونه وشربوا دمه المنشور
تقنو فعائله ذي تازي وذي تجرح ... وإلا فو الله ما حد يقتل المأسور
الجيد اللي قتل من سوفها نفرح ... ليته قتل يوم لاقى تحت فقشي الدور
غير المنية رمت به بن عصم لبيح ... ما عاد يعزم بنفسه لو يكن معذور
ما تصمد الحذفة الأكل راس اقرح ... ومن ذرى بر حصل ذرية المبرور
ومن ذرى شوك مثله قط ما يبرح ... هو من ذرى ذرى للحيلة كما منصور
اشغله بيع المنحة شافها تنضح ... ولا أشغلته البقش ذي تكسر العبرور
الفقر يازي وذكر الفقر لا صبح ... وصاحب الفقر بقطب زنده المعسور
ياعازم اعزم من الشعب الورب واسرح ... في الحال من دار بحري المسجد المشهور
حليت في وسط غلمة للبلا تنطح ... وفي الضنك كل مترس منهم مخبور
سمح بخطي مبحر شف من سمح ... واقصد شبام التي مكسورها مجبور
استنشق الظرف في متناهم واروح ... والقامزي شغل ذي حلان تحت الدور
تلقا محمد إذا جا الضيف يتفرح ... وان لا ضوى بات في جنح الدجى مذعور
قل له مهنى لكم في الفلك ذي طرح ... ذي كسروا يافع ادقاله وهو مصمور

إلى أن قال:-

يا عاني اقصد لمن في ديرته رنح ... من بعد شدة ليالي قد مضت وعصور
خصه سلامي وقل له يالسعيدي صح ... صوب المعلم وهو من شأنكم معكور
وصل كتابك وبطنه كل سطراً سمح ... كانه من النحو فيه الجار والمجرور
صححت؟ وإلا خبركم عاد ما تصحح ... ولا تعين لي القامر من المقمور
الحرمة العاقر اللي صوبها ينضح ... صارت لكم بكر بعد الماسي المكسور
والصقر ذي في الهوى يصقر إذا ميح ... برح وصارت عيونه من فعاله عور
ذالا من السعد وإلا كان ما يبرح ... غزلوا يفوعه شبك من غزله المزور
ذكرت عينه على قطعا ت بايذبح ... كله على البال ما في ذا الزمن منكور
هذا جوابك وتذكر غيثكم يذلح ... وغيثنا بعد رعده ارتكزن اعكور
كله من الريح لي منه المزن تلقح ... يوم استعف صار غيث القبوله منخور
ولعاد حوس ونخل المدعي صوح ... دبر لساعة حصاده وأحكم التدبور
أيام من شقها الباروت يتسمح ... ليلة بليلة يفلح يافتى قرقور
كم من جميلة وكم جوده بها فلح ... ذا وأنت حاضر وسرنا في نعم وسرور
ذا قال ما هو كما منصور با يشرح ... لي حطحط الحيد قطبها متن وأظهور
نحن وأنتم فسحنا و العدو ما فسح ... الإ إن أظهر سيل منكم ذي يزوع القور
والخصم ياخو علي بالصلح يتفرح ... قايس من أرض التميمي با يقع مقصور
طرحت رزايع عجبنا ذي كوى نجح ... لكل من سار عرض الحد هو مقصور
أمسى كما الفار وسط الغاز ذي يلفح ... وفوق ذلك طرحنا تحته النور
ومن لغب خلها من الديم لا تفذح ... قد خير يبقى المخبا بينا مسرور

خاتمة الجزء الأول:

إلى هنا ينتهي الجزء الأول المشتمل بعد التمهيد على قسمين، القسم الأول عن الدولة الكثيرية الأولى، والقسم الثاني عن الفترة الواقعة بين الدولتين وسلطات الطوائف التي توزعت أمر حضرموت وما نشأ في هذه الفترة من دويلات ضعيفة الحول والطول، ويلي هذا الجزء الثاني ويبدأ من قيام السلطان غالب بن محسن الكثيري مؤسس الدولة الكثيرية الثانية ومجدد المجد الكثيري المندثر.

الفروق بين المتشابهة أسمائهم من سلاطين الدولة الكثيرية وأمرائها نذكرها لئلا يحصل الالتباس على القارئ

الرقم	الاسم	السنة
	علي بن عمر بن كثير	٦٧٥
١	علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير	٨٣٠
١٢	علي بن عمر بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر	٩٤٩
	علي بن عمر بن بدر بوطويرق	١٠١٢
٣	بدر بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي	٨٤٢
٣١	بدر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر	١١١٣
٤٠	بدر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر	١٢٢٣
٤	محمد بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر	٨٣٥
١٤	محمد بن علي بن عمر بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر	٩٧٥
	جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر	٩٠٥
١٨	جعفر بن عبدالله بن بدر بن عبدالله بن جعفر	٩٩٠
٢٤	جعفر بن عبدالله بن عمر بن بدر بوطويرق	١٠٥٣
٥	محمد بن عبدالله بن علي بن عمر.....	٨٥٥
١٠	محمد بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر.....	٩٧٥
	محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي	٩٦٥

٦	بدر بن عبدالله بن علي بن عمر	٨٥٥
١١	بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر الملقب بوطويرق	٩٧٧
٢٢	بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر بن عبدالله بن جعفر.....	١٠٣٠
٨	عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر	٩١٠
١٣	عبدالله بن جعفر بن عمر بن محمد بن عبدالله بن علي بن عمر	١٠٠٠
٩	بدر بن محمد بن عبدالله بن علي بن عمر	٩١٥
٣٠	بدر بن محمد المردوف بن بدر بن عمر بن بدر	١١١٣
١٧	عبدالله بن بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر	٩٨٤
	عبدالله بن بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر بوطويرق	١٠٤٠
٢٧	عيسى بن بدر بن عمر بن بدر بوطويرق	١٠٨١
٣٢	عيسى بن بدر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر بوطويرق.....	١١٤٠
١٥	محمد بن بدر بن محمد بن عبدالله بن علي بن عمر	٩٤٨
٢٦	محمد بن بدر بن عمر بدر بوطويرق الملقب بالمردوف	١٠٦٠
٢٨	علي بن بدر بن عمر بن بدر بوطويرق	١٠٩٣
٤١	علي بن بدر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر	١٢٢٤
٣٣	عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر بوطويرق	١١٣٠
٤٣	عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر بن عمر بن بدر بوطويرق	١٢٤٣
٤٢	عمر بن جعفر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن	١٢٤٣

مصادر الكتاب

انس السالكين	لباهرون العلوي
برد النعيم	للشيخ الخطيب
تاريخ بامخرمة	لابن الطيب
تاريخ أبن حميد	للشيخ سالم بن حميد
تعليقة العطاس	للسيد أحمد بن حسن العطاس العلوي
دشتة بافقيه	للسيد عبدالقادر بن علوي بافقيه العلوي
السناء الباهر	للشلي العلوي
صلة الاهل	للشيخ محمد بافضل
كلام بن سميط	للحبيب أحمد بن عمر بن سميط العلوي
كلام الحبشي	للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي العلوي
مذرة غالب	للسلطان غالب بن محسن
نزهة الاسماع والابصار	للجرموزي
النور الباهر	للسيد عبدالقادر العيدروس العلوي

الجزء الثاني

بسم الله أولاً وآخر ، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

الجزء الثاني

نقدم إلى قارئنا الكريم الجزء الثاني من تاريخ الدولة الكثيرية مؤملين أن يحوز رضاه وينال إعجابه . ولقد ألقيناه بين يديك كما كان لا كما يجب أن يكون ، إذ لم تسمح لنا الظروف بذلك ولم يواتنا الزمن به. على أننا لازلنا نمد أيدي الابتهال والضراعة راجين من الباري أن يمد في الأجل ويفسح في العمر لنتمكن من إنهاء الجزء الثالث الذي به تكون خاتمة هذه السلسلة من هذا التاريخ .

والجزء الثاني يبتدئ بقيام الدولة الكثيرية الثانية وينتهي بوفاة السلطان منصور بن غالب سنة ١٣٤٧هـ. وقد رأينا أن نقسمه إلى دورين :

يشتمل الدور الأول على : عهد الحروب بين الدولة الكثيرية الناهضة وبين السلطات اليافعية. ثم بين الأولى وبين الدولة القعيطية الفتية .

ويشتمل الدور الثاني على : عهد الصلح والسلم واستقرار دولتي القطر ومحاولتهما الإصلاح وإبرام المعاهدات على استتباب الأمن وحفظ السبل ونصرة المظاليم وإقامة موازين العدل. وهذا العهد يبتدئ من بعد استيلاء القعيطي على المكلا وذلك آخر القرن الماضي .

الدور الأول
إخلاص المساعي

تمخضت المساعي العلوية التي طالما ذهبت تنحو كل ناحية من مظان العثور على وال عدلٍ يستطيع أن يخضد من أَشْرَاكِ تلك الفوضى الغاشمة التي تجأر منها القطر الحضرمي ويستغيث منها أهلوه ، مما قد ألمعنا إلى بعضه في الجزء الأول من هذا الكتاب – أجل لقد تمخضت تلك الجهود الصادقة بعد أن تلمست جدران المحيط بأسره ، وعجمت أسهمه عوداً عوداً ، وأسفرت عن الاتجاه صوب إحياء الدولة الكثيرية البائدة التي قد نهض من رجالها في ذلك الوقت العصيب أفذاذ ضربوا صدورهم لتحمل هذا العبء الباهظ .

ولم يكن في الأصل مقصد أولئك الدعاة من العلويين متجهاً إلى أية نعرة أو عصبية جنسية تتحيز إلى فئة مخصوصة من الناس دون غيرها. فقد قرعوا باب ابن مقيص اليافعي ، ومنصور بن عمر الكثيري ، وعمر بن عوض التميمي ، ومحمد علي المصري ، و إمام صنعاء الزيدي مؤملين أن يكون لدى هؤلاء الأبطال شيء من الإصلاح المنشود .فإذا ببروق الآمال كلها خلب لاتمنح ربها إلا رذاذاً من الفشل التام والإخفاق .

السلطان غالب
محيي الدولة الكثيرية

ميلاده ونشأته :

هو السلطان غالب بن محسن بن أحمد بن محمد بن علي بن بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر بو طويرق. ولد في غنيمة من وادي تاربه سنة ١٢٢٣ هـ وقد نشأ من صباه مفكراً في ضياع تراث أهله من الملك محباً للعزلة. وقد يشترك مع القوم في النزهة بالقنص والصيد. ولكنه مع ذلك كثيراً ما يجلس عند محطهم لنفسه منفرداً عن بقية القبائل من العوامر وغيرهم من يافع الذين كانوا يلاقونهم من سيئون بموعد ويشتركون معهم في القنص. وكان رجال الحوف و أبناء البلد كثيراً ما كانوا ينحازون إلى الفتى غالب عند المحط فيسمعون حديثه ويعجبون به. وكان هو يتطلب المعمرين من الرجال فيرتاح إلى ما يسوقونه لـه من أخبار آبائه وما جاء عنهم وفيهم من أشعار وزوامل .

وكانت العادة عند أرباب القنص بجبال تاربه إذا عادوا من رحلة الصيد يذهب الجميع – من العوامر ويافع ومعهم أهل الحوف – إلى سيئون فيدخلونها بزفاف عظيم وموكب بهيج وإطلاق رصاص وزغاريد تملأ الجو. أما رجال آل عبدالله فيفترقون عنهم في الجول « رأس الجبل » عند مفترق الطرق عائدين إلى غنيمه بتواضع وهدوء غير راضين بالدخول إلى سيئون عاصمة ملكهم المسلوب في حال كهذا

قالوا : وفي ذات سنة من السنين رأى بعض دهاة يافع وهو على ما يقال الشيخ : صالح بن سالم بن الشيخ علي ما يحف بالفتى غالب هذا في انعزاله عن الرفاق ومن إقبال العامة عليه وإجلالهم لـه ، واستنتج من حالته ما صرح به لقومه من أن لهذا الفتى إن بقي مستقبلاً يتخوف منه على مركزنا نحن بسيئون. قالوا : وقد عاش

صالح هذا حتى شاهد كل شيء. فأذكر قومه فراسته الصائبة فشدا بلسان حاله :

نصـــحتهم نصـــحتي بمنعـــرج اللـــوى فلم يتبينوا النصـــح إلا ضـــحى الغـــد

اتصاله بأكابر العلماء :

واتصل السلطان غالب في صباه بأكابر علماء القطر ، وصلحائه من العلويين وغيرهم كالحبيب حسن بن صالح البحر ، والحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر ، والحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى ، والعلامة الشيخ عبدالله باسودان ، والشيخ الإمام عبدالله بن سعد بن سمير. وذلك بواسطة عمومته الذين كانوا على اتصال تام بأولئك الأكابر. وقرأ السلطان غالب عند بعضهم ، وتلقى عنهم دروساً علميه وأخلاقية فنشأ في بيئة دينية حماسية خلقت منه بطلاً صالحاً للمهمة التي قام بها فيما بعد .

سفره إلى الهند :

ونزعت نفس غالب للسفر فاتجه نحو الهند – مملكة الدكن – سنة ١٢٤٦ هـ وكان للعرب بها حينذاك عنصرية متينة المراس تقوم عليها جل المهام العسكرية للحكومة الاصفية وكان جلالة السلطان محبوب علي خان ، في ذلك العهد يعتمد كل الاعتماد على عسكرية العرب ويراها من الضروريات لحفظ كيان سلطنته التي هي محاطة بالأعداء من كل ناحية ، وتفاقمت سطوة العرب إذ ذاك حتى بلغت حداً ضج منه الكثيرون تذمراً. ووصل غالب بن محسن إلى حيدر آباد ووجد بها عميّه علياً بن احمد ، وعبود بن سالم فمهدا لـه الطريق إلى التقدم نحو درجة الجمعدارية وساعدته عبقريته وعصاميته فلم يلبث أن لحق بالأبطال المقربين في الحضرة النظامية .

وكان القعيطي والعولقي وأبو الليل وغالب بن محسن في تلك الأوقات العصيبة منغمسين في سكراتهم بفخفخة العسكرية بحيدر أباد ومنهمكين في التفاخر بالعُدد والعَدد والترقيات والجامكيات والتزلف لدى النظام ووزرائه فكانوا قد يتلهفون إلى أخبار حضرموت ولكنه تلهف المهاجر إلى أخبار وطنه فقط من دون شعور بأي ألم

ينتج من الحال التي يجأر منها القطر الحضرمي. إلا أن غالب ابن محسن – وهو من سلائل سلاطين آل كثير الأصليين– يحس في نفسه بطبيعة الحال وخزاً متداركاً مما رآه قبل سفره ومما يسمعه من عبث المتغلبين على أملاك أجداده وتلاعبهم بحقوقه الشرعية تلاعباً غير مرضي. فكان هو الشبل الشجي بين أولئك الأبطال الأربعة .

وطال مكثه في الهند وأبحر عمه علي منها إلى الوطن والأفكار السياسية تتصادم تصادماً عنيفاً وتتدافع تدافع الأمواج في المحيط الهائج. ومن المعلوم إذ ذاك أن الذين يحرصون كل الحرص على إقامة والٍ عادل ويبذلون ما يستطيعونه من الوسائل في سبيل ذلك إنما هي الطبقة المتنورة من المتجردين عن السلاح والمتفرغين للعلم والعبادة والإصلاح بين الناس والقيام بإدارة شئونهم البيتية والاقتصادية. أما المسلحون من الناس فإن لهم من سلاحهم والياً ونصيرا يردع غيرهم عن ظلمهم ومهاجمتهم إن لم يحملهم على الظلم والتعدي ولو أن الاقتصار على حمل السلاح كان كافياً لرد الظالم لتسلح العزل وارتاحوا ، ولكن العصبية المتأصلة لدى المتسلحين خلة ذات بال ليس لها وجود البته بين أولئك المتجردين من السلاح وإن تسلحوا من جديد ، فإن غرسها في النفوس يحتاج إلى استئناف تربية أخرى للنشئ وانتظار جيل آخر يقوم على أنقاض الجيل الحاضر . على أن الضرورة الحاضرة لا تبيح هذا الغرس لما تستعجله من الخلاص من هذه الورطة .

تباطؤ آل كثير :

كانت وجهة الدعاة من العلويين إلى إحياء الدولة الكثيرية على أن هذه لا تقوم إلا بنهضة آل كثير ونصرتهم إياها وأنه لا حياة للدولة إلا بالاعتماد عليهم وإسناد الأمور إليهم ، وعلى هذا فقد انتاب كثير من وجهاء العلويين ومناصبهم أماكن القبائل الكثيريين خاصة والشنافر عامة زرافات ووحداناً لدعوتهم إلى هذا المشروع الخطير والنهوض بأعبائه وإيجاد نعرة شنفريه تعضد غالب بن محسن في قيامه .

وممن كان مجداً في نشر الدعاية غادياً ورائحاً إلى الربوع الشنفرية الحبيب الحسن بن صالح البحر الجفري والحبيب محسن بن علوي السقاف ومناصب السادة آل العيدروس ببور وتاربه والحبيب علوي بن سقاف الجفري وغير هؤلاء من الدعاة الذين لم يألوا جهداً في أداء مهماتهم. هؤلاء في الجانب الغربي أما في الجانب الشرقي فإن الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر والحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى والحبيب محمد بن عبدالرحمن العيدروس صاحب ثبي والمعلم سالم بن عبدالله بن سمير كل هؤلاء وغيرهم معهم يبذلون دعاية عظيمة وجهوداً لا تكف في سبيل خلق هذه الدولة الموهومة. ولكن تلك الروح الكثيرية التي كانت سابقاً تهتز شوقاً إلى تأسيس دولة تنسب إلى بني كثير يقتعدون بها ذروة المجد ويمتازون بها عن غيرهم من قبائل البلاد تلك الروح الوثابة قد انتزعت _ ويا للأسف _ من نفوس من خلف أولئك الأسلاف انتزاعاً حل محله بها داء الأنانية والأثرة والتحاسد اللواتي سببن للدعاة من العلويين وعقلاء آل كثير أنفسهم تعباً عظيماً واضطرتهم إلى العمل لخلق روح جديدة حماسية تدفع بالقوم إلى التضحية في سبيل الوصول إلى الغاية المقصودة.

ومن الغريب أن ترى الأثرة تجري بصاحبها القهقرى في سبيل العصبية التي يتمسك بها أربابها ، فصاحب الأثرة متعصب إلا أنه كجاذبية رئيسية يرتفع إلى أسفل ومتعصب إلا أنه (كجعلان) المزابل يتقدم إلى خلف ، وانك لترى رجالاً شاذين من الكثيريين أنفسهم يجدر بهم أن ينهضوا بغالب ابن محسن ويتذرعوا به إلى إعادة سلطانهم ومجدهم قد أوقفوا أنفسهم موقف المعاكسة لهذا المشروع والتثبيط للمقبلين عليه منهم هامسين بأن في السلطنة ذاتها إذا قامت ذلاً لهم وتسيطراً عليهم وخدشاً لناموسهم القبائلي وتحككاً باستقلالهم الممتاز لاسيما وأن القائم بها هو رجل منهم سيسودهم ويمتاز عنهم ويسموا عليهم ويتملك فيهم.

وليس لهم إلا أن يعضدوه وينصروه ويقاتلوا دونه ويضحوا بأنفسهم ونفايسهم في سبيل رفعته فما هو الداعي إلى هذا كله وهم في غنى عن أقل من ذلك .

وأغرب من هذا كله أن أحداً من عشيرة الرجل نفسه من الذين يعتمد عليهم في هذه الشئون قد سرى إليه أيضاً روح التخاذل الشرير وكاد يلقي بالحبل على الغارب لولا أن الله سبحانه قد سبقت إرادته بوجود رجال نجحوا في ترجيح كفة التنشيط على كفة التثبيط .

ولنقدم لك شيئاً واحداً يعطيك صورة مصغرة من ذلك الجهاد الأدبي العنيف الذي قام به دعاة إحياء الدولة الكثيرية وذلك الشيء هو مكتوب من الحبيب الحسن بن صالح البحر مرسل إلى السلطان غالب يصف له فيه بعض الحال قال :

وقد دعونا آل كثير وأمرناهم بالاجتماع حتى اجتمعوا في بلد الغرفة ، وقلنا لهم مرادنا منكم أن ترجعوا إلى حكم الله وشريعة رسوله فتفوزوا بالحسنيين وسعادة الدارين. و اجتمع الرأي على أن نجتمع بأهل الأمر من أصحابكم. وأتينا إلى بلد سيئون فلم نجد أحداً من حذاقهم وأخبرونا أن علي بن أحمد هو الذي إليه الأمر وهو بتاربه فكتبنا له يصل فأجاب انا فيّ قلة مقدرة ونودكم تصلون فوصلنا إلى تاربه واجتمعوا لهذه الدعوة آل كثير والعوامر وآل باجري وصار جمعهم في دار الحبيب عبدالله بن حسن العيدروس فاستحسن من الكل ظاهر كلامهم وقالوا يكون اجتماع ثاني لنتفقد قبيلتنا وأصحابنا ليكون البناء على أساس وصار الوعد لعشر في صفر في بلد سيئون. فلما أن قرب الموعد أرسل علي بن أحمد أن لا أحد يصل إلينا ولا يكون اجتماع في بلد سيؤن وصار منهم ما صار من صريح المخالفة حتى أنه قبض جملة من أهل بيت رسول الله لطلب غرض والذين طلعهم هم من المعسرين فضاق علينا الأمر بهذه الجرأة وأضهر بنا الغيظ والحنق حتى أنه طلب من

الحبيب علوي بن سقاف أن يأتي إلينا فلم نرض مجيئه إذ هو مصر على فعله ثم أتى إلينا هو وبعض الحبائب آل أحمد بن زين فلم نقبله شفقه ورحمة علينا وعليه من غضب الله• وقد علمتم أيضا بما أتينا به للجمع الثاني لآل كثير المذكورين فأجابوا واجتمعوا وطرحوا محابيهم لمن بايقوم بالأمر من حكم وشريعة رسوله حتى أن بعضهم يقول إن بايقوم بهذه منصور أو خلافه وإذا وقع الارتضاء بمنصور فعنده لنا رجال نحن مسامحين بهم لله وشريعة رسوله. وكم كتبنا لأصحابكم ولم يصل منهم أحد وقد علمنا أنهم مصرين على ما هم عليه فالحكم لله العلي الكبير .

امتلاك الدولة بلدة الغرف

التقرب من القرامصة :

ووضع الدعاة المناهج اللازمة التي سيسيرون عليها ، وقد بدؤا بتكتم شديد في التقريب بين رجال الدولة وقبيلة القرامصة التميمين التي لها حق السلطة على المدينة وأخذت المفاوضة تدور بين الطرفين حول الغرف .

أهمية البلدة :

ودعاة إحياء الدولة الكثيرية حريصون كل الحرص على ابتياع مدينة الغرف من قبيلة القرامصة التميميين لما لتلك المدينة من الأهمية في السيطرة على الطرق الرئيسية التي تربط أجزاء الوادي بعضها ببعض. ولما لها من الموقع الممتاز .

نجاح الجهود :

ولما تشأ الأقدار أن تذهب تلك الجهود المبذولة سدى فقد نجح القائمون به وتم الاتفاق على أن تبتاع الدولة هذه البلدة لتكون مركز الأعمال. بمبلغ ألف ومائتي « ١٢٠٠ » ريال فرانصة. وكتبت وثيقة بذلك أمضى فيها عن القرامصة علي بن عمر بن قرموص وسالم بن عبدالله بن علاو. وعن الدولة السلطان عبدالله بن محسن بن غالب نائباً عن أخيه غالب وذلك غرة محرم سنة ١٢٦١ هـ .

شروط القرامصة :

وقد حفظ القرامصة لأنفسهم حقوقاً في تلك البلدة [1]واشترطوا أن تكون لهم امتيازات وتدخلاً اضطرت الدولة أن توافقهم عليها. فقد اشترطوا أن لا يكون للدولة نفوذ خارج البلدة. ولهذا أسرع السلطان علي بن أحمد ، فابتنى للغرف سوراً وابتنى رجال الدولة بها دياراً لهم. وأحدث بناء السور هرجاً ومرجا بين القرامصة الذين توهم بعضهم أنه مناقض للاتفاقية التي بينهم وبين الدولة وأن في بناءه ضرراً لهم ولكن رجالاً من مصلحي العلويين توسطوا في التفاهم بين الطرفين فأزاحوا الظنون السيئة وأعادوا المياه إلى مجاريها .

صدى هذا الحادث في الأندية والمحافل :

وقد انتشر الخبر قبل التوقيع على صك البيع انتشاراً أحدث أسوأ الأثر في الأوساط التميمية. وحاول رجال عرقلة المشروع فلم يفلحوا. وتلقاه الناس باهتمام عظيم حمل المتكهنين على انتهاج ضروب شتى من الحكم على مستقبل هذه الدولة الموهومة التي لم تبرز بعد من الخيال إلى الفعل. كل هذا جاء والناس لايكادون يصدقون بأنه يدور في خلد غالب بن محسن القيام بتكوين دولة قاهرة يستعيد بها تراث آبائه وينتزع بها مدائن القطر من السلطات اليافعية القوية الشكيمة عدداً وعُدداً.

وأخذت الجالية الحضرمية بالمهجر تتطلع بتلهف شديد إلى ما يرد إليها من أخبار الوطن ومفاجآته التي لم تكن تخطر على بال أحد قبل شهور يسيرة وطفقت ألسن الشعراء وأقلامهم تتحرك بنشاط عظيم في ميادين الإغراء والتهيج متجهاً كل منها نحو الوجهة التي يوليها صاحبه .

---

(١) فابتنى للغرف سورا وابتنى رجال الدولة بها ديارا لهم. واحدث بناء السور هرجا ومرجا بين القرامصة الذي توهم بعضهم انه مناقض للاتفاقية التي بينهم وبين الدولة وان في بناءه ضررا لهم. لكن رجالا من مصلحي العلويين توسطوا في التفاهم بين الطرفين فأزاحوا الظنون السيئة وإعادة المياه إلى مجاريها.

أهمية المشروع :

وامتلاك بلدة الغرف خطوة مهمة خطيرة الشأن في مشروع تأسيس الدولة. وبه دخلت فكرة إحياء الدولة الكثيرية دوراً عملياً حاسماً بعد ان عمل على إعدادها والتمهيد لها أولئك العباقرة الأفذاذ. وأصبحت الدولة الكثيرية بامتلاك غالب ابن محسن بلدة الغرف حقيقة واقعية .

نتائجه :

وبطبيعة النجاح الذي ظفرت به الدولة أن تتنبه أذهان القبائل من تميم ويافع إلى خطورة الأمر حتى جعلوا ينظرون إليه من طرف خفي متظاهرين بعدم الاكتراث به .

قدوم الأمير عبود بن سالم من الهند :

وبدت الحاجة بحضرموت إلى الأمير عبود بن سالم وكان ببلاد الهند مرافقاً للسلطان غالب فكتب الدعاة إلى الهند يستحثون غالباً على إشخاص الأمير عبود إلى حضرموت ليقوم ببعض المهمات في تكوين الدولة .

ترجمة الامير عبود :-

المعلم بن سمير :-

نيابة عبدالله بن محسن عن اخيه غالب :-

ثناء الحبيب علوي بن سقاف الجفري عليه :-

الناشر : (العناوين وجدت في الأصل هكذا ولم يتم استكمال مواضيعها من قبل المؤلف)

امتلاك الدولة حصن مطهر

وارتأ الأمير عبود أن حصن مطهر المشاد على الجانب الشرقي من جبل كحلان هو خير معقل تحتاج لـه الدولة في جهادها فما لبث أن امتلكه من آل مقيص بثلاثمائة ريال واحتله برجاله .

ونقم كثير من الناس على الأمير عبود امتلاك هذا الحصن لأنه أثار حفائظ جماعة من آل تميم ونبههم إلى اتجاه الدولة. ويزعم هؤلاء أن مضرة امتلاك الحصن لا توازي الفائدة المأمولة منه. ولكن الأمير عبود يرى أن القبض على ناحية الطريق أهم من كل شيء. ولعله يرى أن الحرب بين الدولة ويافع وتميم لابد أن تنشب و إن لم يكن لها اليوم أثر ما. وان قناع التظاهر الحاضر بالسلم والمجاملة لا يلبث أن يخلع عما قريب. فالأمير لا يحب أن يقال في حقه وحق حصن مطهر فيما بعد (الصيف ضيعت اللين).

وكان قبيلة آل قصير التميمية والساكنة حوالي بيت جبير بينها وبين مجاوريها من آل شملان عداء مستمر أدى إلى حروب وغارات. ومن المعلوم أن آل شملان نزعتهم نحو اليوافع قوية واتصالهم بهم وثيق، لهذا تقرب القصيريون من السلطان وعقدوا معه حلفاً قوياً مطلقا وجعلهم السلطان حرساً لحصن مطهر ووضع رجالاً منهم فيه وبقيت الصداقة بين الدولة وبينهم أمداً طويلاً حتى أظل وقت الانقلاب الحديث وقد أصبحت يد القصيرين مترتبة على الحصن وانمحت تدريجياً صولة الدولة عليهم عندما انتهت الحروب بينها وبين يافع وبينها وبين تميم فاضمحلت سلطتها على الحصن بتاتاً. وجاء وقت الانقلاب الحديث والحصن ينسب إلى آل قصير. وبهذا عرف كونه تميمياً بحتاً.

الاتجاه نحو تريم

ومدينة تريم هي أهم مدائن الداخل وأكثرها عمراناً حافلة برجال العلم والعمل والفضل وبالعائلات الثرية .

وللمدينة سلطة أدبية على القرى التميمية الواقعة بضواحيها مما جعل الشأن الأكبر للمبتسط عليها في تسيير الهيئة الاجتماعية والمحافظة على الامن بهذا الجزء من وادي ابن راشد وبناء عليه لم تشأ الدولة أن تهمل الاستيلاء عليها. فتمحضت

جهود رجال عن الاتجاه نحو ابن همام صاحب منطقة الخليف بتريم والتقرب اليه نظرا لحاجته الى ملجأ يلجأ إليه يقيه شر ابن عمه غرامة .

الاتفاق مع ابن همام :

ولم يشأ الدعاة أن تفلت منهم فرصة التباغض والتنافر بين السلطات اليافعية البعسية بتريم دون الاستفادة منها فأوعزوا إلى الأمير عبود بن سالم وعبد الله بن محسن أن يتوددا إلى ابن همام صاحب الرناد والمتسلط على منطقة الخليف بالمدينة فلم تخف عليهما الطريق إلى استجلابه والتزلف إليه. فبدأ الأمير عبدالله بتعزية الهماميين في فقيدهم عبدالحبيب بن لحمان الذي قتله عبيد غرامه فجاؤا لزيارتهم وهم بحصن محسن الذي يقع غربي مقبرة الفريط. ثم رد الهماميون الزيارة إلى الغرف ومن تبادل هذه الزيارات حصل الاستئناس والترواح بين الهمامين والدولة وما طال الوقت حتى انعقدت الصحبة والمودة بين الطرفين وفي منتصف ١٢٦٢ هـ حصل التوقيع على اتفاقية ظهرت فجأة بين ابن همام ورجال الدولة .

احتلال الخليف :

وتنص الاتفاقية على إشراك الدولة في احتلال الخليف احتلالاً عسكرياً وتنازل الهمامين لها باحتلال حصن الرناد ومعاقل حربية أخرى في تلك المنطقة. و قد أرسلت الدولة جنودها لاحتلال تلك المواقع .

معاش شهري

والمقابل الذي أعطي لابن همام بموجب تحديده في تلك الاتفاقية المبرمة هو ألفي ريال تدفع نقداً في دفعة. ومعاش شهري قدر بمبلغ ٣٠٠ ريال.

الدوافع والأسباب :

وقد الزمنا أنفسنا بعرض هذه الحوادث كما وقعت دون أن يكون لنا حق التعليق عليها. فليس لنا أن نتكهن عما هي تلك الدوافع التي دفعت بابن همام على أن يرمي بنفسه في أحضان هذه الدولة الوليدة التي لم تثبت بعد قدرتها على التغلب على

متاعب الحياة وصروفها. غير أنه من الأسباب التي لا يصح إغفالها طمع عبد القوي غرامه صاحب المجف في القضاء على الهماميين واحتلال منطقتهم وقد زاد خوف وقلق الهماميين من بعد قضاءه على صاحب النويدرة خاله صالح حسين بن عبدالقادر .

الاتفاقية وحديث المجالس :

و لا يستطيع القلم أن يصف الدوي المصم للآذان والقيل والقال الذي تسبب عن أنباء هذه الاتفاقية الخطيرة. فلم يبق للناس إذ ذاك حديث غير الخوض في احتلال الرناد وامتلاك نصف الخليف وبدأ المتكهنون يرجحون نجاح مشروع إحياء الدولة الكثيرية البائدة ووصل الخبر إلى جاوه مهجر الحضارم العظيم فأخذه الناس فمن بين مصدق ومكذب. وتفنن الشعراء في وصف هذا الحادث الجلل مطلقين العنان لشاعريتهم في التكهن بالنتائج المترتبة عليه. و لعل من أطرف ما قيل بهذا الصدد قصيدة ربيع سليم الشهيرة. فوعد يافع فيها بامتلاك الدولة للمجف وهو الشارع المشتمل على قصور آل غرامة. وقد صدقت نبؤته هذه وإليكم المهم من هذه القصيدة الذائعة الصيت. وهي بديعة البحر شبيهة بالخبب إلا أنها جارية على بحور الأغاني الدارجة فوزنها :

فـــاعلن فـــاعلن فـــاعلن فـــاعلن فـــاعلاتن فعـــولن فعـــل

قال :

يـــا مزيـــل الفـــتن أكف شر المحـــن رب واعطف على من بفضلك وثـــق
إنـــك المرتجـــي يا عظيم الرجـــاء قط ما خاب واقـــف ببابـــك طـــرق
يـــا إلـــه العبـــاد يا صمد يا جـــواد افتح الباب وابلـــج صـــميم الحلـــق
منك نرجو الفكـــاك ليس نرجو سواك ما لنا غـــير فضـــلك لســـد الرمـــق
واذكـــر المجـــتبى ما تهـــب الصـــبا واستنارت كواكـــب بجـــنح الفســـق

***

محـــدثات الأمـــور قشبت بالشـــعور صدق والشور بين الرجـــال افتـــرق

خاب من لا استشار واكتسى ثوب عار بعد لبس الشياذر ولبس الشقق
ما يزم الحلال شخص ربعه ذلال لي عصب عصب في ثوب غيره طلق

إلى أن قال مشيراً إلى مسألة الغرف وإلى اتفاقية الرناد

باعوا أم القرى خارمين السعر واكتفوا عن جناها بظل الورق
عاد بيع الحصون فيه حلق الذقون لو يدق الفتى الفقر والجوع دق

ثم قال يمدح رجال الدولة الكثيرية مدحاً فيه ما فيه من التهييج

لكن السعد لاح واستنار الصباح لكثيري ونجم السعادة شرف
هو خزام الاحول ما يهاب القلل يهدم الحيد لزور إذا قد صلق
خص بيت الكرم عاليين الهمم آل عبدالله أللي عداهم شهق
بالسيوف الحداد والرماح الشداد بيد كمن ولد سلخوها عذق
هم رجال الثبات ساعة النائبات يطعن الخصم لوهو بروس العرق

ثم أخذ الخبيث في صريح الإغراء وقارص التحريض فقال :

بعد أخذ الغرف عدهم في المجف خص يوم العيب كل واحد بشق

يقول ان انشقاق آل لبعوس بتريم على بعضهم سهل الطريق للدولة ولا سيما بعد أن امتلكوا الغرف فإن احتلالهم حصون المجف سيكون أمراً لازماً .

ثم اتجه بخطابه نحو عبدالقوي بن عبدالله عوض غرامه حاكم المجف في ذلك الوقت والذات المنظورة في يافع بتريم ، فطفق الشاعر يبكته ويذكره بطشه بابن عمه صالح حسين بن عبد القادر صاحب النويدرة ومحوه إياه من الوجود ، وأنه لو أبقاه لكان له اليوم أقوى عضد وأعز ناصر في هذه الأزمنة العصيبة. وكان الشاعر يرمي إلى أن فتنة ابن غرامة مع ابن عبد القادر السابقة ليست سوى دسيسة خفيفة من دسائس دعاة الدولة حتى تضعف القوى البعسية بتآكلها مع بعضها فقال :

قل لعبد القوي عد بك تكتوي عادة المزح يا صاح يرجع حنق
سم وسط العسل حيث مكر الدول مثل هذا يقع من حيلهم ودق
ذى توذُن صلوح أين قصدك تروح كيف تلقي إذا الماء تخمج وعق

لأن صـــالح جنـــاح صدق ما هو مزاح ساعة الضيق وقت انسكاب العـــرق
بعد صـــالح حســـين أين تهـــرب إلـــين ما يضمك ســـوى ذاك وادي عتـــق
فرش من فـــوق بـــير والذهب وسط كير وأنت بصرك إذا كان خذك الســـمق
ذي نصـــيحة ولـــد قد سعى واجتهـــد وانتشق عرف شادي لكم ما انتشـــق

ثم عادت به هواجسه – لا فض فوه – إلى فادحة الرناد واحتلاله برجال الدولة فقال :

تعزيـــه في الرنـــاد راح قفـــل الـــبلاد آه والشـــيذر إلا اهتتـــر واشـــتعق
قلـــت ذاك كيـــف بيع نصف الخليـــف قـــالوا أن الهمـــامي قمـــر واطفـــق
بـــاع بيعـــة قـــلاط صدق ما صـــفاط ذا خرف جاه أو ذا سخط أو ذا حمق
جاء الخبر وسط حـــط قلـــت ذلا غلـــط قالو السهم ذى هو قـــوي اشـــترق
واذكـــر المجـــتبي ما يهـــب الصـــبا واستنارت كواكب بجـــنح الغســـق

تريم بعد احتلال الدولة للخليف

وبعد احتلال الدولة منطقة الخليف بتريم نراها وجهاً لوجه هي وعبد القوي غرامة الذي يتمتع بالسلطة على أغلب مدينة تريم والذي تهاب قوته أكثر القبائل التميمية المجاورة مع ما تكنه له من العطف والاحترام والاستعداد بالتضحية في سبيله. فعبد القوي غرامة خصيم عنيد شديد الشكيمة وزاد جنابه هيبة أولئك الأنصار العبدون. والوضع الحاضر بالمدينة لا يدعو إلى الارتياح والاطمئنان لما سيترتب عليه من التحكك الذي تخشى عواقبه على الطرفين .

وقد عرفنا أن مبدأ القائمين بمشروع إحياء الدولة الكثيرية هو الدعوة إلى ما جاء به المشرِّعُ الأعظم. والخروج من هذه الفوضى الجائرة. لذا نراهم شديدي المحافظة على تحقيق مشروعهم بالطرق السلمية ما أمكن إلى ذلك سبيل. فقرروا العمل على تأييد السلم وتأمين الناس بالاصلاح والسعي لاستمالة عبد القوي غرامة إلى جانب الدولة وعقدوا معاهدة سلمية بينهما. ورأو أن الظرف الحاضر سيساعد في تحقيق هذا القرار الذي هو في صالح كل منهما .

جهود للتقريب بين غرامة والدولة :

وكان الإمام العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى ومن معه من أكابر العلويين يوعزون إلى السيد الحسين بن عبدالرحمن بن سهل صديق آل غرامة الحميم أن يستميل عبد القوي غرامة الى مسالمة الدولة ووضع يده في يدها وأن يكون عوناً لها على إقامة الشرع الشريف ونصب موازين العدالة في البلاد فإن في هذا السلوك – كما يقول أولئك الأكابر – فائدة عظمى لغرامة خصوصاً وللناس عموماً

وجهة نظر :

وتتلخص وجهة نظر أولئك الأكابر في أن ذلك مفيداً لغرامة لأنه سينال قسطاً وافراً من الدراهم مقابل اتفاقه مع الدولة تريحه من العنف والظلم الذين يرتكبهما طلبا لتحصلها وتريحه من أن يضحي بجاهه ونفوذه ومنزلته في القلوب والخواطر في سبيل سد حاجته وحاجة عبيده وعلاوة على ما ستدفعه إليه الدولة من النقود قسطاً واحداً. يظهر أنها سترتب لـه مرتباً يومياً يقوم بسد حاجته وحاجة مماليكه .

وكان ابن غرامة إذا اشتدت حاجته إلى النقود قد تدفعه تلك الشدة إلى سلوك سبيل في تحصيلها غير لائق بمقامه. وقد سبق أن سقنا بعض الحوادث المؤيدة لهذا عند ذكر عبد القوي غرامة .

وضعية ابن غرامة :

وليست وضعية ابن غرامة المالية بالوضعية الحسنة التي تدعوا صاحبها إلى الاستئناس بها والارتياح إليها وقد عرفنا سلوك الرجل عندما تشتد به الحاجة ويظهر الضيق المالي عليه. هذا من جهة ومن جهة أخرى يرى أن احتلال الدولة للرناد يضغط عليه ضغطاً يحمله على مسالمة الدولة التي أصبحت أقرب إليه من كل أحد. فهو يرى نفسه مجبوراً على إبرام معاهدة سلمية معها إذ ليس في امكانه الاتجاه في نهج غيرها. اللهم إلا مجافاة الدولة ثم الاشتباك معها في حرب لا يدري عاقبته .

عرض غير رسمي :

ولعل الذين طلب منهم جس نبض عبد القوي في الاتفاق مع الدولة ووضع يده في يدها تحقيقاً لخدمة الشرع. وتأميناً للبلاد والعباد. ابلغوا تلك الجهات التي كلفتهم بذلك العمل مساهمة منهم في الخدمة العامة استئناس عبد القوي لحديثهم في الموضوع وفتحه أذنيه لسماع أقوالهم. فأشير عليهم بعرض هذه الطلبات :

١. احتلال الدولة شيئاً من منطقته .
٢. تنازله للدولة عن إدارة شئون البلاد الاقتصادية .
٣. استعداد الدولة لأن تدفع له مبلغاً من النقد .

ولم تخف على أولئك الراغبين في التوفيق بين الدولة وابن غرامة وهم من خاصته وجلسائه الطرق المؤدية إلى إبلاغ هذه الطلبات عبد القوي غرامة .

ولعله كان قد فهم من كلامهم أن الدولة ستحتل شيئاً من منطقته كما احتلت الخليف بهدوء وسكون وأن غاية امره أنه سيبقى منعزلاً عن إدارة البلاد الاقتصادية فقط وأن لا عار عليه ولا غضاضة في إبرام هذه الاتفاقية وظهورها بين قبائل حضرموت وقد سبقه إلى مثلها جاره ابن همام .

اجتماع بمسيلة آل شيخ للتوقيع على المعاهدة :-

وأخيراً بعد الأخذ والرد انتهى القرار على اجتماع الطرفين بمسيلة آل شيخ والتوقيع بها على المعاهدة وفي أواخر شعبان سنة ١٢٦٢ اجتمع الطرفان وفيهم عبد القوي نفسه وشخصان من قرابته وجماعة من عبيده والسلطان عبدالله بن محسن والأميران عبود بن سالم وعلي بن أحمد ويصحبهما جماعة من رجالهم وكان الاجتماع ببيت العلامة الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى حضره الحبيب الإمام عبدالله بن حسين بن طاهر والحبيب عبدالله بن أبي بكر عيديد والسيد الحسين بن عبدالرحمن بن سهل والمعلم سالم بن عبدالله بن سمير .

قراءة الاتفاقية :

وقبل أن يتناولوا طعام الغداء قرأ المعلم سالم الاتفاقية رسميا وهي تتضمن المواد الآتية:

١. أن يكف عبد القوي عبدالله بن عوض غرامه يده عن طلب أي مال من الرعية عموما.

٢. أن ينحصر نفوذه في نصف البلاد الجنوبي الشرقي وأن تحتل الدولة النصف الشمالي الغربي.

٣. أن تدفع الدولة لغرامه نقدا في التاريخ الحاضر أربعة ألف ريال فرانصة.

٤. ترتب الدولة لعبدالقوي (جامكية) ثمانية ريال فرانصه يوميا.

٥. أن يتساعد الطرفان على الإصلاح وإقامة الشرع الشريف وتأمين الرعية .

٦. اتفق الطرفان على دوام الإخاء والصفاء بينهم وتعاهدوا وتحالفوا على ذلك هم وأولادهم ما تناسلوا إلى أن يشيب الغراب ويفنى التراب.٠٠٠٠٠الخ

نص الاتفاقية :

ويؤسفنا أننا لم نعثر على نص هذه الاتفاقية مع بحثنا المتواصل عنها في المظان اللازمه.

مفاجأة غير منتظرة :

قالوا : ثم أشير على عبد القوي بأن يوقع عليها فتلكأ وطلب من الأمير عبود بن سالم والسلطان عبدالله بن محسن ومن معهم أن يوقعوا أولاً فتوقف هؤلاء أيضا.

رجال الدولة يبدؤون بالتوقيع :

ولم يدع الحاضرون أن يطول أجل الارتباك الذي ساد المجلس فأنقذوا الموقف إذ أشاروا على رجال الدولـة أن يبدأوا بالتوقيع فوقعوا عليها. ثم دفعت الاتفاقية إلى عبد القوي فوقع عليها وتتابع الشهود بوضع إمضاءاتهم واحدا واحدا.

شاهد عيان:

وقد أسعدنا الحض برؤية من حضر الإجتماع نفسه وسمعناه – يحدث – ونحن في ريعان الصبا عن هذا الحفل ويصفه وصفا شيقا يلذُ حتى لنا نحن الذين لم نبلغ إذ ذاك العاشرة من السنين ، فكان مما وعيناه من حديثه أن الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى صاحب البيت قد اصبح مستعدا لقدوم رجال الدولة ورجال غرامة وأنه ذبح من الأغنام كبشين كبيرين. وأن رجال الدولة بكروا من الغرف حيث باتوا بها. وعبروا إلى المسجد أولاً للمثول في حضرة الحبيب عبدالله بن الحسين هنيهة والتماس الفاتحة منه ثم اتجهوا من المسجد إلى دار الحبيب عبدالله بن عمر وبعد وصولهم أقبل الحبيب حسين بن عبد الرحمن بن سهل ويصحبه عبد القوي غرامه وجماعته .

حضور الحبيب عبدالله :

وقد استمر هذا الشيخ وهو المعلم سعيد عيضه الحسين في حديثه الطريف فسمعته يقول : وقد أرسلت أنا نفسي إلى المسجد أستدعي الحبيب عبدالله بن الحسين بن طاهر لحضور الجلسة فاعتذر بأن في الحاضرين الكفاية. فلم يقنعوا بل أرسلوا إليه غيري وأخيرا انصاع لطلبهم وحضر.

عود على بدء :

قال المعلم سعيد وأنا بنفسي كنت واقفاً عند الباب مستعداً بالطست والإبريق لأدخل به إلى القوم ليغسلوا أيديهم لتناول طعام الغداء وكأني أراهم الآن وهم يتدافعون الوثيقة للتوقيع عليها .

أماكن الجالسين وهيئاتهم :

وقد وصف المعلم لمستمعيه أماكن الجالسين وهيئاتهم ولم ينس وصف الاسمطه وما عليها من رز وثريد ورقاق وكيفية توزيع اللحم على الآكلين والتسوية في التوزيع بين السلطان عبدالله وعبد القوي وأن على هذا الصنيع يتوقف درء مشكلة سياسية .

المادة الثالثة :

وتنفيذاً للمادة الثالثة من تلك المعاهدة فقد جاء في كلام المعلم سعيد بخصوص هذا قولـه : وبعد صلاة الظهر في المسجد عادوا إلى الدار وبعد هنيهة قام السيدان عبدالله بن عمر والحسين عبدالرحمن بن سهل وتبعهما عبد القوي ورجلان من قومه وعبود بن سالم وعبد الله بن محسن وعلي بن أحمد إلى غرفة نائية وجي بالدراهم إليها فعد وتسلمها عبد القوي نقداً. وانصرف الجميع بعد صلاة العصر ذاهباً كل منهم إلى مقره وظمائرهم تختلج بعواطف عاصفة تنظر إلى المستقبل نظراً يشوبه الريب والحذر .

ونظراً إلى هذه المعاهدة التي تنص فيها المادة الثانية منها النص على أن سلطة غرامة في نصف البلاد الجنوبي الشرقي فقط فقد دخلت الحوطة والنويدرة والرضيمة في منطقة نفوذ الدولة بتنازل غرامة عنها لها برضاه واختياره. ولا تسأل عما حدث من شعور أهالي الحوف والساكنين نحو هذا التصرف الذي لا حول لهم فيه ولا رأي. فهم يتطلعون إلى المستقبل بوجل رهيب. يودون لو يعرفون ما يخبئه لهم القدر في ثناياه .

وكانت فرصة سانحة لأصحاب الهدم والتخريب الذين أغضبهم ما وقع من الوئام والتوفيق بين الدولـة وغرامه فانطلقوا يملئون المجالس والأندية بالأحاديث المهيجة والأقوال المقدحة لنار الفتنة.

الإحتفال بدخول تريم

إعلان الدولة للشنافر :

وأعلنت الدولة قبائل الشنافر أنها ستدخل تريم رسميا صباح يوم الخميس الموافق خمس رمضان ١٢٦٢. وتطاير الخبر بهذا واستعد الناس لمشاهدة هذا الدخول .

غرامه يعترض:

وبلغ الخبر عبد القوي غرامه فعظم عليه الأمر جدا وحاول أن يحبط هذا العزم فكتب لبعض المتوسطين في الاتفاقية متذمرا وقائلا إن هذا ليس في الشرط. فأجابه. وبكونه ليس في الشرط لهذا لا يصح الإعتراض عليه.

كان غرامه يظن:

والذي يظهر أن غرامه إنما لم يشترط على الدولة أن تدخل تريم بهدوء وسكون لأنه كان يحسب أنها ستسلك سلوكها عند دخولها الخليف لا سيما وقد أطل شهر رمضان الذي قل أن يكون فيه شيء من المظاهرات العظيمة .

تحرك الموكب:

وبعد فجر يوم الخميس دقت الطبول ببلدة الغرف وتجمع الناس ثم توجه الموكب قبيل الشرق وبين يديه الأعلام. وهرع إليه الأوشاب والفضوليون ولم يصل إلى تريم إلا وقد تجمع خلق كثيرون. وعندما وصلوا إزاء علب الشاطري رتبوا صفوفهم وبدأوا في الأراجيز وإطلاق الرصاص. يتوسط الجمع السلطان عبدالله بن محسن والأمير عبود بن سالم ممتطين فرسيهما ودخل الموكب تريم في زجل يقصر عنه الوصف.

تجلد غرامه :

وأظهر عبد القوي غرامه جلدا عظيما وكظما لغيظه لا يطاق لدى مقابلة ضيوف البلاد هؤلاء فقد أقبل لملاقاتهم متظاهراً بالبشاشة والترحاب. مع ما يتأجج في صدره من الامتعاض الذي لا مزيد عليه كما يبدو ذلك لجلسائه وعبيده وكاد يظهر أثر ذلك فيما يأتي.

انتقاض الاتفاقية:

ومرت يومان أو ثلاثة فقط والبلاد هادئة في الظاهر ومتحركة في الباطن

فالخواطر يكسوها القلق والخوف ورجال الدولة تصل إليهم الوشايات المتوالية مما يكنه غرامه من الهياج وعما يبدر من فلتات ألسن رجاله وعبيده عند الغوغاء والرعاع من أن عبد القوي لا يمكنه الغض على القذى ولا الصبر على الأذى ولا الانسلاخ عن شرفه وناموسه. و أصبحت النوادي بسوق تريم والمصطبة الشرقية للجامع وغير ذلك من مواقع الاجتماع ميادين لتهامس المرجفين ومروجي الفتن. ورجال الدولة واجمون يترقبون غدر عبد القوي صباح مساء. وقد كتبوا إلى بعض الدعاة يستشيرونهم فأشاروا عليهم بالسكون والاستعداد لاحتلال المراكز المهمة في ما إذا ما شعروا بأية بادرة تبدر من الرجل .

حلف ثلاثي :

وجاء في الإرجافات أن المكاتبات تتبادل بين ابن غرامة وابن يماني وبين الأول أيضاً وآل ظبي بسيئون وأنهم عقدوا تحالفاً ثلاثياً بينهم ضد الدولة. ولم الشعراء من الاغراء والتهيج واثارات الفتنه٠

حالة من الذعر :

واكفهر الجو السياسي بتريم وتشبع هوائها بروح الفتنة وساد الهلع والذعر بين جميع الأفراد. وحاول رجال من العلويين بتريم. أن يحلو عقدة الموقف فأجيبوا من أحد الطرفين بأن كونوا سادة حشام لا تتعرضوا لما لايعنيكم .

من المبادئ بالنقض ؟

وتزعم بعض الدشتات التي نقلنا عنها والتي يظهر لنا منها أنها متحيزة إلى جانب الدولة ، تزعم أن غرامة هو الذي بدأ بإشعال الفتنة.

حصر غرامه :-

وباحتلال رجال الدولة الحاوي وأطراف دمون ضرب الحصر على عبد القوي غرامه والمحاربين معه، وأصبحوا في نقطة ضيقة من المدينة لم يكن من السهل

الاتصال بهم على من قصد اتصالهم أوإسعافهم.

وصول نجدات لغرامه ط

وأقبلت رجال من تميم لإنجاد عبد القوي واستطاعوا الاتصال به،رغما عن نطاق الحصر المضروب عليه وعلى رجاله، فتسللوا إليه من الجانب الشرقي وأبلغوه وصول جماعة من سيئون من آل الضبي جاؤا بطريق المعجاز،وأنهم وتميم محطون في ضاحية تريم فأرسل إليهم غرامة ليقبضوا على المواقع الخارجية هم والمنجدون الآتون من يوافع سيئون، فهجموا ليلاً وتمكنوا من احتلال أطراف البلاد كالمحيضره ، وحصن شاطر، وباحسين ، وحصن الزغلدي[1] ، كما احتلوا ديار السادة آل حامد.

واندلعت رقاب الفتنه آخذاً بعضها ببعض ، وهاجت البلاد وماجت،واختلت الأحوال ، وانحبس الناس داخل بيوتهم، وانطلق الرصاص يهوي في الجو باستمرار فلا يكاد يمكن الطير من المرور.وكان ذلك يوم الاثنين لتسع خلت من رمضان ١٢٦٢

حفر الخنادق والسراديبط

وحفرت الدولة عدداً من الخنادق والسراديب تحت الارض، فتسبب عن ذلك أضرار عظيمة،من الحريق والخراب والدمار، وقد اشتعلت النيران في ثلاثه بيوت والتهمتها التهاماً تاما.وهي: بيت شامي الآن الذي هو بيت البانيان سابقا، وبيت الشاطري شمالي مسجد المحضار الذي هو الآن بيت السادة أولاد عمر بن احمد الكاف، وكوت حمزة على ساقية حامد على طريق الحاوي، وهجم رجال الدولة على حصن شاطر، فطردوا حاميته واحتلوه، واستمر الحصر وانطلاق

(١) عوض بن عمر الزغلدي المسمى الآن بحصن عوض .

الرصاص وارتباك الأحوال كما ذكرنا شهوراً طويلة والفريقان مجدان في الكياد لبعضهما.

شعر السويني:-

((لا يوجد في الاصل)))

على اثر تتابع النجدات لغرامه أوجس رجال الدولة خيفة من كثرة عدد العدو مع قلة جنود الدولة ، فاجتمع الأربعة الأبطال وهم السلطان عبدالله بن محسن والأمراء عبود بن سالم،وأحمد بن علي، وعبد الله بن صالح، وتشاوروا فيما بينهم في الحالة الحاضرة وأنهم ليس لديهم من العبيد القدر الكافي لمكافحة العدو، فيما إذا زاد له توالي النجدات ولم تكن إذ ذاك للشنافر نعرة جنسيه تبعثهم على القيام بنصرة صاحبهم. مع انه لدى يافع وحلفائها عصبيه قويه في دفع هذا الخصم الذي يعدونه خطرا حادثا .

الحاجة إلى إيجاد جيش:-

وقد اتفقت وجهة نظر المجتمعين على ضرورة إيجاد جيش كاف لقمع العدو وإخضاعه، ولكنهم اختلفوا في الوجهة التي يتجهونها لإيجاد هذا الجيش، فكان من رأي السلطان عبدالله بن محسن والأمير عبدالله بن صالح استصراخ الشنافر، والاستنجاد بهم (وقلمتهم) [1] والسعي الحثيث مع الاسراع في جلب عبيد مقاتلين يكونون جندا للدولة مؤبداً.

اختلاف وجهات النظر:-

والأمير عبود بن سالم – وان يكن موافقا على شراء العبيد إلا أن الحالة الحاضرة كما يراها أعجل من ذلك – يرى أن الاستنجاد بالشنافر جدير بان يكون، علاوة

(١) لايوجد في الاصل

على جلب جيش كثيف من القبلة، لان حماسة الشنافر قاصرة، واحتياجهم إلى القلمة قليل، (وكان رجال الدعوة من العلويين قد جعلوا المعلم سالم بن عبدالله بن سمير مستشارا ناصحا، ووزيرا جليسا للسلطان عبدالله بن محسن، واخذوا على السلطان العهد ألا يصدر أمراً حتى يصادق عليه الشيخ المعلم سالم) فكان مشروع جلب الجيش من القبلة موضع مشادة عنيفة بين الأمير عبود بن سالم والمعلم سالم الذي يرى ألا حاجة تدعو إلى الإسراف في بذل مصاريف باهضة لجلب جيوش كثيفة غريبة السحنة، بعيدة الدار، تفسد الزرع والحرث، وتستنزف النقود الباقية في الخزينة بدون طائل. على أن الجنود المرابطة كافيه لقمع العدو وإخضاعه، لاسيما والمواقع الهامة في البلاد بيد الدولة، واستجلاب الشنافر وتهييجهم مع البذل لهم ليس بالأمر اليسير. وقد أبدى المعلم سالم رأيه لرجال الدعوة وطلب منهم إقناع رجال الدولة بهذا، ولكن قوة إرادة الأمير عبود تغلبت على آراء الجميع.

سفر الأمير عبود إلى القبلة :-

وفي منتصف شهر رمضان ١٢٦٢هـ توجه الأمير عبود بن سالم من تريم مارا بمسيلة آل شيخ والغرف يصحبه شخصان من بطانته ومعه نقوده وزاده، ولما أن وصل إلى ذي أصبح نزل ضيفاً على الحبيب الحسن بن صالح البحر، ومن هناك استصحب دليلا من بدو القبلة. فانطلق مارا بنهد فحالفهم، واتصل بالصيعر وكرب فحالفهم أيضاً، ووصل إلى نصاب ونزل ضيفا على سلطانها وطلب منه ان يسعفه بالتحالف مع الدولة وان ينشط، قبائله للتحالف معها فلم يرض السلطان بمحالفة الدولة، غير انه أباح لقبائله أن يحالفوها. فحالف الأمير أكثر العوالق وقبائل جردان، كما حالفه الشريف عبد الرحمن بن محسن الحسني صاحب مارب.

الأمير يجند ألفي مقاتل :-

وجند الأمير من هؤلاء القبائل مالا ينقص عن ألفي مقاتل، بعد ان استعان

برجال منهم في هذه الدعوة بذل لهم مقابل أتعابهم أجرة تتفاوت بتفاوت طبقاتهم وألقابهم مما سبب له هذا النجاح العظيم.

مرتب الجند الشهري:-

وكانت القلمة- المرتب الشهري – أربعة ريال فرانصه شهريا لكل جندي من غير القوت والماء ولوازم الأعياد. وقد كلف الدولة هؤلاء الجنود ثمانية آلاف ريال فرانصة في الشهر. من غير مصاريف الماء والقوت ولوازم الأعياد.

-وللأمير عبود دربة عظيمة في قيادة الجيوش وله عارضة قوية في الإقناع وإبراز الحجة وتصوير الخيال- ولم يكن تعب الأمير عبود في جمع هؤلاء ومكابدة تكاليفهم بالأمر الهين فانه لولا قوة إرادته واحتماله وصبره وسخائه لعاد بخفي حنين٠

قدوم الجيش :-

وفي غرة ربيع الأول ١٢٦٣ اقبل الأمير عبود بن سالم يقود الجيوش الجرارة وهم أوشاب من قبائل شتى وسار بهم رأسا إلى تريم٠ وكانت الأراجيف بشأنهم قد ملأت طباق الأرض ومن الناس من كان يتوقع نزول بعضهم على سيئون وحصرها واستخلاصها من بني الضبي اليوافع. لاسيما وقد بدأوا بعداء الدولة فنصروا عبدالقوي غرامه وانجدوه من دون ان تناوئهم الدولة أو تحكك بهم.

بعد العودة:-

وبعد عودة الأمير عبود بجيوش القبلة شد نطاق الحصر على ابن غرامه وتتابعت الحملات من جنود الدولة على بعض المراكز اليافعية وان لم تكلل مساعيهم بالنجاح في كثير منها وكان الشريف البهال عبد الرحمن بن محسن ساكن مأرب وابنه الحسين وقومهما معسكرين جنوب شرقي تريم. والمقدم طالب بن حسين العولقي وعلي بن قطيان الكربي معسكرين حوالي حصن شاطر.

الهجوم :-

وأتمر الأحزاب بعد وصولهم بأيام فقر رأيهم على القيام بالهجوم على المحيضرة محلة السادة آل سميط التي احتلها جنود غرامه. فهجموا عليها عصراً فاصلتهم الحامية رصاصا حاميا وكسرتهم شر كسرة• فانهزموا انهزاما شنيعا تاركين ورائهم عدداً كبيرا من القتلى والجرحى. ولم يقتل من الحامية سوى عبد واحد فقط. غير أن هذا الانهزام لم يفت في عضد المهاجمين. فاخذ الهجوم منهم يتلوا الهجوم حتى استطاعوا ان يستولوا على بعض مراكز في المجف - قلب منطقة غرامه - وعلى ديار السادة آل حامد. واستأسروا بضعة من عبيد غرامه.

شدة الحصار :-

واشتد الحصار على رجال يافع ومن معهم حتى بلغ النهاية• وحتى لم يتحصلوا على ما يؤكل. فأكلوا مما لا يتناوله إلا المضطر. وأجهدت الأطفال والنساء وانتهوا إلى ضرر اليم من جراء هذا الحصار القاسي.

(السويني)

(هكذا في الاصل)

سعي العلويين للصلح :-

وحين استفحل الخطر وعظم وبدت نتائجه السيئة يتجرعها كل من المتحاربين. رأى رجال من العلويين إن يعاودوا مسعاهم لعقد الصلح وإطفاء نار الفتنه المشتعله• فقام رجال منهم معلنين إنكارهم لهذه الحالة واستهجانهم من السكوت على ما يمثل امامهم من المآسي. فدعوا إلى عقد اجتماع عام• بحوطة الريضة – سكن السادة آل حسن العيدروس- الذي يبعد عن تريم جنوبا نحو ستة أميال. للبحث في تسوية المشكله.

مؤتمر الريضه :-

وانعقد المؤتمر بالريضة بحضور مناصب السادة آل العيدروس ودعاة الاصلاح

من العلويين والمشائخ، ومقادمة آل تميم، وبعد الآخذ والرد اسفر البحث عن ان احسن حل لهذه المشكلة، هو استيناف الجرى على بنود اتفاقية المسيله وتناسي كل ماوقع وصار بعد ذلك.

اعتذار منصب عينات :-

وللدلالة التي للسادة آل الشيخ ابي بكر بن سالم على يافع وفخائذها، أوصى المؤتمر أن تكتب هيئة المفاوضة للصلح لمنصب عينات ليعضد المشروع ويساعد في إقناع عبد القوي غرامه على وجوب عقد الصلح على هذا الأساس. ولكن الحبيب المنصب اعتذر بلطف عن الدخول في هذا الشأن.

تشكيل هيئة للمفاوضة في الصلح :-

ولضمان تحقيق قرار المؤتمر بعقد الصلح بين المتحاربين واطفاء نيران الفتنه فقد شكل هيئة لتتولى هي مفاوضة الطرفين في عقد الصلح بينهما على أساس معاهدة المسيلة المبرمة بين الدولة وعبد القوي غرامه. وتألفت الهيئة من مناصب السادة آل العيدروس وبعض مقادمة آل تميم.

وتقدم رجال الهيئة إلى رجال الدولة وطال الخوض بين الهيئة وبين هؤلاء الرجال الذين أكدوا بان الخواطر لاتصفوا، وان المياه لا تعود الى مجاريها والأمن لا يستتب مادام ابن غرامه في البلاد. وان الدولة لم يبق لها بعد ما صار من النكث من بطل لبعوس اقل ثقة في عهده والاستئناس به. ويقول رجال الدولة بأنهم لا يستطيعون رفع الحصار ولا توقيف القتال ما لم يسلم عبد القوي البلاد ويغادرها حالاً.

الهيئة تتصل بعبد القوي :-

وأرسلت الهيئة إلى عبد القوي غرامة من يجس نبضه في الصلح فاذا الرجل متصلب عنيد لا يرضى بدون إلغاء الاتفاقية مطلقا وإرجاع نفوذ الدولة إليها وخروجها بسلام من تريم وضواحيها. ويقول كيف لي أن اركن إلى اتفاقيه نقضها

صاحبها بنفسه. وليس بعد ما صار كلام في صلح غير خروج هذا المعتدي من بلادي أو تحكيم السيف في أن يحكم لي أو علي.

الهيئة تواصل سعيها :-

وقد اضطربت الهيئة من هذا التناقض اضطرابا شديدا كاد يذهب بعزمها لولا تنشيط أمثال الحبيب الحسن بن صالح البحر والحبيب عبدالله بن الحسين بن طاهر لها في الاستمرار في السعي وإقامة هدنات مؤقتة بين الطرفين أثناء المفاوضة. ولم يقصر وجهاء العلويين في استخدام أقلامهم بالكتابه الى المتحاربين، وإقناع كل منهم بوجوب عقد الصلح بالرجوع الى اتفاقية المسيله.

هدنه لمدة يومين :-

ونادت الهيئة بإقامة هدنه لمدة يومي الخميس والجمعة وهما السابع والثامن من شهر ربيع الثاني ١٢٦٣ هـ استؤنفت فيهما المفاوضات الجدية واغتنم المصلحون يومي الهدنة فذهب حيدر بن شملان والخنبشي بلقصير التميميان وجماعة من قبيلتهما الى عبدالقوي عصر يوم الخميس. وذهبوا به الى دار أحد الدلالين سرا حيث تمالوءا عليه واقنعوه بما تقتضيه المصلحه له وهو الصلح على تنفيذ معاهدة المسيلة واستيناف تصفية الخواطر وأكدوا له ان الامير عبود ورجال الدوله مادين أيديهم لمصافحته وانهم طاهروا الضمائر نحوه. ولم يزالوا به حتى استطاعوا اقناعه وظهر لهم شيء من انصياعه لاقتراحاتهم، غير انه استمهلهم ريثما يستشير نفسه وبعض المتعلقين به طيلة هذه الليلة.

كيف تم الصلح :-

يقول المصلحون لرجال الدولة أن الدولة قد ضاقت ذرعا بهذه الجيوش التي قدم بها الامير عبود ،والتي كلفت الخزينه مصاريف باهضه، تكاد تكون بدون نتيجه توازي ماتكابده البلاد نفسها من انتشار هذه الاوشاب بين ديارها

وضواحيها ، ومايعيثون فيها من الفساد والسلب وعرقلة الزراعة والحرث وسئمت الدولة فعلا سماع الشكاوي والتذمرات التي من هذا القبيل كما ان الناس قد ملوا ايضا هذا الحصار الطويل الذي دام اكثر من سته شهور والذي تضررت منه البلاد وخزينة الدولة نفسها، ولم يظهر من غرامه اقل خضوع او ضعف بل ان النجدات من الخارج لم تزل تاتي اليه، والذخائر الحربيه والاقوات قد تصله رغما عن هذا الحصارالشديد، وماينبئكم انه اذا لم يتم الصلح الآن ان تهب يافع عن بكرة ابيها لنصرته ويتفاقم الامر وتاتيه القوات من كل بلده تسكنها يافع بحضرموت. بل ومن الهند ايضا فتقعون انتم في موقف حرج من الواقع ليس له منفذ٠ وهل يدور بخلدكم ان يموت ابن غرامه ومن معه جوعاً ثم تطيب لكم الحياة بعد ذلك، اسمعوا مايقوله كبار العقول والمخلصون لكم من النصح بابرام الصلح على قاعدة اتفاقية المسيلةوتصفية الخواطر بينكم وبين ابن غرامه. انكم ان تحصلتم على هذا فهي الغنيمه التي يتمناها لكم كل محب عاقل.

وينصح المنصحون عبد القوي بأن مصالحه الآن تقتضي أن يضع يده في يد الدولة ويجريان معا على بنود معاهدة المسيلة. وان يريح بهذا نفسه وعائلته ومن معه من هذه الفتنه الأليمة، والحصر القاسي الذي لم ينفعه فيه احد طيلة الستة الشهور الماضية حتى اكل هو وعائلته ما لا يوكل إلا اضطراراً، وان الدولة ان رضيت ان تصالحه بعد ما صار منه وان يبقى في البلاد موفور الكرامة عزيز الجانب متمتعا بأمواله وقصوره ومتسلما من خزينتها ما اقتضته مواد المعاهدة السابقة فإنها غنيمة يفتح لها الصدر، ولا يطلب بعدها شيئاً.

ونجح سعي رجال الصلح واطمأنت القلوب، وخرج المتحاربون لصلاة الجمعة معا بعد ما اجتمعوا ضحوة النهار في دار غرامه وانعقد الصلح على ما حوته

معاهدة المسيلة المحررة، إلا أن شئون البلاد كلها تحول أمرها إلى الدولة وان يبقي غرامه بتريم كفرد من أفراد الدولة٠ وأفرغت المعاقل الحربية من محتليها وساد الأمان، وتعددت الولائم والحفلات من الطرفين ومن بعض وجهاء البلاد.

(ينظر اذا كان قد كتب في المقدمة شيء عن الحالة بحضرموت)هكذا في الأصل

سيون عاتبة :-

وكان لنشاط الدعاية السرية للدولة بسيون أثره الفعال في كثرة أنصار الدولة والمتشيعين لها. يدفعهم إلى هذا جور السلطة الحاكمة وفوضويتها. ولتنظيم العمل وتحقيق مقاصده ألفت لجنه سريه سياسيه لمواصلة السعي في الكياد للسلطة المحتلة وآلت كتابة الرسائل لرجال الدولة تحرضهم على فتح سيون التي هي احق بان تستهوي نظر الدولة قبل تريم لأسباب كثيرة واضحة للعيان. إذ هي عاصمة الدولة الكثيرية البائدة. وموقعها الجغرافي جدير بالأولوية في التقدم لارتكازه على الطريق بين الشرق والغرب تستطيع الدولة به فصل النجدات اليافعية عن بعضها. ولأنها نقطة يحيط بها الشنافر المنتسبون إلى ا لدولة من كل جانب. وغير ذلك من العلل التي تتذرع بها اللجنة السيوونية إلى إقناع رجال الدولة بالإسراع إليها.

وقد نقم رجال الدعاية بسيون على الدوله ايثارها الجانب الشرقي على سيون. واشتغلت المسامر والنوادي بتفنيد رجال الدولة وتخطئتهم على اتجاههم نحو تريم قبل سيون. ولعل هؤلاء الناقمون يتنبهون إلى أن للدولة عذرها في هذا الاتجاه. وقد بعث بعضهم بقصيدة باللسان الدارج إلى الأمير عبود وزملائه وفيها من العتب اللاذع والتهكم القاذع ما ينبئ عن مبلغ ما في نفوس القوم يومئذ من الموجده والغيظ. ولا نكره نحن أن ننقل للقارىء من القصيدة أنموذجا يعطيه صوره مصغره من تلك الحال.

قال:-

سارح اليوم إلى حدرا توقف خذ مسـطر ... صل بن احمد وعبد الله بمجلسـهم احضـر
قل لهم ما لـذاك الظـن عمـال يقصـر ... ذا وخص ابن سالم قـل دراهمـك في الخـر
جئت باقوام حتف الـرز والتمـر والـبر ... ما قضوا لك غرض لاعبد منـهم ولاحـر
ذلك العقل يومـك تحـت سـيون تعـبر ... بلدة اهلك ومسكنهم قدم سـالف اعصـر
كرسي المملكه ذي منـها الامـر يصـدر ... ماترى للسـتر ذيـك الطويلـة وتنظـر؟
ذي تناديك من حولك تقول احضر احضـر ... با تبث الشـكايه لـك وتبكـي وتـذكر
زينه آبارهـا واللـي بهـا كـان يخطـر ... من بني بدركم من ليث في الضـيق يحضـر
انها بعدهم صارت كمـا قـارة السـعر ... ربش لاهل الخلا مـن كـل بقـار يبقـر

إلى أن قال:-

مابها من زرافا شي فيا سـاتر اسـتر ... بعد ماكانت السبَّق بها اعـداد تبـدر
قبة أجدادكم ناصر بها اللحـم يجـزر ... ذا وفي القلب مافي القلب ماعـاد بـا
لا و لا عاد باحكي ما تقاسيه من ضر ... غير كلمة عسانا ابرد بها يـوم تنـدر

ثم بعد هذا أبيات لاذعة للغاية رجحنا عدم نقلها ثم قال مخاطبا الأمير عبود بن سالم:-

ما سهناك عن مسكن جماعتـك تقصـر ... وان حسبت ان بعض الحدر به لرض تسـبر
والطويله معا غيرك وتسلم مـن الضـر ... انسها وافـتطن عـادك لكلمـتي تـذكر
ان سيون تخت الملـك والتـبر والـدر ... بطن وادي العجل والقلب والكبد والسـر
التي بدر حاصـرها اخذتحتـها اشـهر ... حرة طاهره مـا كفؤهـا الا ولـد حـر

إلى آخر ما قال.

ولكن عبود بن سالم وزملائه لم يشاؤا أولاً إلا تنفيذ خطة القضاء على سلطة غرامه الذي نكث العهد واستخف بالدولة استخفافا سارت به الركبان في وعر حضرموت وسهلها.

ربما يظهر في بادىء النظر أن تقديم فتح تريم على سيون لم يكن من سداد السياسة في شيء كما يرى ذلك أنصار الدولة بسيون، ولكن المؤرخ الباحث لا يلبث أن يعثر على ظروف مكتنفه للحالة تصرفها إلى البدء بتريم قبل سواها من بلدان حضرموت وتحمل القائمين بالأمر على الإيمان أن لا تجدوا لإحياء الدولة من رمسها طريقا طبيعيا أفضل من هذا الذي هو أمامهم.

ورغما عن أن السلطان غالب وكافة رجال آل عبدالله لا يتألمون لشيء كتألمهم حينما يرون مدينة سيون عاصمة آبائهم ملقاة في أحضان غيرهم من بني مالك اليوافع، يتمتعون فيها بالسلطة المطلقة، والسيادة التامة، رغما عن ذلك، ورغما عن الحرص الشديد الذي يجيش بصدر السلطان غالب ومن معه في انتزاع سيون من أيدي أولئك المغتصبين في نظرهم – فان مجاري الأحوال لم تشاء إلا أن تذهب بوجهتهم إلى الناحية الشرقية التي لم تكن تخطر ببال رجال الدولة قبلئذ.

والناحية الشرقية هي معشعش الدعوة ومقر أساطين رجالها ومرتع أحرارها والعاملين لها في جو حر مشبع بالحماس والتلظي من جور بني لبعوس وفوضاهم. فالقرى السويري، والمسيلة، والغرف، وبيت جبير، وثبي طافحة بالعائلات المهاجره من تريم فراراًمن الضيم. والتي انطلق رجالها الشديدو المراس لا يبقون ولا يذرون من جهودهم شيئاً في سبيل الانتقام من سلطات تريم الحاملة لهم على الهجرة.

من رجال الدعوة بالناحية الشرقية :-

فإن أمثال الإمام عبدالله بن الحسين بن طاهر، والعلامة عبدالله بن عمر بن يحيى، والعلامة عبدالله بن أبي بكر عيديد، والشيخ سالم بن عبدالله بن سمير، والسيد ابوبكر بن محمد بلفقيه، والسيد أبو بكر بن محمد المشهور والسيد عبدالله بن الحسين بن شهاب الدين. وغير هؤلاء من مناصب الرملة وثبي وتاربه من الساده آل العيدروس وآل الخرد أبطال لا يستهان بقيامهم ودعوتهم وبذلهم النفس والنفيس

في تعضيد الدولة. والقبض على دفة تسييرها فهؤلاء - لا غيرهم – هم الذين توسطوا بين الدولة وقبيلة القرامصة في ابتياع الغرف، وجعلها نواة لإقامة هذه الدولة. ومن هنا بدأ أول ظرف من الظروف التي حولت الاتجاه نحو الشرق. ثم توسط العلامة عبدالله بن أبي بكر عيديد بين الدولة ورجال بيت جبير في شراء حصن مطهر. ثم سارت المفاوضة سيرا حثيثا بواسطة العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى والسادة آل بلفقيه – سكان الخليف – بين بن همام والدولة، وتم القرار على احتلال الدولة لناصفة الخليف، وذلك بعد أن سقطت سلطة صالح بن حسين بن عبد القادر في النويدرة.

فاتجهت الدولة إلى تريم رغما عن رغبتها في تقديم الاتجاه نحو سيون، اتجاها مدفوعا بعوامل لم تكن في الحسبان قبل ذلك، وأخذت الأسباب تتلو بعضها بعضا متسلسلة إلى حلقتها الأخيرة معاهدة المسيلة المحررة بين الدولة وعبد القوي غرامة.

الخلاف بين الدولة وجيش القبلة :

كان الأمير عبود قد قدم رجال هذا الجيش بعضا من معاشهم عند رحيلهم من ديارهم ما يقتات به أهلوهم حسب طلب كل منهم، ولكنهم عند دفع الباقي لهم ومحاسبتهم النهائية، لم يقتنعوا بالحقيقة، بل اخذوا في مطامع وطلبات تقول الدولة أنها ليست لهم بحق• وقد طال النزاع وعظمت الضوضاء وتدخل رجال من قبائل الجهة في إصلاح الحالة وتسديد القضية والدولة حريصة كل الحرص على ألا يذهب هؤلاء القوم حنقين منها فيسيئون سمعتها في جهاتهم ولكنها ترى في إشباع نهماتهم وتحقيق مطامعهم التي لم تدخل في الشرط بينهما وبينهم حيفا كبيرا عليها.

ضريبة حرب :-

وللضائقة الشديدة التي نزلت بخزينة الدولة مقابل ما تكلفته من مصاريف باهظة دفعتها في حربها مع بطل لبعوس عبد القوي بن عوض غرامه رأت انه من

المناسب أن تفرض على الأهالي بتريم من اجل هذا ضريبة استثنائية بمثابة مساعده من البلاد في المصاريف التي تكبدتها الدولة للجند وغيرهم وقد قوبل هذا الطلب من الأهالي باستياء عظيم حتى خرج بعض من طولب حانقاَ متجها نحو بقاع آل تميم كالقوز وغيره.

عود جيش القبلة :-

منذ عقد الصلح أخذت الدولة تفكر في التخلص من هذه الأوشاب التي جاء بها الأمير عبود٠ نظرا لما تكابده من العناء العظيم في دفع أرزاقهم وأعطياتهم التي تكلفها مبلغا كبيراً ومن جهة أخرى فإن تريم وضواحيها ضجت مما يعيثون فسادا فيها وفي ٢٠ ربيع الثاني عام ١٢٦٣ عاد الجيش كل فرد منه إلى بلاده٠

زواج عبود بن سالم :-

بعد أن تم الصلح استحسن القائمون فيه ان تزداد الروابط بين الطرفين فاقترحوا أن تكون هناك مصاهره بين رجال الدولة وغرامه، واوعزوا الى الأمير عبود ان يطلب يد سلما بنت عبدالله عوض من أخيها عبد القوي، فأرسل الأمير عبود من يخطبها له، وبعد مداولة الرأي بين العائلة الغرامية تم القرار بإجابة الخطبة وأقيم الوعد للعقد والدخول. وجهز احد بيوت عبد القوي – وهو الدار القائم جنوبي الزقاق الممتد شرقا من الطريق القادم من المجف نحو مسجد باعلوي – والمسمى الآن دار عمر بن بدر جنوب دار غرامه وشرقي مسجد باجديع- خصص لسكن الأمير عبود وقرينته الجديدة التي بنى بها في الدار نفسه٠

بين الزوجين :-

ونظرا إلى اضطراب عبد القوي وقومه من مجاورة الدولة واستيلائها على ناصية البلاد فإن الحياة في نظرهم لم تعد صافية الأديم واخذ عبد القوي يرسل عبيده تباعاَ الى سيون والبنادر مما يشعر بوشك هجرته اليها، وأخيراً حزم أمتعته واستأذن من

الدولة في السماح له بالسفر هو وعائلته.

وفطن الأمير عبود لشانه مع قرينته ابنة عبدالله عوض فاستدعاها إليه في الليلة التي في غدها سيكون رحيل قومها وخبرها – وهو مكتئب حزين – بين الرحيل مع أخيها أو الإقامة عند بعلها، وقد أجابت المسكينة – والدموع تتساقط من أجفانها – جوابا حكيما، يدل على عراقة أصلها وعزة محتديها إنني اختار الإقامة معك لولا أنني لا آمن أن أبرمك بعد رحيل قومي بالآهات والتؤاهات التي تزعجك وتعلق خاطرك، وتكدر عليك حياتك. فإذا كنت راضيا عني في رحيلي فاسمح لي بمرافقة اخي.

وسمح لها بالرحيل مع قومها وجهزها الامير عبود بما يلزم وكان الفراق.

نهاية يافع بتريم :-

اتجه آل غرامه تواً الى سيون حاملين أمتعتهم وأموالهم المنقولة يتقدمهم عبدالله غرامه. أما عبد القوي فتوجه بعد مروره بسيون إلى المكلا وأقام بها مدة من الزمان ثم لحقه عبدالله مع بقية العائلة، اذ لم يروا في بقائهم بسيون اطمئنانا. وهي مهددة بالدولة، وتخلف عنهم جماعه من عبيدهم استمرأوا مجاورة بني الضبي ومساعدتهم ضد الدولة.

وبعد رحيل غرامه من تريم تتابعت مكاتب آل لبعوس جميعاً بالهجرة الواحد تلو الآخر، ولم يبق بها منهم إلا آل همام والزغالدة والضباعي كافين أيديهم عن السياسة ومشتغلين بأحوالهم الخصوصيه.

أما سيون فقد امتلأت بمهاجري آل لبعوس وضاقت بهم البلاد وتضايق سراً آل الضبي من مراقبتهم ومزاحمتهم، وأحس كثير من المهاجرين بذلك فاختاروا الانتقال بعضهم الى غربي حضرموت وبعضهم إلى البنادر.

مرثاة ربيع سليم :-

وقد أكثر الشعراء في هذا الانقلاب العظيم وامعنوا في رثاء سلطة آل لبعوس كما

شاءت لهم شاعريتهم، الا ان مرثية ربيع سليم حازت المكانه الأولى لدى الجمهور وهي باللسان الدارج القريب من الفصحى وبحرها من الطويل وفي بعض سطوره الاولى خبن جرت عليه العادة في وزنها. وقد أحببنا إثباتها برمتها تكميلا لفائدة القراء.

بروق الظفر والنصر في الافق لممت ... وشجت على الغناء خواصب مزونها
ورعد الهنا قاصف يزوع الشوامخ ... وزلزل ديار الظلم واهدم حصونها
وسالت سيولا هايله تملا الفضا ... محت اثرة الظلمة وخابت ضنونها
وصارت ديار الظلم عبره لمن يرى ... كان لم يكن فيها عرب يسكنونها
خلت خاويه تبكى على من سكن بها ... ومستوحش الفظ الغضب عن سكونها
وظل غراب البين ينعي على اهلها ... وباتت طيور ألبوم تندب فنونها
وتبكي تعزي كل من مر نحوها ... ونجش ورثا كل من شاف هونها
فلو طفت في تلك المنازل ودورها ... وشفت البنا العالي ومحكم زبونها
لأرتعدت منك الفرائص وظلمت ... عليك الدنا مما ترى من حزونها
رمتهم سهام الدهر رشقاً فأصبحت ... منازلهم يقسمونها
تشتت نظام اليافعي بعد ما انقضت ... لياليه وافتكت غلايق دهونها
فآه على تلك الحصون التي اعتلت ... وأغلاهما دون الثريا ترونها
وآهٍ على تلك المصانع وحكمها ... فما تحسب أن الدهر قط يخونها
وآهٍ على تلك الديار التي ابتنت ... وفي كل جانب غلمة يحرسونها
فما يقبل العقل إن أمر ينالها ... ولا ظننا أن العدى يملكونها
وفيها الرجال الصابرون على البلا ... إذا ما انطفت نار الفتن يرشونها
إذا هاج وهاج الوطيس ترى لهم ... همم عالية والمشكلة يدهمونها
فآه عليهم أينهم أين بأسهم ... وأه على الحافات لي يحكمونها

وأين البيارق والمرافع والطوس ... وأين الطيالات التي يضربونها
وأين المسوح المحليات التي زهت ... على أكتفاهم صنعة حسن ينبلونها
بها يدحنون الخصم في كل هيجاء ... وإكرامهم للخصم ما في بطونها
وأين الجنابي ذي شطب رهف حدها ... وأين النمش ذي بعضهم يصقلونها
وأين التلد والنوبة الآن أينهم ... وأين الشجاعة ذي بهم توصفونها
فمالي أرى الموزع ضرب أصل ساسه ... واجتثت الشجرة ويبست غصونها
ولكنهم بالظلم والجور والهوى ... رموا في مهاويها ولم يحذرونها
ولما عتوا واستعظموا رفع شأنهم ... وهلكوا رعاياهم ولم يرحمونها
أتتهم مصائب شتت جمع شملهم ... جزى ذلك الأفعال ذي يفعلونها
ودامت تقرضهم وتقطع فروعهم ... وتصطادهم مثل الخنب في دجونها
إلى أن بقي عبد القوي ابن غرامة ... جبل ما انقبل عز القبائل وهونها
وتبعته ضربة يسر في الموت قبلهم ... ومرج القبائل قط ما يحسونها
لهم في ميال الحرب لزمة وإن رأوا ... حياض المنايا طافحة يوردونها
وفي كل هيجا يطرحون الرسابة ... وأرواحهم في سوقها يجلبونها
.... بتقليع أسنان العدى يقلعونها
ولما استقر الأمر والمقضي انبرم ... وغابت عليهم شمسها في مجونها
أتتهم بنوا عبد الله أهل الشجاعة ... سراحين غضبى يقصر الموت دونها
بجيش عرمرم دونه الويل والنقم ... وهضل النعم من خوفه أجفت مجونها
خذوا سبعة أشهر لم يروا سنة الكرى ... وأجفانهم بالنوم لم يغمضونها
مصابيحهم لهب الذخائر إذا أظلمت ... عليهم حناديس الدجاء .....
وجاشت عليهم من بلاد العوالق ... رجال العلا والهينة لا يجيبونها
أسود إذا ساروا مشى السعد قبلهم ... وكم من سميطا في الوغا يقتلونها
بهادر نوادر في الملاقي تبادرت ... بحملاتهم رؤوس الهبب يطمنونها

واصطكت الجبلين في يوم عابس ... كما يوم نفخ الصور شدة غبونها
وشبت كيور الحرب يا صاح بينهم ... بنيران تتلهب وهم يظرمونها
وثارت معاكيها وعدة شرورها ... ودارت رحى الموت الرهيب في شطونها
وقد صدت الأبطال عن كل مصدر ... وضجت فوارسها وضاقت عيونها
وظلت وحوش الأرض ترعى لحومهم ... وخمت شوارعها وكثرت عفونها
فلله در الطاهش ابن الطواهش ... نقيه بني مالك ومجلي حزونها
عباد الأسد ذي شد عضوة بصفوة ... وقاموا سوا وأرواحهم يسعرونها
ولما رأى السلطان تلك الوقائع ... فحادى على شوكته لا يكدمونها
أتاهم بحكمة يقصر المكر دونها ... ضرب ضربته في الحرب لا يزهدونها
أمر بعد ما عانى ببحث الخنادق ... ومن مذكات القامزي يترسونها
فلم يشعروا إلا بوقع الزلازل ... من الأرض والنيران يعلو رشونها
وفرت بهم في الجو مثل الحوايم ... وهدمت مراتبهم وهم ينظرونها
فهابوا ورقوا من هجوم الفجايع ... وذلت شجاعتهم وبطلت صجونها
فودوا لسلطان الوفا معدن الكرم ... وطلبوا أمانه والمكالف يصونها
وأن لا يؤاخذهم على فعل ما مضى ... وأن لا يخلد بعضهم في سجونها
عفى عفو قادر والوفا عادة الدول ... فكم زلة بعد الغضب يصفحونها
وردت له الغنا تريم المدينة ... وطالت مباهيها وزالت ضغونها
واعلا عمود العدل فيها فأصبحت ... عروسا فيا لله ساعد ظعونها
وتحقيق نصر الله يؤتيه من يشاء ... فكم ذلة قد عزها بعد هونها
ولله تدبير العوالم كما يرى ... ودنيا الندم يا ناس لا تأمنونها
فكم قد دنت عالي وكم دانى اعتلا ... وكم قد بلا شخصاً بكثرة فتونها

إلى أن قال:

أصدق الذي قالوه تحقيق ما جرى ... أم أخبار تزوير افترى يفترونها

فآه على لبعوس جرثومة البلا ... فيا سعد قل لي كيف غابت ذهوفها
وكيف اصبحوا في كل أرض بعيدة ... وهم عين للغنا وتشديد نوفها
ولكن هذا الظلم بدد جمعهم ... وهتك المحارم جرعتهم منوفها
فسأل رب العالمين إلهنا ... بأن يرحم الغنا ويعلي شؤوفها
وفي تلكم الساحات يجمع شملنا ... بأصحابنا والنفس تسلى شجوفها
وصلي على أحمد كلما الطير غردت ... وما اهلت الوطفا وهطلت مزوفها
مع الآل والأصحاب ما طاف طائف ... وما دامت القراء الكتب يدرسوفها

سريه من آل الضبي ط

بعد عودة جيوش القبله واستتباب الامن سرى ذات ليلة جماعة من يافع سيون آل الضبي ومعهم بعض من عبيد بن غرامه الى تريم وضواحيها ليتصولوا على من يلاقونه هناك، وقد طال مكثهم وتجسسهم دون ان يعثروا باحد، فعادوا ادراجهم ومروا بطريق قرية ثبي حنقين• ثم بدى لهم ان يتسوروا على بيت شخص من آل باجبير فوجدوه نائما مع زوجته فقتلوهما وانطلقوا هاربين، ولم يلبث الخبر ان انتشر في طول البلاد وعرضها، وهب الناس باجمعهم مستنكرين هذا الفعل الشنيع الذي لاتبرره عاطفه سليمه، ولايرضى به وجدان طاهر. وعظم الامر على الدوله كثيرا واجتمع رجالها فكتبوا لمناصب الجهة ورؤسا القبائل، بل وكتبوا ايضا لمشائخ يافع في البلدان الاخرى، ولعلي ناجي صاحب الشحر، يتذمرون من عدوان آل الضبي وعملهم الفضيع في الأبرياء وقد اهتمت الدوله بهذه الفعلة اهتماما عظيما تسبب عنه فتنه طويلة الاكمام والذيول انتهت بدخول الدولة سيئون كما سياتي.

حصار سيون ط

وجمعت الدولة كتائب من المسفله ومن آل كثير وارسلتهم الى ضواحي سيون بتاريخ ..... للإغارة عليها وحصرها، وكان الوقت صيفا، فكان اكثر رجال

يافع واعيان سيون مصيفين في الضاحية المسماة بالقرن.فما شعر الناس الا بالغاره وانطلاق الرصاص فذعروا وفروا إلى البلاد تاركين بيوتهم ومابها من اثاث واقوات، فاستولى عليها المغيرون. ثم اخذوا أكثر التمر الذي يحمله النخل، ومكثوا في القرن اياما يغدون ويروحون لمنع الوارد الى سيون من الجهة الشرقية.

وهجمت عليهم يافع فالتحمت المعركه واسفرت عن جرحى كثيرين من الفريقين وقتل عبد واحد من عبيد يافع.

وانسحب المحاصرون من القرن عائدين الى ديارهم وصمموا على منع الداخل الى سيون من الناحية الشرقية وابتنت الدولة كوت جمعان تعزيزا لمشروعهم ، كما انهم ارسلوا رجالا منهم الى قبائل آل كثير في الناحية الغربية يصلحون ذات بينهم ويعقدون مع جميعهم حلفا مع الدولة على منع الوارد الى بلدان يافع وقد نجحت هذه النكايه وهب الكثيريون يدا واحدة على حصار سيون وتريس ومريمه وبدأت الضايقة في الاقوات تلقي نيرانها في البلاد ، واخذ التجار يحتكرون ما بأيديهم من الحبوب.

تطويق سيون :

وضرب نطاق الحصر على سيون غير أنه تطويق سهل الحركة فالشفاعات تقبل والمهربون يهربون ما يمكنهم تهريبه من الأقوات والمحاصرون قد يتغاضون نوعاً عن بعض الإشتباه.

القبض على الأعيان :

وقد اهتمت السلطة اليافعية في سيون بالحالة المعيشية فقررت تفتيش المخازن والمستودعات ، وضايقت الاهالي مضايقة ضج منها الجمهور. ورفع جماعه من أعيان البلاد ووجهائها عقائرهم باستنكار سلوك السلطة فما عتمت ان قبضت على افراد منهم من اجلّهم الحبيب العلامة محسن بن علوي الصافي السقاف ، والحبيب

جعفر بن شيخ السقاف ، والشيخان عمر بن عبدالرحمن فقيه وعبدون السبايا واعتقلوهم في دار الشيخ عبدالله بن زين بن هادي باسلامه. ثم انه لما زاد احتجاج عبدالله باسلامه على السلطه من جعل بيته معتقلا لهولاء نقلوهم الى دار آخر لبعض آل صبان .

إرسال مندوب إلى الشحر :

وفي هذه الأثناء قرر رجال السلطة اليافعية بسيون إرسال احد عبيدهم الى بندر الشحر لجلب الاقوات الضروريه فتوجه من سيئون عبد من عبيد آل يحيي اليافعيين لجلب تلك الاقوات وزود برسائل الى اميرها علي ناجي ولما كان قريبا من سيون عائدا بتلك الاقوات تلقاه رجال الدولة وصادروا ما معه من الأحمال فدخل سيون صفر اليدين وكتب سادته الى علي ناجي صاحب الشحر بما وقع فكتب هذا الى الدوله يطلب منها السماح للاحمال التي قدم بها عبد آل يحيي اليافعيين بالدخول الى سيون، لانه هو الذي وصلها لهم ورأت الدولة انه من صالحها السماح بذلك فسمحت بدخولها .

أثر القبض على الأعيان :

وسريعا ما انتشر خبر القبض على هولاء الاعيان فاستقبله الناس باستنكار عظيم زاد في مقت آل الضبي والحط من شانهم. وهرع رجال من يافع انفسهم من آل النقيب وبصحبتهم الحبيب علوي بن سقاف الجفري والحبيب احمد بن جعفر بن احمد بن زين الحبشي الى سيون، لتفنيد السلطة لها على هذا السلوك الشاني ومراجعتها في إطلاق سراح المعتقلين الكرام.

وبعد وصولهم إلى سيون دعوا إلى عقد مجلس يحضره رجال السلطة وبعض ذوي الشان بالبلاد فعقد بدار محسن بن غالب اليافعي، ومما بلغ الينا عن هذا الاجتماع ان الشيخ صالح بن سالم بن هرهره واخوه عبد الرب تكلما بكلام ينافي

الآداب واللياقه في حق الحبيب العلامه محسن بن علوي فتأفف الحاضرون من ذلك وأسكتهما بعض شيوخ القوم وعقلاؤهم. وطلب اطلاق سراح المعتقلين قبل كل شيء الحبيب علوي والحبيب احمد وآل النقيب.

فوعدهم آل الضبي خيرا وقالوا لهم سنتشاور مع بعضنا وندعوكم هذه العشية إلى مجلس نبسط لكم الأسباب ونوضح لكم كل شيء. ثم لا يكون إلا ما تريدون.

أسباب القبض ط

ووقع الاجتماع الثاني بدار الشيخ عوض عبد الشيخ٠ وطال الأخذ والرد وبذل الحبيب علوي بن سقاف الجفري اقصى جهده في اقناع القوم بوجوب اطلاق المعتقلين٠ وكانت الأسباب التي أدلى بها رجال السلطة في تبرير القبض على هؤلاء الوجهاء المشار اليهم تتلخص في نقطتين:

أ – انهم دائما يما لؤون الخصم وينشرون له الدعايه، ويناوؤن السلطه المحليه وينفرون الناس عنها من غير هوادة ولاحياء ولاخوف .

ب- وبحكم الضايقة المعيشية التي قد شدت وطأتها على البلاد طلبنا من اهل البلدة مساعدة بجمع النقود وترسل الى الشحر لشراء الاقوات الضرورية (تجمع على اساس اسهم وتباع) بربح لهم فلم يرتضوا. وبلغنا ان اكابر المثبطين لهذا المشروع هم هولاء المعتقلون.

بهذا فنحن لانستطيع اطلاق سراحهم مالم يتعهدوا لنا بما يلي :

١. أن لا يعودوا الى ممالأة خصومنا.

٢. أن يجمعوا من أهل البلاد نقودا كافية لجلب الحاجيات الضرورية للاقتيات وهذا هو غاية ما نستطيعه في هذا الموضوع .

وانفض المجلس ونهض المصلحون وجمعوا الرعية فاذا هم يشكون ويبكون من سوء الحال ونكد الفقر وقلة النقد. وبعد اللتيا والتي تم الاكتتاب اضطرارا وجمعوا

حلي نسائهم وشيئا من النقود. واختاروا اربعة من التجار لادارة العمل، فتوجه نفر منهم الى البنادر بالنقود والحلي والتزم كل واحد من وجهاء البلاد في جلب كمية من الاقوات وسجل ذلك في قائمة. ثم اطلق سراح المعتقلين .

الضائقة المالية وشكوى اهل سيون منها :

واغتنم الرعية فرصة وجود الحبيبين علوي بن سقاف الجفري واحمد بن جعفر الحبشي فعقدوا اجتماعا حافلا وشرحوا فيه لهما حالهم وما يكابدونه من الفقر والضائقه الآخذة بالخناق ، وان الحالة توجب عليهم القرض من أي جهه يتأتى منها القرض وانهم مستعدون لتمليك نخيلهم وعقاراتهم بالعهدة مقابل ذلك. كما انهم أيضا مستعدون لتقليطها بتاتا باثمان متهاوده لشدة حاجتهم إلى نقود تقوم بأودهم وتقضى بها ديونهم الثقيلة الوطأة .

أهالي سيون يعرضون أموالهم على القعيطي للشراء :

وبعد البحث وارتفاع الأصوات وانخفاضها قرروا على أن يقرعوا باب القعيطي فيستعينوا به في القرض او التقليط لأنه أولا ملئ بالنقد وثانيا يشعر منه تشممه لامتلاك سيئون نفسها .

وكتبت العرائض بهذا الصدد الأولى للامير محمد بن عمر القعيطي والثانية لالماس عمر الحبشي والثالثة لعنبر مولاهم ، ودفعوها للحبيب احمد بن جعفر الحبشي ليوصلها هو بنفسه للقطن ويتوسط في القضية وطلب منه المشار إليه أن يصحبه اثنان من أعيان سيون وتقدم هو إلى حوطة الحبيب احمد بن زين فبات بها. ولحقه في الصباح التالي الحبيب محسن بن علوي السقاف والشيخ عمر دحمي وشخص الثلاثة الى القطن حيث قوبلوا هناك مقابلة كريمه غير ان القعيطي اظهر لهم من الاعتذار عن عدم قبول مطاليبهم ماجعلهم يعودون مقنعين بعد ان اقاموا هناك يومين مجللين محترمين.

قضية القافلة :

وجاء النبأ من الذين توجهوا الى البندر لشراء الاقوات بان القافله قد غادرت الشحر متجهة الى حضرموت ، وهي مؤلفة من نحو ثلاثمائة جمل وسمع رجال الدولة بذلك فارسلوا من قبائلهم وعبيدهم من يتعرض لها. وبلغ الخبر آل الضبي فهبوا مجمعين لملاقاتهم فاصطدم الفريقان على جول جثمه قبل ان يتصل احدهما بالقافله. وباتت القافله بدون علم منها قريبا من موضع الاصطدام. وانتشبت المعركه الحامية بين يافع والشنافر واحتدم القتال وطالت مدته من الفجر الى العشية وانفصل الفريقان عن بعضهما بعد ان خارت قواهما وبعد ان امسى الجول مملؤ بجثث القتلى والجرحى المبعثرة على ساحته. واقتلع رأس ولد صالح غرامه وباتت جثث القتلى محدجه في الفضاء حتى فجر اليوم التالي.

سقوط القافلة في ايدي رجال الدولة :-

اما القافلة فانها كما قلنا حطت قريبا من موضع المعركة ولما أن سمع رجالها دوس البنادق وازيز الرصاص شدوا حمولهم وهربوا بالقافلة منذعرين على غير هدى حتى انجدوا الى سهل تاربه حيث احتضنها هناك رجال الدولة .

ويقول المصدر الذي غربلنا منه هذه الاخبار ان الدوله كتبت لرعية سيون تطمئن خواطرهم عن اموالهم التي تحويها القافلة .

وفي هذه الاثناء ارسلت الدولة نجايا إلى الشريف عبد الرحمن بن محسن صاحب مأرب تطلب ارسال جنود اليها فجاء هو بنفسه ومعه الفي مقاتل ، ووصلوا الى العبر في شهر ربيع الثاني سنة الف ومائتين واربعة وستين هجريه وتلقاهم الامير علي بن احمد احد رجال الدولة الى مواضع نهد .

ولما بلغ خبرهم الى الامير محمد بن عمر القعيطي تلقاهم الى المصحره مع عدد من جنده لمفاوضة سَّرية لم يصل الينا فحواها. وكان الامير المشار اليه مع مملوكه

الماس عمر عاملا في القطن عن الجمعدار عمر بن عوض القعيطي وكانوا على أتم ما يكون من الحياد غير غامسين ايديهم في شئ من هذه الفتن .

ومر الشريف عبد الرحمن والأمير علي ومن معهما بسيارة (خفير) من نهد ونزلوا بشبام ضيوفا على السلطان منصور بن عمر ثم غادروها الى ضواحي سيون حيث تجمعت هناك للدولة جيوش كثيفة من آل كثير والعوامر وآل جابر وحاشية تريم واشتعلت بروق الحرب من كل صوب على آل ضبي .

هجوم الشنافر :

كان للفعل الذي قام دعاة إحياء الدولة الكثيرية في الأوساط الشنفريه اثره الملموس ونجاحه السريع وساعدت في انتصارات الدولة الباهرة في الميدانين السياسي والحربي وعلى إحياء تلك الروح الخامدة فألهبتها حماسا وأذكتها غيرته. فتوالت جموع الشنافر الى الدولة تقدم مساعدتها في سبيل المساهمة لتحقيق المشروع العظيم .

وأول شيء بدأوا به هو مساعدتها في حصار سيون. ثم انقلب ذلك الحصار الى هجوم عنيف يضحي فيه الأبطال بأرواحهم الغالية .

القيام بهجوم عام :-

بعد قدوم الشريف قررت الدولة الهجوم على سيون بقبائل الشنافر فقط اما قوم الشريف فيلزمون مرابطهم في تطويق البلاد ويبقون كاحتياطي لها .

وكان ابتداء الهجوم ليلا عند هدوء السامرين فتقدمت طائفة من العوامر ودخلت سيون من خلال ديار آل حسان أي من الجانب الشرقي و تقاطرت الى ساحة طه وانتشر الخبر في البلدة بدخول الدولة وكانت الشائعة اكبر من الحقيقة فحسبوا يافع ان الداخلين هم جيش كثيف فلزموا في حصونهم واقفلوها من الداخل على ان طائفة العوامر باتت على وجل في ساحة طه عالمة أنها ورطت نفسها

بالدخول قبل باقي كتائب القبائل الشنفريه وظلت كذلك الى الظهر حيث دخل الجيش كله من ناحية جثمة أي الجانب الجنوبي وامتلأت البلاد به ولم يجد اقل معارضة وانحدر بعض الجيش الى السحيل فاستولى على مراكزه الحربية ونودي بالامان واستمرار المواصلات وصليت الجمعة في مسجد طه ولكن يافع لم تزل مصممه على عدم فتح حصونها والبروز منها. وبقيت بعض الحصون الحربية بيدهم منها حصن الحد استمر محاربا وفية آل يحيي ولكنه بعد ثمانية ايام سقط وسلمت قبائله .

الصلح وشروطه ط

وتوسط السعاة في الصلح فصفيت الحالة تماماً بعد انقضاء نصف شهر على بدء الهجوم وانتهت مساعي التوفيق إلى ما يلي:

١. يسلم آل الضبي جميع المعاقل الحربية التي بقيت بيدهم.
٢. تتولى الدولة جميع شؤون البلاد دون أن يكون لآل الضبي أي حق فيها.
٣. على كل فخذ من فخائذ يافع بسيون أن يقدم للدولة رهينة من أفراده يبقى لدى الدولة مدة معينة وبعد مضيها يبدل بغيره.
٤. إذا زال الفخذ من سيون يطلق سراح محبوسه.

ولم ترق الحياة لأكثر فخائذ يافع بسيون فما لبثت هذه الأفخاذ أن توالت مغادرتهم سيون بالتتابع فخذا فخذا وأطلقت رهائن الجميع ولم يبق بسيون منهم سوى آل الشيخ علي وآل محمد سعيد. فقد فضلوا عدم مفارقة ديارهم وعقاراتهم.

أقوال الشعراء:

وقد لعبت شاعرية شعراء القطر دورا هاماً في قضية سيون ونفثت في شعرها الدارج ماشاءت أن تنفث من رسوم الإ غراء والتعبير، وراحت في كل واد منه تهييج العواطف وتلهب كوامن الفتن فمن ذلك قول سعيد باجراد في قصيدة

أرسلها إلى ربيع سليم والاثنان بجاوة. والقصيدة كلها سموم ناقعة ولذلك حذفنا منها ما تمنعه اللياقة والأذواق وهو الأكثر منها. قال:

سحايب على سيون في الجو دلهمت وحطت على يافع سواكب ثعورها

إلى أن قال :

وقلت أين أولاد الظبي لي تحتمت وأين المراتب والمصانع ودورها
أما سمعوا الأخبار ذي قد تقدمت من البعسي المشهور حامي عذورها
أخذ سبعة اشهر ساهر العين واعتمت من الحصر والبارود كثرة عكورها
وآل الظبي بضباتهم ما تدسمت وعبدالقوي تشكره جملة صقورها

إلى أن قال :

ورايات غالب من دماهم تسهمت ورجفت قلوب اليافعي من ظهورها
وضاقت صدور آل الظبي يوم ورمت رئتهم وخافوا من لواهب قدورها
ولا يذكرون اللي رجال الغضنفر من غرامة عقورها

إلى آخر ما قال. وكلها من هذا النمط وأشد منه.

وقد أجابه ربيع بقصيدة لم تكن أقل نكاية أو أخف وطأة من الأولى. إلا أن جزالة لفظها وحسن سبكها قد يشفع فيما تنفثه من سموم لهذا لا نحرم قرائنا منها.

قال لا فض فوه:

إلهي علينا نعمتك كم تعظمت وكم عمت أقواما مضت في عصورها
وقدرتك كم امحت أمورا وأبرمت وكم حارت أرباب الفكر في فكورها

إلى أن قال:

وآل الظبي في مبتدى الأمر صممت على الحرب في سيون والتم شورها
ولا تمتضي إلا إذا قد تيممت ببطن الثرى وتلايمت في قبورها
وقالوا على الدولة بلدنا تحرمت ونحن الذين نركب شدايد خطورها

وجدت على الفتنة وهاجت وزبرمت وطرحت قسم تشهد عليها زقورها
ولما رأوا رايات غالب وطلعت مناشيها وثارت عكورها
وفرسانها تحت البيارق تزاحمت وطرحت على أخذ الطويلة مهورها
قفت و أدبرت من شدة الرعب واعتمت وذلت شجاعتها وولت دبورها

ثم قال يذكر ابن غرامة البعسي وما صار منه بتريم:

فاينك من البعسي ذلوقه تكدمت من الطعن ساعة أحدقت به نمورها
نعم كم رأينا أطفال منها تيتمت وأرملت الخرد ولزمت خدورها
نهار الرمك يوم الشوامخ تصادمت وقد شب لاهب ويلها في ثبورها
نهار العواده في الشوارع تناهمت ومن شدة الحملات ضاقت صدورها
نهار الوغى يوم القواريط أرقمت وباتت على لهب الذخاير سمورها

ثم بعد كلام طويل ختمها بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

صلاة سلام ما البلابل تناغمت وما باحت أفراخ العنق في وكورها
لمن نحوه الأشجار جاءت وسلمت نبي الهدى شمس الشريعة ونورها

بين صاحب تريس والدولة:

وبعد الإستيلاء على سيون وانتهاء مشكلتها واستقرار الأمر بها كاتبت الدولة الأمير عبدالله بن صالح بن النقيب صاحب تريس تنذره بان هذه البلدة إنما هي ضاحية من ضواحي سيون. وان حكمها حكم سيئون فإذا أحب البقاء بها. فإن الدولة لاتمانع أن يكون عاملاً لها على البلدة وإلا فله أن يبتعد عنها. ولم يشأ هذا أن يذعن لما طلبته الدولة منه. أو لعله لم يقتنع بحسن نيتها نحوه. ورأى أن الدخول معها في حرب للدمار عن بلدته يرى أنها حسب نظره ـ ادعى للشرف من الرضوح لمطالبها والإذعان لها.

حصر تريس:

واقتنعت رجال الدولة بصعوبة احتلال تريس بطريقة من الطرق الدبلماسية بعد أن فشلت المحاولات التي قاموا بها وانه لابد من امتشاق الحسام والتمنطق.

وفي ..... جهزت الدولة جيشاً قوامه..... واكتفى بحصر البلدة واحتلال بعض الطوابي، ولم يفت هذا الحصر في عضد ابن النقيب ولافي تصميصه على مواصلة الحرب فقد مكث مقاوما اكثر من ثلاثة اشهر لم يلن له فيها جانب ولم يبد منه خلالها أي هواده أو لين.

محاولة منع الماءط

وحين رأى رجال الدولة أن جهودهم ذهبت عبثا٠ وان الهجوم على البلد سوف يتقاضا منهم ثمنا باهظا. فحفرت بابا وسردابا في باطن الأرض لتوصله الى بئر الحصن كي تمكن من قطع الماء٠ عن سكانه٠ فيضطروا الى التسليم والاذعان لمطالبها غير ان التوفيق لم يصادف هذا المشروع الغاشم فقد كانت المسافه بين بدء السرداب وبير الحصن بعيده والمشرفون على العمل ممن يجهلون المبادىء الهنديه. لذا فقد اتجه السرداب اتجاها بعيدا عن مكان البير. فباء المشروع بالفشل.

الصلحط

ودخل المصلحون بين الطرفين فأقيمت هدنه وانتهى الامر بأن يغادر ابن النقيب وقومه تريس وعلى الدوله أن تدفع لهم مصاريف رحلتهم الى القطن فكانت ستمائة ريال، نقدتها الدولة حالاً واحتلت البلاد وهدأت الأحوال .

بدء دخول القعيطي في الميدان:-

كنا قد فصلنا في الجزء الأول تفصيلاً تاماً حياة السلطان منصور بن عمر وما جلبه على نفسه وقومه من الويلات والعواقب الوخيمة.وشرحنا فادحة دار معمر وما أصاب حرم القعيطي فيها الامر الذي جعله يصبح موتوراً لمنصور بن عمر

.وحمله على الانتقام منه رغما من حرصه على الحياد .وبينا بياناَ شافياَ تجهيز الأمير محمد عمر القعيطي على شبام أواخر ١٢٦٤هـ وجلبه جنوداَ من القبله وإلحاقه الضرر البليغ بمنصور حتى استنجد هذا بالدوله فأنجدته. وأوضحنا إيضاحاَ كافياَ فشل الجهود العلوية في الحيلولة بين اتصال الدوله بمنصور ونصيحة عقلاء العلويين لها بأن تبقى في غنى عن ان تجلب لها عدواَ جديداَ قاهراَ وهو القعيطي. وأن منصور بن عمر ليس هو من أولئك الذين يرجى من قربهم ونصرتهم خير، وأن من صالح الدوله بل والقطر بأسره الاتفاق مع القعيطي على إصلاح البلاد وإقامة العدل وتوطيد الأمن كل هذا أطنبنا فيه في الجزء الاول وذكرنا أن النعرة القوميه التي التهبت إذ ذاك جذوتها بين يافع والشنافر لم تدع للتعقل ولا للرزانة موضعاَ .

مغبة نجده لمنصور :-

وبهذه النجدة اندفعت التيارات العصبية تجرف ما أمامها وابحر صريخ من يافعي حضرموت الى الدكن يستصرخ بالقعيطي لإنقاذ قومه من الصيال الشنفري .وقد نجح الصريخ في مهمته وجهزت الامدادات وتوجه المقدم محمد بشهر والمقدم عبدالله صالح داود مفوضين من قبل القعيطي إلى جبل يافع لتجنيد جنود من هناك، ثم أبحرا إلى الجبل على ظهر باخرة إنقليزية يقودان حمله كثيفة يترأسها المقادمه الشيخ على بن الحسين الضباعي وأحد السادة آل الشيخ أبوبكر وصايل بن ناجي ومحمد المثنى والحريبي وغيرهم،فوصلوا الى المكلا بعد أن قاسوا من أنواء البحر اتعاباَ عظيمة مات منها عدد كبير.وما لبثوا أن صعدوا حضرموت ودخلوا سيون وقد وصفنا رحيلهم و دخولهم سيون في الجزء الاول عند ذكر حياة منصور بن عمر فلا نرى حاجة الى إعادته.

وبذلك وبما تسلسل من مصادمات مع القعيطي نرى أن مغبة نجدة الدوله لمنصور كانت وخيمة ،وأنها دفعت في صداقتة وعداوة القعيطي ثمناَ باهظاَ،

أوقعت تيار انتصاراتها الاولى وجعل لها من منصور وتبعاته شغلاً شاغلاً كما أتينا على شرح ذلك عند ذكر حياته .فارجع الى ذلك إن شئت.

محاولة الإصلاح:-

كنا قد اشرنا مراراً الى أن المساعي العلوية أنما ترمي الى إنقاذ القطر من براثن الفوضى العشائرية و إدخاله تحت كنف دولة نظامية تقيم الحدود والموازين وتوقف الأقوياء الظلمة عند حدود العدل والإنصاف.ولا تنظر الوجهة العلوية الى المتسلطن ولا الى قوميته ما دام متكفلاً بإقامة العدل ونصرة الشريعة المطهرة. فهذه الوجهة المقدسة يستوي في نظرها اليافعي و الكثيري و التميمي وغير هولاء من عشاير القطر إذا انس الواحد منهم من نفسه الكفاءة لما انتدبها إليه .ولو تقدم زمان قيام القعيطي لقامت الجهود العلوية بنصرته و لمدت أيديها مرحبة بقيامه .ولكن حيث ان قيامه كان متأخراً بعد قيام السلطان غالب فالحالة تقتضي بذل الجهود في الحيلولة بينهما وبين التصادم وهذا هو ما عمد اليه العلويون وشمروا له عن سواعدهم والحبيب الحسن بن صالح البحر هو كنقيب للعصابة العلوية يكتب عن رأيها ويخاطب بمبدئها وترجع اليه في مساعيها حينذاك ،فكم كرس هذا الحبيب العلامة وقتاً عزيزاً وانفق مالاً غزيراً في معالجة هذا المشروع جمع الكلمة بين غالب والقعيطي وكم سعى وخب بنفسه وبرسله ورسائله في محو ما تذكيه ألسن السفهاء من النعرة القومية في دماغي هذين العاقلين ولا نرى ضيراً في أن نورد هنا شيئاً من رسالة أرسلها الى القعيطي .نورد ذلك كأنموذج لتلك المساعي الطاهرة

ونحن وإن كنا نلاحظ على امثال هذه الرسائل ألفاظها الموشاه بالسجع الذي لاتسوغه اذواق اهل عصرنا او اننا نحسب ـ ولعل حسباننا صادق ـ ان له عند اولئك الماضيين شانا غير شانه اليوم وتاثيرا لدى قرائهم لا نتكيفه نحن. والا فلو لم يكن كذلك لما التزمه الكاتب نفع الله به وهو من أكابر المصلحين عقلا وعلما

والتزاما ربما عدل به عن معنى مرغوب فيه الى ما هو دونه مراعاة للسجعة والشاهد يرى مالا يراه الغائب. قال من اثنا رسالته :ـ

وقصدنا بها أن تبلغ محمد بن عمر بن عوض القعيطي وموالي ولده الماس وغيره وإخوته وأهل شورته المتعاونين على البر والتقوى والإحسان لا المتعاونين على الظلم والطغيان والإثم والعدوان، والذي حملنا على ذلك هو المحبة والشفقة كما اقتضاها الإيمان. وقد اختلفت بيننا وبينكم الكتب رجونا بذلك جمع الكلمة والتعاون والتوازر على دين الله وشريعة ولد عدنان وقد بلغنا في كتبكم أن والدكم عمر بن عوض ما مراده إلا الحق فسرت سرائرنا بصلاح الشأن وكذلك غالب بن محسن ومن معه ما يريدون إلا ذلك، فأحببنا أن يكون التعاضد والتناصر على ما يرضى به الرحمن، وأملنا الاجتماع منكم ومنهم على اتحاد الكلمة الذي يرغم بها الشيطان ويقصر بها أيدي أهل الظلم والطغيان، فإذا وقع الاجتماع بالقوة والقهر أجاب من في قلبه إيمان، وكان البعض بالبعض يشتد كما يشتد البنيان ومن خالف الأمر يقهر ويجبر على ما يسعد به، وينجو من سخط الله وعذاب النيران، ولم يعد إلينا منكم بعد ذلك جواب بتقدير من لا يشغله شأن عن شأن، ولا يخفى علينا ولا عليكم ما وقع في هذا الوادي من الظلم والتعدي والطغيان، ولعله أثار الغيظ منكم ومن والدكم عمر ما وقع من منصور بالخصوص من الإحراق على الغفلة والنساء والصبيان وغير ذلك من الإثم والبهتان. وقد واجهناه بالخصوص بالعتب والملام، وغيره من أهل العدوان والمخالفة والعصيان.

وقد شهرنا الدعوة في هذا الوادي بين آل كثير وأهل البلدان ونهيانهم عن المخالفة والعصيان، ولم يشكر من خالف بل أذاقه المولى الذل والهوان وذلك مشهور لا يكاد يجهل إلا على غافل وسنان، ومتكبر معرض استحوذ عليه

الشيطان، فلنا راينا الاعراض عن سبيل الملك الديان، والتمادي على مخالفة من لايشغله شان عن شان، التجأنا الى من عوائده معنا ملاحظات الاحسان. بابيات التجأنا فيها الى الكريم المنان، فلما وقع مظهر غالب بن محسن واتيان الكتب بامر عمر بن عوض ايقنا الاجابه، وان هذا صدق وعد مولانا بها، فسررنا بكتب الماس الينا وانه مامور من عند سيده عمربالعدل في اصلاح هذا الوادي، وكتبنا للماس انه يصل الينا ونجمعه هوواولئك كما في الكتب السابقه.

الى ان قال:

والذي اوجب تعجيل هذا الكتاب اننا نسمع من الدوله آل عبدالله ان معهم تجميع اقوام لما يسمعون عنكم من ان معكم تجنيد وتحشيد، ولانحب منكم ان تكون منكم معانده في الشرور والبغي في الارض بغير الحق، وقد بلغنا من المحب عمر بن عوض انه مامراده الا نصر الشريعة ولايريد تعدي ولاكبر، وهولاء آل عبدالله على مايبلغنا عنهم انهم ماقاموا الا لاقامة الشريعة وحدود الله والانصاف بين عباد الله وسامعين ومطيعين لما نزل به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه واله وسلم، وقد بدأ منهم في اوائل هذا الامر البذل للمال بلا حرب ولافتنة فلم يقع مما ارادوا منه ذلك الا الاعراض فالحكم لله ـ والتقدير تقديره. وقد علمتم ان لهم سلفا في هذا الشان وماخرجوا اجدادكم من جبل يافع الى هذا الوادي الا بهم، وقد ظهر منهم فيما استولوه زوال بعض المنكرات واقامة بعض الحدود.

الى ان قال :

وعلمنا انه لما وصل بعض جند حضرموت وأوغروا صدره على الدولة وقصدهم منه مقاومتهم ففال لهم: إيش باقول فيمن بغا الحق ونصرة الشريعة، وإذا ما وقعت له منا معاونه معاد بانضره ونخذله. والذي اخبرنا حضر وهو عندكم

عمر بن عوض على ما نسمع به كذلك وفوق ما هنالك. وقد كتبنا للموسطة كتابا قبل وقوع شيء من هذه الأمور وقبل ما يأتي الأمر بالمقاومة. وأجابونا بعد أن واجهناهم بالنصح ـ انا عفونا عنك ـ كأنا جنينا عليهم أو فعلنا قبيحا في جانبهم٠

تجهيز السيد إسحاق ط

لتجهيز السيد اسحاق من قبل الدولة العلية شأن ذو أهمية في هذا الدور من التاريخ وان يكن انتهى بالفشل التام الا انه مع قرب العهد به خفي كثير من تفاصيله على جماعه من الذين كتبوا في التاريخ الحضرمي الحديث، وقد اضطرب البعض منهم وشط حتى جعله في سنة ١٢٢١ والحقيقه هو على ما استقيناه من المصادر الموثوق بها، كدشتة السيد محسن بن علوي نفسه الذي هو من ابطال ذلك الموقف، ومن دشته اخرى اعطانيها في حياته السلطان المغفور له علي بن المنصور. وهي الدشته التي يكتبها رجال الدولة انفسهم، ومن سفينة السيد المؤرخ محمد بن علي الجنيد وغيرها، ولم نر بين هذه الدشتات كبير اختلاف فيما نقول ماعدا التقديم والتاخير في مذكراتها اليومية٠

ابتداء القضية :-

في سنة ١٢٦٤هـ عندما تورطت الدولة في حروبها مع عشائر يافع رفع جماعة من أعيان العلويين عريضة إلى الخلافة السنية بالاستانة، التي يقوم بها حينذاك السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود خان يشكون فيها من الفوضوية السيئة التي ألقت جراتها بحضرموت، ويفهمون الخليفة قيام دولة آل عبد الله وهمتها في نصرة الشريعة، وكونها تحتاج إلى قوة وتأييد، وأن قطر حضرموت يجار إلى الخلافة العظمى مستنصراً بها ومستنجداً إياها وأن القطر ودولته سيظلون متمسكين بأهداب الخلافة مستظلين برايتها إلى غير ذلك من الاستعطاف والاستغاثة.

وكانت صنعاء باليمن في ذلك الوقت ثائرة على الدولة العثمانية وكانت الجيوش

ترسل إليها من آونة إلى أخرى، ولما أن وصلت العريضة العلوية إلى الاستانة، وحازت القبول لدى الباب العالي أصدرت الأوامر السنية إلى والي الحجاز حسيب باشا بأن يجهز جيشاً كثيفاً لإخضاع اليمن ومنها حضرموت تحت قيادة الشريف محمد بن عون، وبمعيته السيد إسحاق بن عقيل بن يحيى.

وصول التجريدة إلى الحديدة:

وفي منتصف سنة ١٢٦٤هـ وصل التجهيز إلى الحديدة، وفرز منه جيش صغير يتألف من أربعمائة مقاتل، وألقيت قيادته إلى السيد إسحاق بن عقيل بن يحيى العلوي، وجاءت الأخبار تباعاً إلى حضرموت بوصول التجهيز إلى الحديدة، وكانت الإرجافات بهذا الصدد بالغة أشدها، والمبالغة في عدد الجيش وعدده لا تقف عند حد، ووردت من محمد بن عون وإسحاق بن عقيل من الحديدة تحارير، منها ما هو لصاحب الشحر علي ناجي، ولصاحب المكلا النقيب محمد عبد الحبيب إنذاراً وأمراً لهما بإطلاق توقيف الصادر إلى داخلية حضرموت الذي كانوا قد أوقفوه كياداً للدولة ومنها ما هو للسلطان عبد الله بن محسن والحبيب المرحوم عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي، إعلاماً بقوة التجهيز ووشك زحفه، ويقول الشريفان أنهما اندبا مندوبين إلى حضرموت أحدهما عربي وهو الشيخ محسن أغات رئيس عسكر الحضارم بجدة، والثاني ضابط تركي يسمى الحاج أحمد، أرسلاهما ليدرسا الحالة بنفسهما ويعودا بمعلومات شافية عنها، أما علي ناجي وزميله النقيب فلم يحركا ساكناً ورفضا أن يطلقا توقيف الصادر، وأما السلطان عبد الله بن محسن ومن معه من العلويين النائب عنهم الإمامان الحسن بن صالح البحر وعبد الله بن حسين بن طاهر، فقد أجابا بالشكر للقائمين بالتجهيز، واستحثوا الشريفين على استعجال التجريدة إلى حضرموت وندبوا السيد الجهبذ محمد بن الحسين الحبشي وهو إذ ذاك بالقنفذة أن يتوجه إلى الحديدة ليدلي بمعلوماته عن الحالة بحضرموت، وليعطي التجهيز بعض الإرشادات اللازمة من مثله.

المندوب التركي بحضرموت :

مندوبا السيد إسحاق بحضرموت :-

وفي شهر رجب سنة ١٢٦٤هـ أرسى سنبوق بميناء المكلا ونزل منه المندوب التركي الحاج أحمد والشيخ محسن أغات رئيس عسكر الحضارمة، وحالاً أرسلا إلى النقيب بخبر وصولهما، وأن معهما أوراقاً من الشريف عون ومن السيد إسحاق، فأرسل النقيب محمد عبد الحبيب من يتلقاهما بإجلال، وأنزلهما في دار جميلة، تليق بمثلهما، إلا أنه منع الرعية من الاتصال بهما، فمكثا في المكلا أياماً ثم توجها ومن بمعيتهما إلى الشحر ولم يقصر علي ناجي في الترحيب بهما وإكرامهما بالضيافة أيضاً في دار فخمة خاصة بهما. وقد أضافهما جماعة من أعيان الشحر.

مهمة المندوبين بالثغرين :

وتتلخص مهمة المندوبين للثغرين الشحر والمكلا في حمل أوراق مرسلة من الشريف عون والسيد إسحاق إلى النقيب وعلي ناجي تتضمن تلك الرسائل الإلزام بالسمع والطاعة لسلطان المسلمين وطلب الجواب منهما بذلك غير أن الاميرين لم يجيباه، ولم يأخذ ما في تلك الرسائل مأخذ الجد.

المندوبان في مسيلة آل شيخ :

في يوم الإثنين ٣ شهر شعبان سنة ١٢٦٤هـ وصل المندوبان ومن معهما إلى قرية المسيلة ونزلا ضيفين على السادة آل طاهر وآل يحيى وأرسل هولاء رسولاً بالخبر إلى سيون للسلطان عبد الله بن محسن وعلي بن أحمد وعبود بن سالم، وكان لهذا الخبر دوي عظيم بسيون وضواحيها، وأرسلت الرسل المستعجلة بذلك إلى البلدان الغربية من سيون، وألزمت تلك البقاع بالتنوير وهوإشعال النار على السطوح والمرتفعات تبشيراً بالفرح، ورفع الأصوات بالتبشير والتكبير وفعل ذلك ما بين سيون وشبام ليلة الثلاثاء الموافقة ٥ شعبان وفي الوقت نفسه توجه الأميران على بن أحمد وعبود بن سالم للمسيلة للقاء المندوبين.

دخول المندوبين سيون :

وعشية الثلاثاء جاءت الرسل من المسيلة من الأميرين للسلطان عبد الله بأن التركي الحاج أحمد والشيخ محسن أغات ومن معهما سيدخلون صباح الأربعاء، فهيأت الدولة المعدات للقائهم وقربوا المدفع إلى تحت حصن البلاد، وشحنوه ليطلقوه لدى دخول القادمين، ويوم الأربعاء ٥ شعبان برز الناس للقاء الواردين وخرجوا زرافات ووحداناً إلى خارج البلاد، وعند الساعة الرابعة قبل الظهر أقبل الأميران علي بن أحمد وعبود بن سالم يصحبهما التركي الحاج أحمد والشيخ محسن أغات رئيس عسكر الحضارمة ومن يتبعهما وتلاقوا مع المرحبين، ونظمت الصفوف وضربت الخانات والطيالة وقيلت الأراجيز والزوامل، وأطلق المدفع مرتين، وقوبل المندوبان بالترحاب الحار، ثم سلما الرسائل المرسلة صحبتهما من الشريف عون والسيد إسحاق لرجال الدولة لهم. وأما التي للسادة فأبقيت حتى يحين الاتفاق بالحبيب الحسن بن صالح البحر الذي أرسل إلى المندوبين يدعوهما ومن بمعيتهما إلى تناول طعام الغداء يوم الإثنين الموافق ١٠ شعبان في داره بذي أصبح، وكتب الحبيب إلى أعيان العلويين بأن يوافوه في ذلك اليوم.

الحفلة بذي أصبح:

وما آن ذلك الموعد إلا وقد أخذت ذي اصبح تتلقى الوافدين من كل صوب بابتهاج عظيم ، فكان يوماً مشهوداً في تاريخ تلك القرية، وأقبل فضلاء الجهة وسادتها وأمراؤها وزعماء قبائلها، وكلهم مدعون لحضور ذلك الحفل البهيج وجاء الحاج أحمد تركي والشيخ محسن لابسين لباساً حجازياً، يتقدمهما السلطان، عبد الله بن محسن وبقية الأمراء، ومن الشخصيات الكبيرة التي زينت المجلس الحبيب علوي بن سقاف الجفري صاحب تريس، والحبيب محسن بن علوي الصافي، وغير هذين أفذاذاً آخرون لم تتمكن الدشتة التي نقلنا عنها وهي دشتة السلطان المغفور له علي بن المنصور من أن تذكر أسماءهم.

ويظهر أن حديث الحفلة كان مشتملاً على أخبار الدولة العلية وتاريخها وحالتها الحاضرة، والخوض في التجهيز وقوته، وكان التركي يجيب على الأسئلة التي وجهت إليه بهذا الشأن بعربية معقدة قد يصعب فهمها على البعض، لولا ما يفسرها به الشيخ محسن أحياناً.

انطباعات الحفلة في نفس التركي:

ويظهر أن التركي كان معجباً جد الإعجاب بحسن سمت القوم ووقار شيوخهم، وما يبدو على وجوههم من آثار الشرف والصلاح والتقى، فقد صرح في الحفلة أنه شاكراً لله تعالى على أنه أتاح له السفارة إلى حضرة هؤلاء الرجال، ولم يتأثم بعضهم عن المداعبة وإدخال السرور على الحاضرين بالنكات المضحكة فعند توزيع اللحم مع تناول الطعام سأل بعضهم التركي عن هذه العادة ، هل لها وجود عندهم أم لا؟ وهل يراها حسنة أم لا؟ فأجاب بان لا وجود لها عندهم وأنه أول ما رآها في الشحر، ثم قال وهي دليل على ولوع الحضرمي بالاستقلال والانفراد بالعمل، والتحاشي على أن يحدث بينه وبين شريكه سوء تفاهم فصادف هذا الجواب استحساناً[1].

وبعد تناول طعام الغداء انفض أكثر المدعوين وظل التركي مع البعض بذي أصبح وباتوا بها ليلة الثلاثاء متناولين عشائهم بمنزل الحسن أيضاً.

إلى القوز:

وكانت قد سبقت للقوم دعوة الغداء يوم الثلاثاء بمنزل السيد العلامة الإمام علوي بن سقاف الجفري في المنتزه المسمى بالقوز في ضواحي بلدة تريس فأبكر رجال الدولة والمندوبان من ذي أصبح ممتطين خيولهم وحمرهم ومطاياهم يؤمهم الحبيب محسن بن علوي الصافي فوقفوا بالسوم ونزلوا بمسكن الحبيب عمر بن

(١) سمعنا هذا الخبر من الشيخ المعمر محمد قعيطان.

سقاف السقاف العلوي، وحضروا ما هناك كان مرتباً لذلك اليوم في الأسبوع ثم أفاضوا منه إلى القوز حيث الدعوة، وكانت الوليمة حافلة جداً، شهدها رجال من كبار العلويين ووجهاء آل كثير والمشايخ، والقوم لا يفتر نظرهم عن التركي لغرابة سحنته وزيه، ولأنه أحد مندوبي الحملة الناصرة. وبعد تناول الغداء وصلاة الظهر انصرف القوم إلى سيون حذراً من انهمار السحب التي تراكبت واكفهر الجو منها، وعقب وصولهم سيون نزلت الأمطار بكثرة حتى سالت الأودية شرقاً وغرباً، وابتهجت البلاد وتفاءل الناس بذلك خيراً.

وفي أواخر شهر شعبان توجه الشيخ محسن أغات رئيس عسكر الحضارمة باحارثة إلى وادي عمد لزيارة أهله وتمضية شهر رمضان المبارك هناك. أما الحاج أحمد فقد بقي بسيون طول هذه المدة، ولم تزل المكاتب ترد من حين إلى آخر بشأن الحملة، وحديث الناس لا يكف عنها وعما يتجدد من أخبارها، وذكر السيد إسحاق أنه منتظر عودة المندوبين ومعرفة ما يقررانه في الموضوع.

تولية قاض :

في يوم من أيام التهاني بعيد الفطر من عام ١٢٦٤هـ وقع اجتماع كبير بدار الحبيب محسن بن علوي السقاف حضره الإمام الحسن بن صالح البحر والسيد العلامة محمد بن علي بن علوي بن عبيد الله بن طه بن عمر الصافي السقاف، وفيه ولي منصب القضاء الشرعي، وتعين أن تعقد في يومي الأحد والأربعاء من كل أسبوع مجلسا عاماً لفصل القضايا.

عودة المندوبين :

وبعد أن عاد إلى سيئون الشيخ محسن أغات رئيس عسكر الحضارمة من بلاده بوادي عمد وذلك في سبع خلون من شوال غادر هو والحاج أحمد التركي ومن معهما حضرموت عائدين إلى الحديدة لرفع نتيجة المهمة التي أرسلا من أجلها.

طريق العودة:

تقرير المندوبين:-

تاريخ وصولهاما الحديدة:-

بين اليأس والأمل:-

((هكذا في الأصل عناوين فقط))

ودخلت سنة ١٢٦٥هـ والحالة كما هي والتحارير متبادلة بين حضرموت والحديدة، وعاهلا الثغرين غير عابئين بهذه المناورات، والسادة بداخل حضرموت قد ضاقوا ذرعاً من المواعيد المتكررة من جانب القائمين بالتجهيز وكادوا يشككون في الأمر لولا أن السيد محمد بن الحسين الحبشي الذي توجه بصفته مندوباً عنهم من القنفذة إلى الحديدة استمر يطمئنهم ويبدي لهم أعذار الحملة والموانع القائمة بها عن الإسراع في الزحف، وأن السيد إسحاق يقول أتمنى لو كنت طير فأطير إلى حضرموت.

قدومه:-

في أواخر شهر رجب سنة ١٢٦٥هـ جاءت الأخبار بوشك سفر الحملة من الحديدة ووصل السيد حسين بن عبد القادر بافقيه من اليمن إلى الثغرين وطفق يتحدث عن التجهيز وقوته، ثم اتصل بأمير الشحر علي ناجي وأخبره بما رآه من عدة التجهيز مما بدل سلوك الأمير فألان جانبه للرعية أكثر من ذي قبل وتودد إلى أعيانهم ووعدهم بوفاء ما استدانه منهم، وأطلق الحجز المضروب على الصادر إلى الداخل، وحذا حذوه نقيب المكلا وبدأت المخاوف تتسرب إلى أفئدة النقيبين.

سفر الامير عبود بن سالم الى الحديدة:-

((هكذا في الأصل))

سفر الحملة من الحديدة:

وفي مستهل شهر شعبان وردت التحارير من السيد إسحاق للسلطان عبد الله بن محسن وللسادة العلويين بان الحملة ستؤخر وستخرج من الباب في آخر الديماني وذكر أن لديه كسوة فاخرة للسلطان عبد الله ونيشان وراية وكتاب من الدولة العثمانية، وفيه أن الأتراك عادوا من صنعاء ظافرين، وأن ابن عون راجع إلى مكة لملاقاة جيوش وباشوات عظيمة قادمة من اسطنبول، وأنه سيعود إلى اليمن بعد العيد بجيوش جرارة ، وبعد هذا التحرير بيومين ورد تحرير آخر من السيد إسحاق أيضاً ينبئهم ببروز العزم، ويشير عليهم أن ينتخبوا رجالاً عظماء ليلاقوه إلى الثغر فيستنير بآرائهم في المشروع، وأن يطلبوا من قبائل دوعن أن يوجهوا إلى ملاقاة الحملة رجالاً منهم للغاية نفسها، ويقول السيد إسحاق في كتابه أنه سيأخذ بمعيته عوض بن علي بالفقيه ليفيده باختباره الأرض، وأنه سيمر بالحملة إلى بروم وشقرة وسيبدأ بالمكلا، وأنه قد حصل على جواب من صاحب شقرة بمساعدته للحملة مطلقاً.

مؤتمر المسيلة:

وندب الإمام العلامة الحسن بن صالح البحر نفعنا الله به أعيان الجهة إلى عقد مؤتمر عام بمسيلة آل الشيخ للبحث فيما يلزم في المشروع ودعا رجالاً من المفكرين إلى بيته أولاً يوم الثلاثاء لسبع خلت من شعبان في جلسة تمهيدية، وقد صادقت الجلسة على دعوة الأعيان إلى المؤتمر المزمع عقده واتفقوا على أن يكون ذلك المؤتمر بمسيلة آل شيخ لتوسطها ولوجود الإمام العلامة عبد الله بن الحسين بن طاهر العلوي بها، والمقصود من المؤتمر انتخاب رجال الوفد للسفر إلى ملاقاة السيد إسحاق وإمداده بالآراء الصائبة في وجهته، ويقصد المؤتمر أيضاً إلى توحيد كلمة المواطنين هنا واختيار جماعة من الثقات تلاحظ سير الحالة وتنشر الدعاية وتكاتب الوفد وتتبادل معه الآراء والاستعلامات، وانفضت جلسة ذي أصبح بعد أن

قررت كتابة رقاع للدعوة إلى مؤتمر المسيلة يوم السبت ١٠ شهر شعبان ١٢٦٥هـ وهرع المدعوون في اليوم المشار إليه إلى المسيلة وعقد الاجتماع العظيم بمنزل الحبيب المغفور له عبد الله بن عمر بن يحيى وحضرة الإمامان الحسن بن صالح البحر وعبد الله بن الحسين بن طاهر، وبعد الأخذ والرد والاستقصاء في البحث ومشادة الآراء تقرر أن يوفد رجال انتخبهم المؤتمر من مقاطعتي تريم وسيئون يرأسهم السيدان الإمامان أحمد بن علي الجنيد ومحسن بن علوي السقاف، وتقرر أن يكون الوفد على أهبة السفر متى وصل الخبر بوصول التجهيز إلى الثغرين.

النقيب واهتمامه :

وكان النقيب محمد بن عبد الحبيب الكسادي وقد صحت عنده أخبار الحملة ووشك وصولها-جدد اهتمامه بها وأظهر نشاطاً قوياً في معاكستها، فقد بادر بتجهيز كتيبة ذات بال تحت قيادة ابنه صلاح إلى بروم فاحتلها وحصنها وفي ٢٥ شعبان بلغه من بعض رجال السفن الراسية بالمكلا أن أوراقاً ومكاتيب مرسلة من السيد إسحاق والأمير عبود بن سالم من الحديدة والصدر محمد بن جعفر بن علي بن عبد العزيز الكثيري الذي يقلها (سنبوك) خاص يمخر بها عرض البحر قاصداً قصيعر، وفي الحال بعث النقيب عدداً من السفاين الشراعية-طبعاً- في طلب ذلك السنبوك فما لبثت إحداهن أن أدركته وأتت به تقوده إلى المكلا، وفتش النقيب السنبوك واطلع على الأوراق وما فيها وأمر بمصادرتها وبتقييد محمد بن جعفر وحبسه.

وشدد النقيب ميزره في التقاط أخبار الحملة ومصادرة تحاريرها ومعاكسة الدعاية لها، وذهب يجري المفاوضات بينه وبين أمير الشحر علي ناجي بشأن هذه الحملة التي يعتبرها عدوة لهما معاً، ولكن الأخير بقى متردداً يؤثر الدفاع إذا هوجم على البدء بالعداء.

وكانت الأوراق والتحارير التي قبض عليها الكسادي من يد محمد بن جعفر

تحتوي خبر سفر الحملة من الحديدة وعلى استقدام الوفد إلى ميناء بروم وبسط الخطة التي سيجري عليها السيد إسحاق وعلى التعليمات التي ينبغي أن يلتزمها القادمون من حضرموت، فكانت هذه الحادثة عامل من العوامل الطبيعية المسببة للفشل بعد.

وصول الحملة إلى حصيصه :

وفوجئ أهل حضرموت برسول مستعجل ورد إلى سيئون في ١٢ رمضان من السيد إسحاق بن عقيل والسلطان عبود بن سالم من ميناء حصيصه التي تبعد عن بروم ٢٠ ميلاً يحمل تحاريراً للسلطان عبد الله بن محسن ولأعيان والسادة يدل فيها على وصول التجهيزه الى الميناء المذكور ويطلبون ملاقاة المندوبين من السادة ورجال الدولة إلى بلدة بروم، وكان البحر إذ ذاك هائجاً مضطرباً لأنه في أبان وقت هيجانه، ولهذا كابدت الحملة مشقة عظيمة من قوة الريح الشمالية مرسى هادئاً يكلؤها من ريح الشمال.

وقعة حوالي بروم :

دعا السيد إسحاق قبائل البهيش الذين حوالي بروم وأصلح شأنهم وأضاف إليهم مائة مقاتل من الدواعنة ورجال الشريف الحسين بن علي بن حيدر صاحب الحديدة، يتقدمهم محسن أغات الحضارمة باحارث الذي مر ذكره عند توجه الحاج أحمد تركي، ثم أمر السيد إسحاق هؤلاء الرجال أن يقاربوا بروم براً، وأنه هو ومن معه سينتظرونهم في البحر ساعات معلومة ثم يوافونهم هناك بحراً، ولكن القوم ذهبوا أولاً إلى مساكنهم بالقياض وتأخروا عن الوقت المعين، وفيه أبحرت من الحصيصة ساعية من سواعي آل الكسادي التي غنمتها الحملة إلى نحو بروم وأبصرها من في بروم من الكساديين فعرفوها وهبوا لملاقاتها حاسبين أنها تحمل زاد وذخيرة فقط وأنها خالية من الرجال فاقتربوا بساعيتهم منها، ولما لصقت بها قابلهم من بها من الأتراك

بالرصاص من بطون البنادق والمسدسات فانهزم الكساديون عائدون إلى بروم بعد أن قتل منهم جماعة وجرح آخرون ولم ينل الأتراك أقل خسارة.

ورأى بعض المدفعيين من الجيش ساعية الكساديين المنهزمة فتعقبها بطلقة قصت دقلها ثم أخرى كسرت سندها فغرقت قريباً من البر وانهالت سنابيك البر عليها فأنقذت بعض ما فيها من أموال وأسلحة ورجال وقتل من صناديد الكساديين في هذه الوقعة أحمد معجم وعلي بن عبد الحبيب.

وكانت غاية رجاله مهاجمة حامية بروم من البر في الوقت الذي تقرر أن تقوم قبائل البهيش مع من أسعفها بهم السيد إسحاق بمهاجمة الثغر من البحر، غير أن عدم حضور البهيش ومن معهم في الوقت المعين فوت على رجال السفينة نيل الغرض المنشود واستمرت السفينة ترسل طلقاتها نحو بروم دون أن يكون لهذه الطلقات تأثير يذكر في دفع حامية الثغر.

إلى قصيعر:

وأمام اضطراب البحر وتلاطم أمواجه، وتأخر قبائل البهيش عن الحضور رأى الرجال المسئولون عن الحملة أن الاستيلاء على بروم من الصعوبة بمكان كبير وأن البقاء بحصيصة على هذه الحالة من اضطراب البحر حتى تصادمت السفن بعضها ببعض وتعرضت لكثير من الأخطار شيء لا يطاق فقرروا التوجه إلى قصيعر التي تبعد عن بروم نحو ستين ميلاً حيث يظن وجود أصدقاء بها.

وحين واجهوا ميناء بندر الشحر رافقتهم جماعة من آل بريك، فأمر علي ناجي أمير الشحر جماعة من عبيده وقبيلته أن تسبقهم إلى شرمة التي تبعد عن الشحر بنحو ميلاً ظناً منه أنهم سيبدأون بها.

بين الحملة وحامية شرمة:

ولما واجهت سفن الحملة ميناء شرمة رأت بالميناء خلقا كثيرا فظن الأمير عبود

بن سالم الذي هو يصحب الحملة من إبحارها من ميناء الحديدة أن هؤلاء أصحابه قد جاؤوا إلى هذا الميناء، ولعله أشار باقتراب بعض السفن لتعرف الحقيقة، غير أنه لم تكد السفينة تقترب من الميناء حتى فوجئت بطلقات مدفع الحامية توجه إليها وتصيب من أحد الأتراك الذين بها مقتلاً. ولم يشأ رجال السفينة في أول الأمر أن يبادلوا حامية الميناء النار، غير أن استمرارها في إرسال الطلقات ثم قتل أحدهم حفزهم إلى أن يقابلوا النار بمثلها، وأطلقت مدافع السفينة حماها نحو الميناء ففر من فيه ونفذ التجهيز بأجمعه إلى قصيعر.

استغاثة الكسادي:

وفي رمضان نفسه كتب النقيب محمد بن عبد الحبيب الكسادي إلى يافع القطن وإلى محمد بن سيد بن شملان وجماعته يستنجدهم ويستغيث بهم فأنجدته يافع القطن كما أنجده محمد بن شملان ببعض الرجال على مقدمتهم محمد بن شملان المذكور.

أخبار الدولة بوصول الحملة قصيعر:

وفي ٢٢ رمضان وصل إلى سيون هجان مرسل من قبل السيد إسحاق والأمير عبود بن سالم يحمل رسائل إشعار للدولة والسادة بوصول الحملة إلى قصيعر يستعجلان إرسال من انتخبوهم من الرجال للاسترشاد بهم.

الحطلوم:

وجاء في رسالة الأمير عبود المؤرخة ١٧ رمضان أنه عقد باسم الدولة اتفاقية محالفة مع بيتي علي وغراب الحموميين، وأن لديه منهم ستمائة بدوي ليهجم بهم من البر، بعد وصول من سترسلهم الدولة من القوات.

إلى دوعن:

وعلى إثر وصول رسائل السيد إسحاق والأمير عبود إلى السلطان عبد الله بن محسن ندب عمه الأمير علي بن أحمد للتوجه إلى دوعن لجمع محاربين منها ومن بلاد العوابثة فجمع من الدواعنة سبعمائة مقاتل ومن العوابثة ثلاثمائة مقاتل وكذا من نهد ستمائة على يد أحد زعمائهم، كما ندب حسن بن محمد إلى أرض آل جابر والمعارة لنفس الغاية ولم تزل وفود المقاتلين تتوالى إلى سيئون.

سفر الوفد:

وفي يوم الإثنين الموافق ٨ شوال توجه الوفد المختار للاسترشاد به إلى قصيعر بعد أن حددهم الإمام الحسن بن صالح البحر والإمام الحبيب علوي بن سقاف الجفري وابنه محمد والسادة محسن بن علوي بن سقاف وأخيه عبد الرحمن، وأحمد بن زين بن سميط وأبو بكر بن محمد بن زين الحبشي وعبد الله بن حسين بن شهاب وعلي بن حسن الحداد وعبد القادر بن حسن بن صالح البحر ومحمد بن محمد بن هاشم الحبشي وبدر بن جعفر بن طالب إلى الشحر.

ولما كان يوم الثلاثاء ١٩ شوال وصلت رسائل من السيد إسحاق والأمير عبود يذكران فيها بأن الحملة توجهت نحو الشحر وأنهما استبطئا إرسال الوفد والمقاتلين الذين سترسلهم الدولة.

سفر الحاشية:

ولم يدع السلطان الأيام تمر عليه عبثا فأتم إعداد المقاتلين وجهزهم بجميع ما يلزم من زاد ورصاص وغير ذلك ولما يأت يوم ٢٢ شوال إلا وقد توجه الجيش إلى الشحر وهو يتألف من القبائل التالية: حاشية الدولة وبعض رجالها، العوامر، آل كثير، آل باجري.

وصول الوفد:

كان السلطان عبد الله قد استبطأ وصول خبر الوفد إليه، فأرسل هجاناً إلى نحو الثغرين ليأتيه بخبر التجهيز والوفد، غير أنه في اليوم التالي من إرسال الهجان قدم أحد المشائخ آل باعباد من قصيعر وأفاد بأن الوفد قصد الديس وأن السيد إسحاق مع الأمير عبود بن سالم سيتوجهون إلى الشحر وقد تبودلت الرسائل بينه وبين السيد إسحاق، وندب السيد إسحاق ابن أخيه سليمان بن داود بن عقيل بن يحيى للاتصال بالوفد فسافر إلى الديس واتصل بالوفد.

الوفد وعلي ناجي:

وحرص رجال الوفد على أن يعطوا أمير الشحر علي ناجي بن بريك الفرصة الكافية ليراجع نفسه فبعثوا إليه بعدد من الرسائل والرسل يرشدونه فيها وينصحونه إلى أن يراجع نفسه فيما هو مقدم عليه غير أن الإخفاق كان من نصيب هذه الرسائل والرسل.

ولعل رجال الوفد حريصون على أن يسووا القضية وينهوا النزاع بالطرق السلمية مهما أمكن إلى ذلك من سبيل.

التهيؤ للقتال:

واجتمعت القوات القادمة من داخل حضرموت والراسية بميناء قصيعر بندر دفيقة التي تبعد عن الشحر بنحو ..... وحينئذ اخذ القوم يتهيئون للدخول في القتال فركب الضابط التركي مدافع نحو الرباط كما اخرجوا من السفن العتاد الذي قدموا به من الحديدة.

أما الأمير عبود بن سالم فقد اخذ يرتب جماعته فجعل جماعة منهم في مرير محل بين الشحر وأمر جماعة أخرى بمراقبة الطريق الواقعة غربي الشحر.

وقدر عدد القوات المجتمعة بدفيقة بنحو خمسة ألف مقاتل.

البداية والنهاية:

وفي شهر ذي القعدة من عام ١٢٦٥ توجه القوم إلى نحو ..... وتبودلت النيران بين الفريقين فكانت مدافع ابن بريك دون دفيقة. فيما كان مفعول مدافع الترك عظيما حتى أنهم اخرجوا النساء والأطفال من الرباط الذي كان حينذاك عرضة لطلقات تلك المدافع.

ورأى الرجال المسؤلون في الحملة أن يقوم القوم بهجوم عام على الشحر من كل جهاتها. وبينما ألوا الشأن في الحملة يتداولون الرأي في أمر الهجوم إذا هم بصريخ من سيبان تلك الجماعة التي وضعها الأمير عبود بن سالم بمرير يفيد بأن جماعة عظيمة من اليوافع قدمت من المكلا نجدة من الكسادي لابن بريك. وفي الحال قصد الأمير عبود نحو مرير لتلافي الحالة ولعمل ما يمكن عمله. وصحب معه جماعة من الشنافر وبيت علي وغيرهم.

وهناك – بمرير – التحم القتال بين قوات الدولة ويافع القادمون من المكلا أبلى فيها الفريقان بلاء حسنا واظهرا من أنواع الشجاعة والبطولة الشيء العجاب.

